الأستاذ: صالح بلعيد

في المسألة الأمازيغية



الأستاذ: صالح بلعيد

في

المسألة الأمازيغية



الصنف: 4/051

رقم: 121 / 99 - 1419

الطبعة الثانية

دار هومه
للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر
34 حي لابروفار - بوزريعة - الجزائر
الهاتف: 94-19-36 94-41-19 الفاكس: 94-17-75

الفهرس العام

الإيداع القانوني : 99 / 342

ر . د. م . ك: ISBN: 9961 - 66 - 361 - 6

مقدّمة

إنّ البحث في الأمازيغية هو التعريف بالدعامة الجوهرية التي تتكوّن منها حضارتنا وثقافتنا؛ هذه الحضارة الثقافية التي عاركتها مجموعة من الحضارات القديمة والحديثة التي كان لها شأن، تفاعلت معها ولم تندثر. ومع مرور هذه المدّة الطويلة بقيت في شكل من أشكالها؛ حيث تجسّدت في كثير من الفنون والرسوم والأشعار. مثلما تجسّدت في أسماء مدننا: فرندة/ تيسمسيلت/ أهقار/ تامنغيست/ إنمنّاس/ تلمسان/ تيزي وزو/ أدرار/ تاجنانت/ جنات/ بكّايث/ ثاوريرث ...

وإنّ البحث في هذا المجال كان شغلنا منذ مدة بغية العمل على ترقية تراث هذه اللغة. والترقية هو العمل العلمي الهام الذي يخدم اللغات، فالحبّ وحده لا يكفي لحماية اللغة، فلا بدّ من سلاح الحماية، وهو البحث والدربة وإجادة الاستعمال والعمل على التطوّر، وهذا كلّه لا يكون بالعَجَل، لأنّ العجّل تارة يؤدي إلى الزلل، ولا يكون بالتعصّب، لأنّ التعصّب باب من أبواب الفتنة.

وإنّ هذا العمل هو الذي عكس الطموح عندي للبحث مبدئياً في متعلّقات داخلية وخارجية في قضايا الأمازيغية بغية الوصول إلى استكناه مشكلاتها، ورصد مختلف ظواهرها قصد تقديم الخبرات والاستشارات. هذا على المستوى الأولي للتحقّق من استعداداتها المبدئية الداخلية والخارجية. وأمّا على المستوى الثاني فيكون بتوظيف المناهج العصرية التي تمكّنني الانتقال إلى البحث في المعايير العلمية التي تعود إلى الدراسات المقارنة بين اللهجات الأمازيغية وصولاً إلى الدراسات الفيلولوجية وما يتعلّق بأحكام النحو، وهذا كلّه بغية التدقيق في التقعيد الصرفي والنحوي.

إذن يعود سبب اختياري عنوان الكتاب: "**في المسألة الأمازيغية**" إلى:

1 – الوفاء بالواجب تجاه الثقافة الأمازيغية ولغاتها (اللهجات) القديمة، باعتبارهما إرثاً يجب أن يُبعث ونحن نتحمّل كل مسؤوليته. وأخصّ هنا معشر المثقفين الذين تقع عليهم

مسؤولية البحث في قضايا لغوية أياً كانت. ويصحب هذا الأمر قضية الثقافة الأمازيغية التي لم تعد في الظلّ[1]، فهي تزاحم كثيراً من القضايا.

2 – الإيمان بثقافة التنوّع في مجتمعنا الجزائري، والتنوّع سمة من سمات الديمقراطية والعدالة.

3 – الإيمان بالأبعاد الوطنية الثلاثة، والعمل بها، وهي: البعد الأمازيغي، البعد الإسلامي، البعد العربي.

4 – لغة المنشأ حقّ من الحقوق اللغوية المشروعة التي يجب أن يتواصل بها الإنسان، ويعبّر بها عن مشاعره مع بني جنسه، وهي التي تعطيه إنسيته وهُويته. وهذه النقطة تستغلّ في بعض الأقطار بعنف أحياناً، كما تُربط بالطائفية والعشائرية، بل ويستغلّها البعض بأنّها نوع من الظلم الاجتماعي.

5 – معالجة القضية ضمن محدداتنا وخصوصياتنا الحضارية والثقافية والاجتماعية واستشرافنا فيما سيأتي به الزمن، بالتركيز على جملة المعطيات التي تجعل هذه اللغة في وعينا وثقافتنا. وعندما أقول ثقافتنا، أقصد الفهم العام الذي تحمله الثقافة في أبعادها الفكرية والقومية؛ لأنّ بالثقافة يدخل الفرد في البعد الإنساني للحياة، ويسمو عمّا فيه من مقوّمات بيولوجية. والثقافة هي التي تعطينا الجذور، وتقدم لنا تموضعنا في المكان والزمان؛ بل هي التي تستنطق التراث، وتزيل عنه التهميش الذي تتعرّض له الثقافات المحلية.

ومن خلال هذا لا يعني – بعملي هذا – أنّني سأحسم الجدل في هذه المسألة، بل أبدي فيه رأيي كجزائري ناطق بأداء أمازيغي (قبائلية). ويضاف إلى هذا توضيح بعض الرؤى، وإظهار بعض الغامض الذي سكت عنه الباحثون الذين يكتبون بالفرنسية

---

1 – يقول الجابري: ((وإذا كان لنا أن نأخذ بمعطيات عالمنا الراهن، فإنّ المعطى الذي يفرض نفسه هو أنّ **(المسألة الثقافية)** لم تعد في الظلّ، لم تعد (تابعاً) بل إنّها شئنا أم كرهنا، تطغى على سطح الأحداث، أو على الأقلّ تزاحم وتضايق على هذا السطح غيرها من المعطيات)). محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية، ط1. بيروت: 1994 مركز دراسات الوحدة العربية، ص13.

خاصة الغربين[2] منهم، من حيث الثنائية: عرب-أمازيغ، وكان الكثير منهم يهملون تماماً المصادر العربية التي تنصّ على الانصهار والذوبان في الحضارة العربية الإسلامية بعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا؛ حيث إنّ الأمازيغ رفضوا الوندال والرومان والبيزنط، كما رفضوا لغاتهم، لكنّهم قبلوا المسلمين ولغتهم بعد مدة طواعية بل هم الذين نشروا هذه اللغة حبّاً فيها، وهم الذين عملوا على نشر الإسلام والعربية في الأندلس وفي دول المغرب. وهؤلاء الباحثون الذين وظّفوا الدراسات التاريخية والأسطورية زيّفوا أحياناً بعض الحقائق فصالوا وجالوا ولم يردّ عليهم. وهذا ما أريد أن يحسّ به الباحثون المعربون أنّ الأمر يهمّهم فلا يجب أن نضع البحث في مسألة اللغة الأمازيغية ضمن الطابوهات أو الملفات المسكوت عنها، أو يبقى حكراً على الباحثين باللغة الفرنسية واللغات الأخرى، بل علينا أن عطي أراءنا العلمية كمعربين يؤمنون بهذه المسألة، وهي مسألة الجميع.

كما لا يعني هذا أنّني سوف أردّ عليهم من خلال هذا العمل، بقدر ما أنظر إلى النتائج التي تأتي بها الدراسات العلمية من أي جانب كان، وخاصة من خلال تلك الدراسات العربية أو الغربية النزيهة التي لا تحمل الأبعاد الإقصائية البعيدة عن كل نخبوية[3] أو قومية[4] أو كراسية[5] أو قاعدية[6]، سعياً في حقن الرصيد الوطني بمميزاته

---

2 – أقصد على وجه التحديد: Basset- Galand- Laoust- Bentolia/ Lafuente- Sarpionanda/ Brandr- Stumme/ Bynon/ Abdelmassih Figueras-

3 – نقصد بالنخبوية هنا، تلك الجماعة التي تسعى إلى حرق المراحل وتمسح القرون الخمسة عشر التي تواجد الإسلام على هذه الأرض **بجرة قلم**، وهذه النخبوية تختزل الثقافة الوطنية في تلك الثقافة الفرنسية وشعارها النفعية، وغرضها الإقصاء.

4 – نرفض تلك الدعوات الصارخة بأنّنا شعب عربي أحببنا أم رفضنا، وأنّ الجزائر بلد عربي منذ دخول الإسلام هذه الأرض. والذين يقولون بأنّنا عرب بحكم العِرق والتاريخ. والذين يقولون بهذا هم أولئك المعربين المعدِين سلفاً Arabisateurs الذين يبغون أن تكون الجزائر قطعة من الشرق الأوسط. وبعض من المدافعين عن العربية من الموالين لليسار المشرقي أو السلفية المشرقية، فهم تبع لأحزاب قومية أو مشرقية والتي تتنافر فيما بينها. وشعار هذه الجماعة كلّما يفتح ملف السياسة اللغوية في الجزائر: احذروا هناك من يعمل على المساس بأمن الدولة، والوحدة الوطنية والجهوية... .

وإسهاماً في إثراء العطاء المعرفي الأمازيغي الذي تعمّق فيه الإحساس بالهوية والوطنية. وهذا كلّه سعياً وراء إثراء خبرات الماضي بخبرات الحاضر؛ أي أنّ الثقافة الأمازيغية مكوّن من مكوّنات الثقافة الجزائرية، وهي أداة إثراء وإغناء للثقافة العربية الإسلامية، بل هي رافد لتزويد العربية بالصيّغ والمضامين والمفاهيم التي تمكنّها من فهم الواقع الاجتماعي لهذا الشعب الذي له مميزاته، ومن دون الأمازيغية لا نستكنه البنية التحتية للشخصية القومية، ولا ميكانزمات الفكر الجزائري عبر تاريخه.

وهكذا لا أستهدف الزيادة في هذا المجال بقدر ما أستهدف التطوير والتحسين والترقية لهذه اللغة؛ وبذلك أحاول تدوين ودراسة شتات المادة التي تجمّعت لديّ لإجراء أبحاث ودراسات مقارنة بين اللغات المختلفة (اللهجات) التي تحملها الأمازيغية، وبينها وبين العربية على وجه الخصوص، وهذا في اللاحق من أعمالي من خلال العمليات الإجرائية في ألفاظ الاقتراض من اللغات التي تأثّرت بها أو أثّرت فيها. أضف إلى هذا جمع الرصيد الشفاهي في مختلف مجالات الحياة، وهذا على مستوى اللغة القبائلية باعتبارها تأديةً من التأديات للأمازيغية، أو هي لهجة[7] من اللهجات الأمازيغية

5- **الكراسية:** نسبة إلى البقاء في الكرسي، بغرض النفعية والميكافيلية. وهم الجماعة الذين يسعون وراء الحلّ الوسط، بغرض بقائهم في الكرسي.

6- **القاعدية:** نسبة إلى بعض المعربين الذين يكثرون الكلام دون فائدة، ودون تقديم البديل فهم يرفضون كل صحوة ونهضة لردّ الاعتبار لهذه اللغة. ومن هؤلاء الكثير حيث لا يعملون على ترقية اللغة العربية وينتظرون القرار الرسمي على أنّه خاتم سليمان الذي يحلّ كل المشاكل اللغوية في الجزائر. وينطبق عليهم قول العرب: **جعجعة ولا أرى طحينا.**

7 - يجب أن نفرق في البداية بين مصطلحين هما:
اللغة: وهي وسيلة اتّصال مكتوبة فصيحة وراقية.
اللهجة: مستوى متدني من اللغة، بل نطق بسيط أو عامي للغة. وقد يلتبس الأمر في أنّ الأمازيغية (كونها مفقودة) تحلّ محلّها لهجاتها. فيمكن عند ذلك أن يطلق مصطلح اللغة على كل أداء من أداءات الأمازيغية. ومادام هناك من يرى أنّ هذه اللغة موجودة فنستعمل مصطلح (اللهجة). ولا يعني أنّنا نميل إلى هذا الرأي أو ذاك، بقدر ما أسعى إلى عدم التفرقة في البدء بين المصطلحين بغية الإفهام لا غير.

وآمل أن تظهر هذه الأبحاث فيما يُستقبل من الزمان[8].

ومن خلال هذا العمل أشير إلى أنّ اللغة مهما كانت يخدمها أهلها، وبهم تترقّى بل هم الحافظون على أصالتها. لكنّه يجب أن نحيا دون أن تحمل المفهوم العرقي أو ما يدعو إلى الإقصاء والتهميش. في الوقت الذي نعرف أنّ مسألة الهوية عندنا تعتبر من المكبوتات ومن الملفات التي لم تُفتح بعد.

وإنّنا نرى أنّ كل الدول التي أخذت بالمفهوم العرقي تعرضت لمصاعب شتّى وانهارت، وكانت اللغة وما تحمله من تراث أحد أسباب هذا الانهيار. ومن جهة أخرى فإنّ عواقب حرمان التواصل اللغوي من أي جهة يسبّب الشلل للإنسان، ويؤدي إلى التمرّد والردّ العنيف، ومن هنا أردت القول: إنّ إقرار مشروعية اللغة حقّ من الحقوق. بل إنّ المطالبة بالهويّة أمر حضاري وعالمي فرضته التطوّرات الحالية؛ حيث نسمع الآن المطالبة بالاعتراف بهويّة الهنود الحُمُر في أمريكا، والاعتراف بلغة البروطان في فرنسا أو لغة الباسك في إسبانيا، وغير ذلك من الشعوب التي تطالب بهذه الهويّة. كما أنّ هذا الجيل جاء ليطالب بحقه في تراث ثقافي، وشعوره قوي للعثور على جذوره وتحديد هويته.

ولأنّ المسألة في الجزائر بالخصوص نجد ثنائية لغوية منتشرة بشكل كثير حدثت من انصهار اللسان العربي بالأمازيغية، ولهذه الأخيرة مكانة في المجتمع الجزائري إذ هي لغته. إلا أنّ بُعد التعريب والتساكن والتصاهر وما يتعلّق بهذا، جعل بعض المناطق لا تتكلّم الأمازيغية نهائياً.

8- لقد جمعت عيّنة كبيرة من الألفاظ والأساليب التي تتداول في محيطنا (القبائل) وهي من نطق عربي بأداء قبائلي، ولدى استفساري عن بعضها لم أجد إلا: **هكذا سمعناها**، مثل: **غسّالة النوادر** (يقال لمطر الخريف) **كي ستة كي ستين** (لا يهمني الأمر) **ازرع ينبت** (الذي تعمله تجنيه) **شدْ سبعك** (الزم مكانك) **اليد اللي ما تقدرشْ تعضها بوسْها** (يقال في المداراة)... انظر أمثلة من هذا القبيل في هوامش: **الأمازيغية في الجزائر الصفحات 45-50.**

وفي الحقيقة إنّ هذه الثنائية قائمة في مختلف مناطق الوطن[9]، وأقرّ أنّه كلّما كـــان الفرد مدركاً لوضعه اللغوي (مزدوج اللسان) تضاءلت خطورة التداخلات بين اللغتيـــن وقلّت كل المشاكل. ومن هنا فإنّه لا يعني استحالة التعدّد اللغـــوي أو البقـــاء اللغـــوي للطرفين إلا بالقضاء على أحدهما، وهذه خرافة لا يقول بها إلا متعصّـــب أو جـــاهل ونعرف أنّ أمماً كثيرة تتواصل بلغات وما كان ذلك سبباً في مشاكل لغوية.

كما سعيت إلى توظيف الجهود الفكرية لمواجهة الأفكـــار الضّالـــة بالموضوعيـــة العلمية، وباستعمال الفكر وإخضاعه إلى الأساليب والمناهج العلمية بالدرس والتحليـــل. وهذا في إطار احترام الأمانة العلمية التي تتطلّب منّي ذكر ما لهذه اللغـــات (الأداءات) أو (اللهجات) وما عليها. والردّ على كل شاردة وخاطرة لا تستند إلى دليـــل، أو تقـــوم على أساس العصبية والإلغاء.

وفي الكتاب طرح لترقية الأمازيغية وتدريسها؛ هذه الترقية مضافاً إليها التدريـــس يخلصانّنا من مشاكل عديدة؛ يخلصاننّا من الفرنسَة في المقام الأول، على أساس أنّها اللغة التي تحتلّ مقام اللغات الوطنية، كما أنّه يضعها على المحكّ، فإذا كانت قـــادرة تصمـــد وإن لم تكن كذلك كانت الردّة عليها. أضف إلى أنّ الترقية والتدريـــس يخلصاننّـــا مـــن المجموعات الجاهلة، أو الجمعيات التي تحمل المشروع الغربي الذوباني (التغريبي) أو الشرقي العرقي (القومي العروبي) أو أناس يحملون الحقد تجاه طرف مـــن الأطـــراف ومن الذين يستعملونها ورقة ضغط كلّما أرادوا الحصول على مصالح فردية.

وفي هذا يجب أن نتعامل مع الواقع، وفي ظلّ الظروف والمعطيات الجديدة يجب أن تتغيّر الذهنيات، ونتعامل مع الواقع إيجابياً، وننفتح على غيرنا ونردم هـــذا البـــون الواسع بين الثقافة الشعبية والرسمية، لكي تكون اللغات الوطنية لغات كل الجزائرييـــن ولا تبقى لغات فئة تعزف على وترها كلّما ضـــاقت بهـــا السُّـــبُل. كمـــا يجـــب ردم الطروحات الإقصائية، وكل ما يساهم في عملية التغييب الثقافي أو احتقار كل ما هـــو

---

9 – يُنظر: Les Algeriens et leur(s) langue(s)، للأستاذة خولة طالب الإبراهيمي، الصادر عن دار دحلب سنة 1996.

إقليمي. فيجب أن لا ننظر إلى المسألة من باب العصبية أو العرقية، ولا ننظر إلى الانتصارات الآنية، بل ننظر إلى المسألة على أنّها اختلاف في وجهات الرأي والاختلاف طريق من طرق التفاهم والوحدة، وقد تكون خلافات فكرية لا خلافات قلبية فمن أراد أن يقول: إنّ لغتي القومية هي العربية فله أن يقول، ومن قال إنّ لغتي القومية هي الأمازيغية فله ذلك، شرط أن لا يؤدي ذلك إلى الخلاف من أجل الخلاف، ومن أجل الإقصاء. والخلاف اللغوي في الحقيقة قائم وهو سنّة من سنن الحياة.

يسمي بعض اللغويين مسألة الصراع الثنائي في الجزائر **المشكلة اللغوية**، وإنّ هذه المشكلة -إنْ صحّ التعبير- ليست شائكة إذا عولجت الأمور على أساس الاختصاص العلمي، وعلى أساس النظرة العميقة للمجتمع الجزائري؛ من حيث الأوجه الثقافية والاجتماعية، مع مراعاة العادات والتقاليد والنظم والثوابت التي يؤمن بها، وهذا في إطار احترام الخيار العام، واحترام رأي الأغلبية التي لها الرأي الفصل في هذا الأمر، دون القفز على الأمازيغية أو تجاهل أمرها، وأمر اللغات الأجنبية التي يجب أن نعمل على الاستفادة منها. وهذه المشكلة تكون بمعالجة الأمور بموضوعية تامة دون حياد يذكر، وبذلك يحصل رأب الصراع اللغوي الذي بدأ يطفو على الساحة، فلا نسمع هذه الأيام إلا: **البعثي** (المعرّب) أو **حزب فرنسا** (المفرنس) أو **البربري** (الجهوي) وكثيرة هي ألفاظ التنابز بهذه النعوت التي لا تخدم أحداً منّا. وهذه أشياء خطيرة لأنّها تدعو إلى النعرات القبلية وإلى الفتنة، وهي دعوات مقيتة لا تحمل إلا الشرّ. والغريب في الأمر أنّ أمثال هذه الدعوات الهدّامة لا نجدها في المجتمعات المتقدمة، وفي البلدان الراقية، والتي تسود العالم بعلمها وبلغاتها، رغم أنّها تحوي في منظوماتها التربوية وفي شارعها أكثر ممّا يوجد عندما من تعدّد لغوي وإثني وعقيدي.

وقد نختلف -نحن المثقفين- في الطرح، والاختلاف ظاهرة صحيّة كما يقال وقد يكبر هذا الاختلاف أو يتقلّص، لكنّه يجب أن لا يكون على حساب مصلحة الأمة ومصلحة الأجيال التي نتحمّل الجزء الكبير في نجاح أو فشل مستقبلها، لأنّ مسألة اللغة تعني كل المجتمع الجزائري. وكل المجتمع الجزائري كان أمازيغياً قبل دخول العرب

إلى هذه المنطقة. ومن هنا يتحمّل المجتمع الخيار الذي آمن به سابقًا، ويؤمن به لاحقاً. والأمازيغية تراث، ولكنّها تراث مَن؟ والإجابة تأتي مباشـــرة: إنّ الأمازيغيـــة تراثنـــا جميعاً، ومن هنا فالحفاظ عليها واجبنا جميعاً، وإز كانت تراث فئة فهنا الإشكال، أي أنّ أمرها موكول لتلك الفئة، ومثلها في الجزائر مثل العربية، فهي لغتنا جميعـــاً، وليســت ملكاً للناطقين بالعربية وحدهم.

وفي الحقيقة إنّ المسألة اللغوية في الجزائر لا تحمل ذلك التعقيد الذي يجعل الأمر خطيراً، وإنّ الحلّ سهل إذا أُخذت الأمور بجدية غايتها العمل على حلّ القضيـــة حـــلاً يرضي كل الأطراف بانتهاج الموضوعية التامة، شرط أن تتوضّح الرؤيـــة فـــي هـــذه المسألة، فلا ندخل المغامرة من باب لا نعرف الخروج منه، أو تُسدّ الأبواب بعد ذلـــك في وجوهنا فلا نقطف الثمار التي نبتغيها. يجب إذن أن ننظر إلى التعدّد اللغـــوي مـــن زاوية الإيمان والإقناع واعتراف الشعب الجزائري طوعاً بذلـــك (اختـــلاف الألـــوان والألسنة قائم)، وإلا فمثلنا مثل الذي يدخل الكهف ولا يعرف منفذ الخروج.

ومن هنا يجدر بنا أن يسمع بعضنا بعضاً، وأن نعمل على إيجاد قنوات التواصـــل بيننا مهما اختلفت آراؤنا، والاختلاف هو السبيل إلى العمل على إيجاد القواسم المشتركة بيننا، وإلغاء التباين، وخلق تقاليد الحوار الديمقراطي الذي يؤدي إلى الحـــوار الثقـــافي الحرّ، وهو السبيل إلى تكامل المعرفة بين اللغات "وطنية. وبالتواصل العلمي المبنـــي على الموضوعية نصل إلى التواصل العلمي والمعرفي لحلّ المشكلة اللغوية التي بدأت تظهر في الساحة الثقافية مؤخراً.

وأؤكد على أنّه لن يحصل الخلاف القهري في الجزائر، إذا وعينا الأمور بشـــكل طبيعي، ونظرنا إليها من منظور علمي أخلاقي. ويكون ذلك عندما نعطي الاعتبار لكل استشارة ولكل ما يقال في المجال اللغوي، وأن تكون الاستشارة تامة وشاملة، ولا يكون الحلّ على أساس الإلغاء أبـــداً، والإلغاء لا يولّد إلا العنف. ألا نكون مثل الدول التـــي عايشت أمثال هذا التعـــدّد، لكنّها استطاعت أن تحلّ مشاكلها اللغوية بتغليـــب المنطـــق والموضوعية، ولم تصل إلى ما لا تحمد عقباه.

وإنّه من الخطأ أن نحكم على الناطق بنسان ما على أنّه من جنس ذلك اللسان، أو نحكم على شكل الإنسان، أو على انتمائه الإيديولوجي، كما لا ننسى أنّ لكل من العرب والأمازيغ عادات وقيماً منسجمة تماماً، وفي كل السلوكات، مع ما يميز كل منهما من خصائص بيئية وطبيعية تختلف من منطقة إلى أخرى.

ومن خلال هذا العمل كذلك، أردت أن أزيل من أذهان البعض ما وقر من مقولة ترى أنّ الأمازيغية لا ترتقي إلى مستوى اللغات الحيّة، باعتبارها أداة تواصل شفاهية في محيط ضيّق جداً، كأنّ اللغات الشفوية غير قابلة للتطوّر، علماً أنّ أكبر العظماء كانت ثقافتهم شفوية، مثل شعراء المعلّقات وإلياذة هوميروس وملحمة كاتولو البرازيلي... والحقيقة أنّ كل اللغات يمكنها الارتقاء إذا وقع الاهتمام بها، أو كان لها جيش وشرطة. وقد أصبحت اللهجات لغات بفعل الدين أو السياسة أو التقنية. وإنّ المدرسة والاستعمال هما اللذان يجعلان اللغة راقية أو متخلّفة.

وقد سعيت في الوقت نفسه لتبيان وضع الأمازيغية وما هي عليه من تخلّف، فلا نجد فيها مثلاً أسماءً لامعة، وأعمالاً علمية طبعت فكر هذه اللغة مثلما نجد ذلك في اللغات الأخرى، وهذا يعود إلى عوامل التغييب وآلياته، وحجم التجهيل الذي مورس عليها. ثمّ سعيت إلى تبيان كيفية استدراك ما فاتها عن طريق التدريس، وخاصة أنّ الأمازيغيةَ اللغةَ الموحدةَ غيرُ قائمة، فلم يشهد هذا المجتمع الاتّحاد اللغوي، وكل مجموعة أمازيغية تستعمل شكلاً أو أشكالاً من التلاغي.

ويضاف إلى هذا مسألة اللغة المشتركة، هي مسألة تجريدية لأنّها غير قائمة على نظام لغوي ملموس، ولا تتجسّد في شكل كلام موحّد، لأنّ كل الشعوب الأمازيغية أينما وُجدت تستعمل لغات أخرى إلى جانب لغتها، بل إنّ أغلب هذه الشعوب ناطق بالعربية. ولهذه العوامل مجتمعة بادت اللغة الأصلية، وبقيت أشكال التلاغي (اللغات) الخاصة بكل شعب من الشعوب الأمازيغية. ولكنّ الباحثين يرون أنّ أوجه الاتّفاق بين اللغات الأمازيغية قائمة في كل أشكالها، فهناك وحدة صرفية ونحوية، ووحدة بسيطة في المعجم، على الرغم من التباعد الجغرافي الفاصل بين الجهات والقبائل، بل

يذهب André BASSET في مقـــال له بمجـــلة Le monde non chrétien إلـــى أنّ بنية اللغة الأمازيغية وعناصرها وأشكالها الصرفية والنحوية تتّسم بالوحدة إلى درجـــة أنّك إنْ كنت تعرف حقّ المعرفة لهجة واحدة منها، استطعت في ظرف أسابيع أن تتعلّم أية لهجة أخرى، تدلّك على ذلك التجربة، إذ اللغة هي اللغة نفسها. ومن هنا لابدّ مـــن الإلمام بكل لهجاتها والإطلاع على كل الدراسات السابقة خاصة اللسانية منها.

ومن جهة أخرى توجد الأمازيغية (**التامازيغية**) التي يُتعامل بها في بعض مناطق المغرب الأقصى، وفي النيجر نجدها لغة وطنية، حيث ينطق بها 10% من النيجيريين. أما اللغة الموحدة لكل أنماط التلاغي بهذه اللغات فترى المصادر أنّها اندثرت، وصاحب هذا تخلّيها عن حروفها الأصلية التيفيناغ منذ أكثر من 12 قرناً، وبقيت الترقية (لهجـــة التوارق) اللهجة الوحيدة التي جسّدت – وإلى وقت متأخر – هذا الخطّ، ومن هنا يمكن أن تحافظ الترقية على كثير من ألفاظ اللغة الأصل، وهذا ما يعطيها حقّ القـــرب مـــن اللغة الأصل إنْ لم تكن هي نفسها، فهي اللغة التي تجسّد ثامشاغث كلغة أصل.

وعلى هذا يجب أن نراعي الخصوصيات التي تتوفّر عليها هذه اللغات (اللهجات) من عدم وجود النصوص المقدّسة أو التراث القديم المكتوب، فلا يجب أن تكـــون لنـــا قراءات غيبية لأشياء مجهولة، بل نتعامل مع الواقع المحسوس، أي التعامل مـــع كـــل اللغات المتداولة حالياً، ومحاولة جمعها لبناء الرصيد المشترك.

هذا كتابي الأول في الثقافة الأمازيغية، وهو محاولة بسيطة ركزت فـــي جانبهـــا الأكبر على الميدان اللغوي، هو فاتحة لأبحاث لا قة في هذا الميدان بالخصوص، وقد سميّته (**في المسألة الأمازيغية**) لأنّ أمر البحث في هذه اللغة مســـألة كونـــه يتنـــاول مجموعة من الطروحات التي تتداول عند العامة، ومن هنا رأيت أن يكون موجهاً للعامة في المقام الأول نظراً لما يحمله من قضايا غير تخصصية؛ حيث يتعرّض بالردّ علـــى مجموعة الطروحات الثقافية التي نسمعها في التداول اليومي، وعند الذين يحملون هـــمّ ترقية هذه اللغة، أي أنّها أفكار عامة. ولم يمنعني هذا من إدراج بعض الأفكـــار التـــي

يجهر بها المختصّون ويتعلّق الأمر ببعض المظاهر الفيلولوجية في الأمازيغية، ومن خلال ذلك حاولت إعطاء ردود علمية عن كل طرح سمعت.

واستدعى العمل أن يتمحوَر في النقاط التالية:

1 -- **الأمازيغ والأمازيغية**: من حيث الأصول التاريخية للأمازيغ والأمازيغية.

2 – **الأمازيغية في الجزائر**: وضعها وأطلسها اللغوي، وما لها وما عليها في المستقبل إذا أخذت نصيبها من الاهتمام. وما تقدمه المحافظة السامية للأمازيغية من اجتهادات في مجال ترقيتها.

3 – **الأمازيغية في المغرب الأقصى**: الوضع اللغوي في المغرب الأقصى بحكم مجموعة من العوامل اللغوية التي تقوم بها بعض المؤسسات والأفراد من أجل تهيئة هذه اللغة للدخول في المدرسة.

4 – **مشكلة الخط**: وما لها وما عليها، وأهم الطروحات في هذا المجال. هل هناك اتّفاق على كتابتها بالتيفيناغ، أم هناك خطّ نوعي يحتويها.

5 – **الأمازيغية لغة وطنية ورسمية**: ما هي أهم العوامل التي يجب أن تتوفّر في اللغة التي توطّن. وكيف يمكن للغة الأمازيغية أن تكون لغة رسمية دستورية في ظل وجود اللغة العربية؛ وهي اللغة الرسمية الوحيدة، وهل يمكن أن تكون في بلد واحد لغتان رسميتان.

6 – **الأمازيغية في المدرسة**: في هذا الفصل طرح لكيفية إدراج الأمازيغية في المدرسة من حيث الإمكانات المادية المطلوبة من الدولة، وما يمكن أن يستعمله اللسانيون والديداكتيكيون لاستغلال المناهج الحديثة.

7 – **المصطلحات اللغوية**: لقد أدرجنا في خاتمة الكتاب مصطلحات لغوية وما يقابلها باللسان الأمازيغي[10]، ثمّ الفرنسي. وغرضي من هذا هو جمع المصطلح المتخصّص، بغية توحيد تلك المصطلحات لاحقاً.

10- قد يسأل سائل، ما هي المصطلحات الأمازيغية التي اعتمدتها في كتابك هذا؟ فأقول:

ولا أنكر أنّه صادفتني بعض العراقيل في جمع المادة؛ حيث أنّني اصطدمت منذ البداية بمجموعة منها كأنّها لغة مشاكل، وكل من تستفسره عن قضية ما يذكر لك مجموعة من المشاكل التاريخية التي لا تسندها الأدلة المكتوبة، ولا تقبلها النظريات الحديثة، أضف إلى هذا تضارب بعض موادها، كما أن أكثر النظريات فرضيات وبعضها تنقصها الدقّة العلمية، بل إنّ بعضها لا تستند إلى دليل، وأنّ كثيراً منها تُناقض بعضها البعض، وأحياناً نجد تأييداً لرأي ما في كتاب لمؤلف ما، والمؤلف يعود فيستدرك أمره. **وأكبر مشكل** تعيشه هذه اللغات حالياً هو مشكل الكتابة (الرسم) فقد وجدنا تنوعات في خطّ التيفيناغ؛ من التيفيناغ القديمة، إلى التيفيناغ الحديثة وإلى الليبية القديمة، كما وجدنا أشكالاً تجميلية كثيرة داخل منظومة الإعلام الآلي، يضاف إلى هذا أنّ أكثر المصادر حول هذه اللغات كتبت بالفرنسية، ممّا جعلنا نعاني من مشاكل الترجمة، حيث إنّ المصادر العربية قليلة جداً إن لم نقل منعدمة.

هذا وغيره من العراقيل تصادف أي باحث في العمل العلمي الذي لا يخلو من العثرات والأخطاء. وأعرف أنّي بعيد عن درجة الوصول إلى الحقيقة لكنّي أنشدها، وأتمنى أن تكون الاستدراكات في الأبحاث القادمة، وأن يتواصل العمل في هذا المنوال والتأليف حول هذه اللغة من ذاتها، وباللغة العربية واللغات الأخرى.

وأملي كذلك أن يكون هذا الكتاب نوراً يهدي إلى طريق الصواب، ويفتح الأعين لتصحيح بعض المفاهيم، ويؤدي إلى العمل من أجل الرقي، وإلى الهدم من أجل التقويم والإصلاح. وأرجو أن يكون مَعْلَماً أستضيء به في أبحاثي القادمة، كما أطمح أن أستفيد من توجيهات المختصين، ومن القراء عامة. فمرحبا بكل نقد بنّاء من أجل التقويم للتقييم.

إنّ المصطلحات الأمازيغية التي وقع اعتمادها هي تلك التي وردت معظمها في الكتاب؛ وتميل نوعا ما إلى المصطلحات اللغوية. ولقد بحثت عن معنى كل لفظة في القواميس الأمازيغية (أموال). كما اجتهدت في إيجاد المقابل الأمازيغي لبعض المصطلحات على اعتبارها لأول مرة تظهر.

ولكي لا تلتبس الأمور أشير من البداية إلى أنّ استعمالي مصطلح الأمازيغية أعني به اللغة البربرية عامة، مع أنّها غير قائمة كلغة موحدة لكل الأداءات الشفاهية أو الكتابية لصورة من صور الأمازيغية. ومن هنا لا يمنع هذا من العمل مرحلياً بكل اللهجات في أماكن استعمال كل واحدة شفاهاً وثقافة، إلى أن يحصل التوحيد النسبي في مراحل لاحقة. كما أنّ استعمالي لهجة أو لغة أعني بهما شكلا من أشكال التلاغي لكلام ما من كلام هذه اللهجات (التأدية).

ومن خلال هذا العمل أزجي كل التقدير والاحترام لكل من قدّم لي مساعدة أو مشورة علمية في إنجاز هذا العمل، وأخص بالذكر كلا من:

- الدكتور: رابح كحلوش. مدير معهد الثقافة الشعبية بجامعة مولود معمري، بتيزي وزو.
- الدكتور: عبد الرزاق دوراري. أستاذ في قسم اللغات الأجنبية جامعة مولود معمري، بتيزي وزو.
- الأستاذ: مراد حاج محند. أستاذ اللغة العربية في المدرسة الأساسية (أزمور مريم) بتيرسيتين. بتيزي وزو.

وحسبي أنّني اجتهدت، فأرجو من الله أن يمنحني أجر المجتهد.

1 - الأمازيغ والأمازيغية

مـــدخـــل:

من الصعوبة بمكان أن نتوصّل إلى حقائق مفصول فيها فـــي مســألة الأمــازيغ ولغتهم الأمازيغية؛ حيث تتضارب الآراء وتتعدّد. وقد وجدنا العديد من تلك الآراء التي تتعارض بينها، وهذا على مستوى المؤرخين أو على مستوى الباحثين فـــي اللســانيات الأمازيغية؛ هذا كلّه يجعلني أصدر بنوع من الشكّ بعض الأحكام، بل تحملني بعضهـــا على عدم ذكرها؛ لأنّها لا تستند إلى رأي مقبول. أضف إلى ذلك بعض الأفكار التـــي ليس لها سند علمي رصين.

ومن خلال كل ذلك سيكون عملي في كثير من النقاط مجرد نقلهـــا دون التعليـــق عليها، ويعذرني القارئ عندما يجد بعض الطروحات غير متكافئة، وعذري فـــي هـــذا يعود إلى غياب النصوص الأولى للغة الأصل، , ما بقي إلا اللهجات. واللهجات نعرف أنّها بفعل المدّة الطويلة تأثّرت كثيراً بلغة الوافد.

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

1.1 - الأمازيغ:

إذا بحثنا في قواميس اللغة نجد أنّ كلمة (**أمازيغ**) هي كلمة ترقية (الطوارق) تعني ساكن شمال إفريقيا، جمع: **إمازيغن/ ئمازيغن/ إمازيغان**. وفي هـــذه النقطـــة تظهـــر افتراضات واجتهادات حول هذا الاسم الذي استعمل قديماً من قبل اليونان والفينيقييـــن واللاتين. وفي مراحل الهيمنة على المغرب وإفريقيا استعمل بدله اسم (**الـــبربر**). وقـــد تطوّر اسم الأمازيغ عبر العصور. فمن اللسانيين من يرى أنّه على المستوى المعجمـــي يعني في الترقية مثلاً (أمهاغ) بمعنى (المستلب)، وفـــي الشـــلحية (أمريـــر) بمعنـــى (الشاعر)، وفي الحقل الدلالي يعني: الرجل الحرّ النبيل[1]. وكوْن الأمازيغي عانى مـــن الاستعمار الذي عاشه أمداً طويلاً، كان يأمل أن يتحرّر من القيد فسمّى نفسه **بأمـــازيغ** تيمنّا بالحرية. أو هي ردّ فعل للهيمنة الأجنبية. وتستعمل هذه الكلمة كشاهد في كثير من الأشعار مثلا:

أكّـــر أميـــسْ **أومـــازيغْ**
إطيـــجْ أنّـــاغْ يُولِـــيدْ ...
المعنى: (قم يا ابن أمازيغ
لقد طلعت شمسنا).

وإذا نظرنا إلى كلمة **أمازيغ** من منظور عربي، فنرى أنّ معظم القواميس العربية القديمة والحديثة لا تشير إلى هذه الكلمة، ولا إلى مشتقاتها مثل: مـــزغ أو أمـــزغ، أو مازغ. والكلمة التي تذكرها المعاجم وتؤدي نفس المفهوم تقريباً[2] هـــي: **مـــزر**، أو أنّ الاسم الحقيقي للأمازيغ هو **مازر**، وجمعه أمازر، و**المزير**: الشديد القلب. وقـــد مَـــزُر بالضم مزارة. وفلان أمزرٌ منه. قال العباس بن مرداس :

1 - Salem Chaker ; Manuel de linguistiaue Berbère I . Alger : 1991, Editions Bouchène, p. 281 - 285.

2 - أمازيغ في القبائلية يعني: الرجل الحرّ النبيل الذي يرفض الاستعباد؛ وهو الرجل الـــذي يعتدد على نفسه. وبعضهم يرى أنّه الفطن الحذق الذكي، وبعضهم كذلك يرى أنّه المولع بالزراعة.

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفـــي أثـــوابـــه رجـــلٌ مـــزيـــر

مَزَر اللبن ونحوه مَزْراً: شربه قليلا قليلا، مَزِرَ الرجل مزارة: اشتدّ قلبه، والمِزْر: نبيذ الذرة خاصة. ويقال الأحمق (ويقال كريم المِزْر). والمَزْر: الحسو للشراب، ويقال: تمزّرت الشرابَ: إذا شربته قليلا[3]. والأمزر: المزير من الرجال، جمعها أمازر.

وهذا التغيير في حرف الغين إلى الراء ربّما يعود ذلك إلى مســألة التبــادل بيــن الصوتين (الغاء والراء)، وهما حرف واحد في اللغة الفرنسية بالخصوص **R** فيلفظ غاءً وراءً. ومن هنا فإنّ القواميس العربية تكون قد أحدثت تحريفاً في الغين حيث قلبته إلى الراء. والعربية كما هو معروف تفرق بين الصوتين، ولكل منهما دلالته الخاصة، فالغاء من جنس العاء إطباقي جهري، والراء حرف ترددي من جنس الزاي في الكتابة.

وبعض المصادر ترى أنّ أمازيغ من كلمة أَمَزْذاغ (الساكن) وأمازيغ صفة للرجل وهي مأخوذة من أمزْذاغْ نتمازْغا (ساكن شمال إفريقيا)[4]. لكن كلّ الكتب تنصّ على أنّ إفريقيا كانت تسمى في تلك العهود (إفريقيش أو افريقوش)؛ وكلمة إفريقش تذكر بعض المصادر أنّها تسمية لملوك اليمن. وإفريقش بالذات، هو ملك يمني من الذين جعلت لهــم الرئاسة، وقد بلغ آخر المغرب[5]. إذًا فكلمة: الأمازيغ مصدر من مــزغ بمعنــى وثــب ونزع إلى التحرّر. وتارة تأتي الكلمة مَزَر وتعني: القلب الشديد.

---

3 - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط3،1 (1956-1984). بيروت: 1984، الجزء الثاني، باب الراء فصل الميم، ص 815-816.

4 - مفهوم **تامزغا** يرمز إلى الانتماء إلى وطن الأمـــازيغ، وحســب الدراســات اللســانية والتاريخية فإنّ الامتداد الجغرافي للأمازيغ في البلاد التالية: بوركينافاصو/ تشاد/ مالي/ سينغال/ جزر الكناري (الخالدات)/ موريتانيا/ المغرب/ الجزائر/ تونس/ ليبيا/ مصـــر. ولقد تعرضت هذه المناطق للهيــمنة من قبل الفينيقيين والرومان والبيزنطيين والونـــدال والبرتغال والإسبان والأتراك والفرنسيين والإيطاليين والإنجليز، وذلك ما جعلهم يئنـــون تحت وطـــأة الاســتعمار الذي لم يترك لهم محال البحث في الهوية.

5 - أحمد بن محمد أبو رزاق، الأدب في عصر دولة بني حماد. الجزائر: 1979، الشـــركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 24.

ومصطلح **الأمازيغ** ظهر حديثاً مع بداية البحث اللساني الذي أبان لنا عن أقوام يسمون **الأمازيغ**، في الوقت الذي كان يطلق على سكان المغرب مصطلح **(العرب)** وقبلها كان يطلق عليهم مصطلح **(البربر)**. وهذا ما تنصّ عليه كتب التاريخ؛ حيث، إنّ سكان شمال إفريقيا يدعون **البربر**. وأكثر **البربر** يزعمون أنّ أصلهم من **العرب**[6]. ويرى البعض الآخر أنّ كلمة **البربر** تعني الابن الصادق والصالح، ووردت في النقوش المشرقية مكررة، من **بر** الأولى بمعنى ابن بالعربية الآرامية، و**بر** الثانية من أولاد بن قيس عيلان.

وفي هذا المجال يجدر بي أن أميل إلى النسّابة العرب أولاً في مسألة جنس الأمازيغ كونهم سبقوا الغربيين في ذكر أنسابهم، وكانت دراساتهم متقدّمة جداً؛ بينما الدراسات الغربية حديثة، لكنّها هامة. فنبدأ بأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 311 هـ) الذي رأى أنّهم من ذرية سام بن نوح ((وعمليق هو أبو العمالقة ومنهم البربر. وهم بنو ثملان بن ماراب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لوذ بن سام بن نوح. وما خلا صنهاجة وكتامة فإنّهما بنو إفريقش بن قيس بن صيفي بن سبأ))[7]. وأمّا المسعودي (ت 346 هـ) فيرى أنّ البربر من ولد كوش بن كنعان بن نوح، وكوش هذا قال فيه: ((ولما تفرّق ولد نوح في الأرض، سار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر، ثمّ افترقوا، فسارت منهم طائفة ميمّنة بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبجّة والزنج. وسار فريق منهم نحو المغرب، وهم أنواع كثيرة نحو الزغاوة والكانم ومركة وكوكو وغانة، وغير ذلك من أنواع السودان))[8]. وفي موضع آخر يرى أنّه تنازع المؤرخون والنسّابة في نسب البربر. وابن حزم علي بن أحمد (ت 456 هـ) صاحب جمهرة أنساب العرب يرى ((قال قوم إنّهم من بقايا أولاد حام بن

---

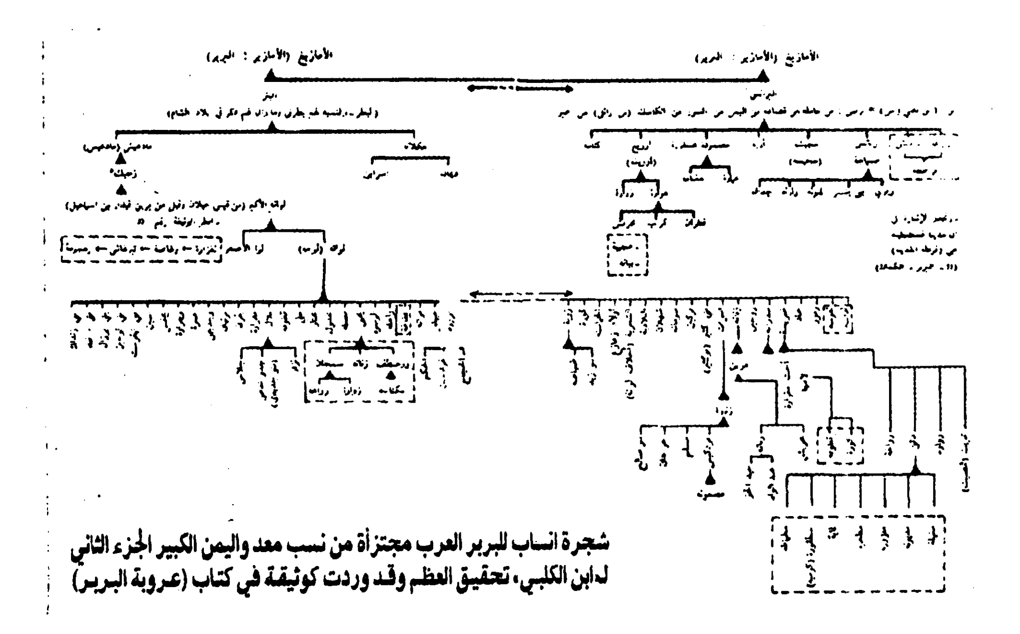
6 – ياقوت الحموي، معجم البلدان. مج 1، ص 36.

7 – الطبري، تاريخ الأمم والملوك. بيروت: ط ة دار القاموس الحديثة للطباعة والنشر ج أ.

8 – أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط6. بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع 1984، ص 22.

نوح -عليه السلام- وادّعت طوائف منهم إلى اليمن إلى حمير. وبعضهم إلى بر[9] بن قيس عيلان. وهذا باطل لا شكّ فيه))[10].

وأما ابن الكلبي فهو ينسبهم إلى العرب القدامى من نسب معد واليمن الكبير، وهم طائفة من الأمازير، وقد جسّد شجرة أنسابهم في هذه اللوحة:



شجرة انساب للبربر العرب مجتزأة من نسب معد واليمن الكبير الجزء الثاني لابن الكلبي، تحقيق العظم وقد وردت كوثيقة في كتاب (عروبة البربر)

وأما ابن خلدون والذي ينقل عن النسّابة فيرى أنّ البربر ((يجمعهم جذمان كبيران هما: بُرن وماذغيس. والبُرانس من نسل مازيغ، ويقول إنّ النسّابة يجمعونهم في: ازداجة/ مصمودة/ أوربة/ كتامة/ صنهاجة/ أورغة))[11]. وفي موضع آخر يشير

---

9 - يرى الباحث محمد علي مادون إنّ كلمة بر في النقوش المشرقية تعني: الابن الصادق والصالح. ونشير إلى أنّ هذا الباحث في كتابه: عروبة البربر الحقيقة المغمورة، قد كشف بالوثائق والأدلّة المكتوبة ما يؤكد عروبة الأمازيغ، ويؤكد مقولة أنّ إفريقش وطّن في بلاد البربر قبائل عربية كانت من كنعان وحمير، وإنها تبربرت في عصور لاحقة.

10 - ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط1. مصر: دار المعارف ج 2، ص 495.

11- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيروت: 1968 ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، المجلد السادس.

إلى أنّ صنهاجة وكتامة ذات أصول عربية ومن قبائل حِمْيَر؛ أي أنّهما (القبيلتان) من أصول حامية من اليمن، وهاتان القبيلتان تشكلان أغلبية البربر. كما أنّ القبيلتين تتواجدان في المغرب، ويضاف إليهما صنهاجة. وفي موضع آخر يرى أنّهم أولاد برّ بن قيس بن عيلان[12]، حيث يؤكّد ما أبطله سابقاً ابن حزم. ومع كل ذلك نرى أنّ هذا التقسيم الذي ذكره ابن خلدون يخصّ منطقة المغرب العربي على وجه التحديد؛ حيث يتواجد المصامدة في الأطلس الكبير، وأهل السوس في الأطلس المضاد (الزناتة)، ثمّ قبيلة صنهاجة في نواحي أكّادير وما يجاورها، وبعض قبائل زناتة في تلمسان بالجزائر، ولا يخصّ كل المناطق التي تتواجد فيها هذه اللغة (الأمازيغية). وابن خلدون نفسه يوضّح في موضع آخر الأصول أو الجذور الأولى فيقول: إنّهم من ولد كنعان بن حام بن نوح، وقال في مقام آخر: إنّ أبناء حام ثلاثة: كنعان جد البربر، ومصرايم جدّ قدماء المصريين، وفلسطين جدّ قدماء الفلسطينيين.

وهناك آراء غربية ترى أنّ البربر من سكّان فلسطين، وكان ملكهم جالوت أي أنّهم جاؤوا إلى المغرب من مهد الحضارات. وآراء أخرى غربية كذلك تقول: إنّهم من أوربا الشرقية، ويستندون إلى السمات العامة لملامح الرجل البربري، فهم يُعَرِّفون البربر أو الأمازيغ بأنّهم: جنس أبيض يتواجدون في سيوا بمصر وشمال إفريقيا. ويرى الرائد G GAUVET استناداً إلى أسماء قبائل التوارق أنّهم مجلوبون من قبائل هنود أمريكا، ويدخل هذا في إطار الهجرات التي تمّت سابقاً، ويرى أنّ هذه القبائل جاءت إلى إفريقيا عن طريق شمال وجنوب آسيا، وقبائل عن طريق القوقاز، وقبائل مرّت عن طريق أوربا الغربية[13]. ولكن هذه الحجّة لا تعكس الوجه الأصلي للسمات الأوربية من حيث الملامح، ومن حيث اللباس والنظام الأسري، وغير ذلك من الملامح التي تميّز الأوربي. كما أنّ تسمية أسماء القبائل بأسماء قبائل هنود أمريكا ليست حجّة؛ حيث إنّ التسميات التي استند إليها تعود إلى البداية الأولى لنشأة اللغة، وطبيعي أن تكون بعض

---

12 – مقدّمة ابن خلدون، المجلد السادس، ص 86.

[بالنسبة لاسم هذا الجدّ وجدناه مرة بن قيس بن عيلان، ومرة دون ابن].

13 – Les Berbères en Amerique Alger : IMP J Bringau مقدمة الكتاب.

الأسماء متّفقة، كون الإنسان البدائي يتلفّظ بأسماء تقرب إلى أصوات الطبيعة وأصوات الحيوانات. وهناك من يرى أنّ اختلاط العرب والأمازيغ بالبونيقيين؛ وهم الفينيقيون القادمون عبر البحر من الساحل الشرقي للبحر المتوسط، كان في حدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد، والبونيقيون عرب من بني كنعان، وقد اختلطوا بالبربر الذين هم عرب من العاربة القحطانية[14].

وهكذا تتضارب الآراء، ولكن إذا سلّمنا بذلك فكيف يقبل البربر الدين الإسلامي ولم يتقبّلوا غيره من الديانات، كالتي اعتنقها هنود أمريكا، أو الديانات التي اعتنقها الأوروبيون. وقد فرضت اليهودية عليهم (البربر) فرضًا فتهوّد البعض منهم وتمسّح البعض، لكن ما إنْ أُزيلت الهيمنة حتّى تركوا الديانتين. ومن هذه الزاوية يرى علماء العرب أنّ هناك عقدَ وصلٍ أو الحبل السري بين البربر والعرب، كونهم تقبّلوا الدين الإسلامي ولم يتقبّلوا الديانتين السابقتين. هذه الديانة التي قبلها البربر بسهولة ولم يَقْبَل بها الفرس حتى دُمرت مملكتهم، بينما قبل سكان شمال إفريقيا هذا الدين بعد حروب لم تؤدِ إلى خسائر جسيمةٍ[15]. كما أنّه لم يثبت تاريخياً أنّ الغربي استعمر غربياً آخر ونحن نعلم أنّ فرنسا استعمرت العالم الإفريقي تقريباً، كما أنّ الجانب النفسي مهم جداً؛

---

14 – محمد علي مادون، عروبة البربر الحقيقة المغمورة. دمشق: 1992، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، ص53. وبودي أن أشير إلى ترجمة علمية لهذا الباحث. فهو باحث في التراث والتاريخ وخبير في الأنساب العربية والخطوط العربية بأبجدية حمير (المسند وفروعه الثمودي واللحياني والصفاني) وله العديد من المؤلفات في النقوش العربية القديمة.

15 – تنصّ كتب التاريخ على أنّ الفتح النهائي لبلاد المغرب لم يتمّ إلا على يد الفاتح العربي السابع حسّان بن النعمان؛ والذي تكبّد خسائر على يد دهياء (الكاهنة) قرب بلدة مسكيانة من جبال الأوراس، وذلك عام 74 هـ، وقد أسرت الكاهنة مجموعة من جنوده، وبذلك انسحب إلى برقة في انتظار المدد من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. وتكون هذه الواقعة هي الأخيرة قوّة، حيث لم يجد المسلمون صداً قوياً من قبل الأمازيغ الذين أعطوا الإسلام حقه في بلاد المغرب، وأولوه أهمية جدّ معتبرة، حيث عبروا البحر لنشره في **الأندلس**، واتّجهوا صوب **الصحاري والسوادين** للدعوة إلى التوحيد وهدي الناس إلى الصراط المستقيم.

إذ كيف يلتجئ الجزائريون بعد نكسة الأمير عبد القادر (ت 1883م) سنة 1847م وما بعدها إلى المشرق زرافات، ولم يذهبوا إلى الغرب!

وترى فرضية أخرى أنّ البربر من أصول مشرقية، وقد تمّت الهجرة من بلاد الحضارات إلى المغرب لأجل تعمير الأرض، هجرات تمّت من بلاد اليمن، وأنّ أصحاب هذه الفرضية يستندون إلى التقارب اللساني بين اللهجات الأمازيغية الحالية وخاصة الشاوية المتداولة في الجزائر (مناطق الشرق الجزائري) واللهجة اليمنية المتداولة في اليمن الحالي، وفي منطقة حضرموت على وجه التحديد، وكذلك لوجود الصلات اللغوية بين اليمنيين حالياً في عُمان وعند الإباضيين[16] في الجزائر. كما يحتجّون بمسألة الفنون والعادات وخاصة الرقص الذي يرونه جدّ متقارب بين المنطقتين.

وفرضية أخرى تعتمد مصطلح **القبائل** فهو من المصطلح العربي (القبائل) مفرد القبيلة (الجماعة من الناس تنتمي وتنتسب إلى أب أو جدٍّ واحد، أو وحدة نظامية للعائلة ثمّ يسري ذلك النظام على المجموع). وللقبيلة نظامها الخاص بها، كما كان للقبائل البربرية نظامها الخاص بها وعاداتها المميزة. ومن معنى القبيلة (رابطة) أو (الجمع) وهذا لمواجهة أخطار الطبيعة بالعمل الجماعي، ومن هنا تشتهر بما يسمّى بالتويزة (ثِويزي) وهو نظام جماعي مفروض عليهم لصعوبة المعيشة التي استدعت التعاون في إنجاز الأعمال. وفي هذا المجال يجدر بنا الرجوع إلى اللغة الأمازيغية لنعرف

---

16 – تعرف الموسوعة العربية الميسّرة كلمة (**إباضية**) كما يلي: فرقة من معتدلي الخوارج في البصرة والكوفة، تنسب إلى عبد الله بن إباض الذي عرف في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وعاصر عبد الله بن مروان. قام على أمرها من بعده أئمة متلاحقون، عمرت طويلاً، وانتشرت في ارجاء مختلفة، وهناك إباضيون حتى اليوم في **عمان والجزائر وزنجبار**. والإباضية لا تقول بكفر غير الخوارج ولا بشركهم، وتبيح الزواج منهم. ترى ضرورة الإمامة بناء على اختيار الشيوخ وأهل الرأي، وليس بلازم ظهورها دائماً، فقد يبقى اختيار الأمام في طي الكتمان. تسلم بأصول الفقه التي قال بها أهل السنة فيما عدا الإجماع. الموسوعة، المجلد الأول، أ–س. بيروت: 1986، ص1.

معنى (**القبائل**). فانطلاقاً من القبائلية، فإنّ **لَقْبـايَلْ**، أو **أَقْبَـيْلي** يعني: ذلـك الجنس الآمازيغي الموجود في الجزائر؛ والذي يتكلّم القبائلية. وهو من جنس الذين يتكلمـون اللسان البربري الأمازيغي. وشرح آخر يقول: سُمّوا **لقبـايل** كونهـم قبلـوا الدين الإسلامي. كما أنّ فئة أخرى تستند إلى الجانب الزراعي الموجود في المشـرق، فلـه مثيله عند القبائل، مثل زراعة الزيتون التي نقلها الفينيقيون من الشرق العربـي، وقـد استغلّها البربر بشكل كثير وتقبّلوها ثمّ طوّروها، وهذا في نظرهم ما يرجّح أنّ الأصول واحدة. وافتراضات أخرى ترى أنّهم نشأوا بالمغرب وليسوا منقولين من مكان آخر.

ومن هنا نلاحظ مرة أخرى تضارب الآراء وكثرتها، إذ يذكر المؤلف رأيـاً ثـمّ يَعْدِل عنه ثمّ يناقضه آخر. وعلى سبيل المثال نجد تناقضاً كبيراً في أقوال بعض النسّابة العرب، وأقوال ابن خلدون الذي يستثني قبيلتي صنهاجة وكتامة؛ فيرى أنّهما من حِمْيَر بينما قبيلة زناتة التي ينسبها ابن خلدون إلى القبائل العربية، نجد من ينسبها إلى كنعـان بن حام بن نوح عليه السلام، كما نجد من يعود بأصول البربر إلى أكبر القبائل العربية زناتة وصنهاجة وكتامة. وهناك من يرى أنّ زناتة من أصول بربرية، إلا أنّ التسـمية هي من إطلاق العرب عليهم نتيجة حملات التعريب فقط... .

ومع هذا التضارب فإنّ أكثر النظريات والآراء تنحو وتؤكد نزوح البربر من بلاد العرب، لأنّ البشر كلّهم تفرّقوا من تلك المنطقة؛ كونها منطقة الديانـات والحضـارات ولكنّه يصعب التحقيق في الأمر أمام هذه المدّة الزمنية الطويلـة؛ والتـي بقيـت دون تدوين. ونعرف أنّ الأمازيغية تفتقر إلى المعيارية لأنّها غائبة عن دواليب الثقافة، بسبب عدم الكتابة التي كانت هي الذاكرة المفقودة، بل هي السبب الكبير في عدم توحّدها، ممّا أدّى إلى وجود لهجات كثيرة منها.

والمهمّ أنّ أكثر النظريات والآراء تقول: إنّهم من السـكان الأصليين لإفريقيـا ولسكان شمال إفريقيا خاصة، وقد حصل لهم الاندماج بالروم وبسكان إسبانيا وإنجلـترا أثناء فتح الأندلس، وذهابهم مع كريستوف كولومب إلى أمريكا، فنَسِيَ بعضهم عـاداتهم واحتفظ بها سكان الصحراء والريف (الجبال). وقد حصل أنّ اندمجوا كليّة مع العـرب

الفاتحين وعملوا على نشر الدين الإسلامي في غير موطنهم. ومن هنا تتجسّد النظرية التي تقول: إنّ الأمازيغ شعب مطواع لمن يحتكّ به ((وقد تطوّرت عادات البربر بحسب تأثرهم بمن زحف عليهم من الأمم فكان دينهم الماجوسية، ثمّ تنصّروا في أواخر القرن الثاني الميلادي، ودخلت اليهودية بلاد البربر مع البربر المتهودين؛ الذين جاؤوا من اليمن، أو هاجروا من سوريا بعد سقوط البيت المقدس))[17].

وإنّ السكان الأصليين (**الأمازيغ**) عرفوا الفتح الإسلامي في سنة 21 هـ وبعد الاتّصال المباشر بالمسلمين على عهد عقبة بر نافع (ت 63 هـ)، وبعد حروب ضارية دامت 70 سنة، وقد ارتدوا مراراً، نتيجة تصرّف بعض القادة العرب، مثل يزيد بن دينار، وإسماعيل بن عبد الله بن الحبحاب، ولم يثبتوا إلا بعد أن ثبت الإسلام في قلوبهم، وكان ذلك خلال حكم موسى بن نصير[18] عام 88 هـ الذي حكم بيد من حديد.

---

17 – محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة. بيروت: دار إحياء التراث العربي مجلد 1. بربر ص 342 (بتصرف). وينظر:
Encyclopedie de l'islam (A-B). Paris : Edition G P Maisonneuves.

18 – إنّ موسى بن نصير المولود سنة 19 هـ تأثر بمآثر القائد العربي الفذّ خالد بن الوليد ولقد ابتدأ طريقه إلى فتوحاته في الشمال الإفريقي وإسبانيا باتّصاله بوالي مصر عبد العزيز بن مروان الذي ضمّه إليه. وعند ذلك أتيحت له فرصة إكمال عمل عقبة وحسان بن النعمان. ولقد أقام في الشمال الإفريقي حكماً إسلامياً عربياً متيناً مدعوماً بحسن الإدارة والسياسة واعتماد العدل ونشر الإخاء، وذلك ما جعل طارق بن زياد يوثق معه صداقة مميزة. وتذكر لنا المصادر أنّه وقعت مراسلات بين طارق وموسى بعد عودته إلى المشرق، وفيها ينوّه طارق خصال قائده، كما يبرز له وجه الإخلاص والتفاني في خدمة ما تدعوه إليه الدعوة البديدة من بذل وتضحية وإيمان، كما يبرز الشعور بالإخاء والحب الذي ربط بين الجدي وقائده في غرض نبيل بينهما. ونقتطف جزءاً من **رسالة طارق لموسى:**

يا أخي، والإخاء عقد لواعينا، أناء بالمكرمات كداني؟
أين ألقاك في زحوفك بل أن على حل زاحف تلقاني؟
سألت ضمّر الجياد: من الغازي؟ أيمضي ثبتاً بألف جنان؟
ومن الفارس الذي صهوات الموت كانت له مطايا أماني؟

ويردّ موسى على هذه الرسالة فيقول:

وقد اعتنقوا الإسلام، واندمجوا مع العرب، كما قرّروا اتّخاذ لغة الدين (العربيـــة) لغــة رسمية. أي أنّ الأمازيغ أقبلوا على تعلّم العربية حتى استعربوا، ولم يبــق إلا الشــيوخ والعجائز، فنتج عن ذلك تجانس (بربري-عربي) أعطى الصـــورة الثقافيــة الأصيلــة وبنيت على أساسها الحضارة الأندلسية والمغربية في عهد المرابطين(1147) والموحدين (1147-1272). وأمام هاتين الحضارتين نشير إلى أنّ البرابرة (الأمازيغ) كانت لهم اليدّ البيضاء في تأسيس كل من دولـــة الأدارســـة والمرابطيــن والموحديــن والمرينييــن والسعديين، وقد تواجدت ممالكهم في كل من المغر ب والجزائر بشكل خاص.

وعلى العموم فإنّ الامتداد الجغرافي لمناطق البربر (الأمازيغ) واسعة جداً؛ حيــث ترى المصادر أنّ البربر (الأمازيغ)[19] هم الأشراف الأحرار الذين نزحوا إلــى شــمال إفريقيا، وانتشروا في ربوع المغرب وجهات من الصحراء الكبرى وأطراف من مصر واستقروا ببعض جزر البحر المتوسط، وكان ذلك في العصور القديمة التي لا تقلّ عن ثلاثين قرنا ق.م، وللبربر خصائصهم الجنسية، وعاداتهم، ولغتهم المتميزة بذاتها.

وأما كلمة (البربر) فنعلم أنّ المعنى القبائلي إضافة إلى ما ذكرنـــاه تعنــي: أبـــربار أبـــربري إيـــبربر جمع إيـــبربريين بـــ: الذي يخلط في الكلام، أو من يلفـــظ الكـــلام دون فهم، وهذه الكلمة تستعمل الآن في القبائلية إشارة للسخرية والتهكم، فعندما يقـــول

إيه يا (طارق) العلا يا عقاباً مغربياً طلق المدى والعنان
عمرك الله يا سليل الأشداء من الماجدين والفرسان.
المناجيد لوحت منهم الشمس جباها إلى السماء رواني ...

19- تمكن الأمازيغ بعد حروب طويلة مع الرومان والوندال من تأسيس أول دولـــة حقيقيــة منتظمة، وكانت عاصمتها نوميديا قرب قسنطينة تحت إمرة سيفاكس. وفي ســـنة 260 ق.م كان ماسينسا سيّد الشمال الإفريقي بعد أن قهر خصمه سيفاكس، فأسّس دولة تمتد من خليج سيرتا شرقاً إلى حدود موريتانيا غربا. وتجمع المصادر التاريخية أنّ القـــرن الثالث ق.م كان بداية لظهور الممالك الأمازيغية؛ حيث تمكّنوا آنذاك من إنشـــاء عـــدة دول راقية في تنظيماتها، لكنّ التناحرات القائمة بين ورثة ماسينيســـا وبيـــن أولاده أو الصراعات الخارجية قضت على تلك الممالك، وكان ذلـــك ضعفـــا كبـــيرا فـــي دول الأمازيغ، فسهل أن يندمجوا في الحضارات التي جاءت بعد ذلك.

أحد: ثـيبربريث: يعني بها الشيء الغامض والمجهول، أو الدعوة إلى ترك الأمر. كما أنّ هـذه الكلمـة ما زالـت تتجسّـد حاليـاً فـي كثيـر من أسـماء القـرى مثـل: بـربار إيـبربارن ثـيبربريث... .

وفي العربية يقول المعجم الوسيط عنها ما يلي: بربرتِ الدّلو: صوّتت في المـاء فهي بربار وبَرْبَرَ التيس أو الأسد: علا صوته عند الهياج. وبَرْبَرَ فلان أكثر الكلام في جلبة وصياح. وبَرْبَرَ: خلّط في الكلام مع غضب ونفور. البربار: الأسد. بِرْبِـر: اسـم صوت لدعاء الغنم إلى العلف.

ويرى المعجم العربي الأساسي: بَرْبَرَ، يُبربِر، برْبرَة الشخص، أكثر الكـلام فـي جلبة وصياح، خلّط الكلام في الكلام بغضب ونفور وجمعه بربـار. والبربـار: هـي الوحشية والهمجية، وهي كلمة ظهرت في العصر الرومـاني، وكـانت تطلـق علـى الشعوب الغريبة عن الحضارة الرومانية، ثمّ خُصّ بها أهالي شمال إفريقيا، واسـتعملها الرومان لتمييز شمال إفريقيا. والبربر: في أقوال أخرى هم قبائل مسلمة تقطن شـمال إفريقيا، انتسبوا إلى أمازيغ، شاركوا في فتح الأندلس بقيادة أحد أبنائهم طارق بن زيـاد (ت 102 هـ/720 م) اختلطوا بالعرب، ومنهم الأغالبة والمرابطون والموحدون. ونجـد الشيء نفسه في المعجم العربي الأمازيغي: بَرْبَر أكثر الكلام، ئبلبل، بتفخيـم اللاميـن وهو فعل متكسّر: ؤر يلبليل؛ أر يتبلبيل، أد يبلبل، ؤر يتبلبيلح بلبل، أور تبلبيل. بربـر التيس للهياج: ئبلبل أيضاً. البربر سـكان المغـرب: ئمـازيغن. الـبربري: أمـازيغ ج. ئمازيغن. البربرية اللغة: تامازيغت[20].

البَـرْبَـر إذاً: شعب أكثره قبائل تسكن الجبال في إفريقيا، جمع: بَـرَابر وبرابرة. البَرْبَرِي واحد البربري. وحياته غير مستقرة؛ يسكن الريف والجبال، لـه خصائصـه الجنسية في الطول والشعر ولون العين وشكل الجمجمة وله عاداته الخاصة بـه ولغـة متميزة، يتأقلم مع كل الأنماط الدائرة حوله.

---

20 – محمد شفيق، المعجم العربي الأمازيغي. الرباط: 1989، الجزء الأول، ص 164.

كما أنّ كلمة **البربر** كمصطلح، أطلقت على أسماء مدن في العالم العربي مثل **بربرة**: قاعدة مديرية في السودان بين دنقلة الأوردي والخرطوم، كانت عاصمة الميرفاب في عهد دولة سنار. كما تحمل هذا الاسم مدينة أخرى في السودان تمتدّ من حلة إلى حجر العسل. وفي الصومال مرفأ يسمى **بربر**.

ونظرية أخرى ترى أنّ الكلمة (بربار) تطلق على القبائل الجرمانية والمغولية التي هاجمت الإمبراطورية الرومانية في القرنين الرابع والخامس الميلاديين وأسقطتها عام 476م. **فالبرباري** عندهم: يعني الوحشي، وقد أطلقها الرومان على شعوب المغرب الكبير، كونهم يعيشون في الجبال وأذاقوهم أشدّ أنواع التنكيل في حروبهم معهم. ويرى آخرون أنّ كلمة البربر أطلقها الإغريق على الشعوب الأوربية التي لا تتكلّم لغتهم. كما يرى ابن خلدون أنّ تسمية البربر على السكان أطلقها إفريقش عليهم عندما قال: ما أكثر بربرتكم. وأنّ عمر بن الخطاب (ت23هـ/644 م) استعملها عندما جاءه وفد شمال إفريقيا، الذين تحدثوا إليه بكلام غير مفهوم عنده فقال: **ماذا تُبربِرون؟** أي اختلاط الأصوات من غير فهم. والكلمة أصلها من بَرْبار العربية، أو Barbari اللاتينية، أو Barbaroi اليونانية، وتعني في كل الأحوال كثرة الكلام دون معنى أو فهم.

وكما تنصّ بعض المصادر على أنّه قبل دخول العرب إلى المغرب في القرن السابع الميلادي كان البربر (الأمازيغ) يواجهون ضراوة الهجومات الأجنبية (الرومان) وبذلك أطلق الرومان كلمة (**البربار**) بمعنى **الهمج** على السكان الأصليين؛ نظراً لضراوتهم في الحروب وشدّتهم، وبقيت تلك الكلمة توظّف بمعنى الجلد والقوّة، وقد أطلقت خصيصاً على سكان المغرب العربي بما فهم العرب بحكم المسكن. وأمّا الفينيقيون، فلم يحتكّوا مع السكان كونهم تجاراً، لذّهم استعملوا الكلمة نفسها التي يراد بها **التخلّف والهمج**، وأطلقوها على السكان الأصليين لشمال إفريقيا، في الوقت الذي كانوا يعيشون في ظلّ ثقافات وثنية متنازعة، تولّد الميثولوجيات بعضها من بعض وكانوا يتصارعون على الآلهة التي تجلب لهم الخير والشرّ، إلى أن ظهرت ثقافة الإسلام التي قضت على كل تلك الأنماط التي كان فيها الفينيقي يلّف حولها.

وأعود لأؤكد صعوبة الوصول إلى استخلاص رأي دقيق أمام هذه المدّة الزمنية الطويلة التي لا نملك عنها أدلة مكتوبة صارمة، بل هي مجرد فرضيات قد تجانب الحقيقة وقد تصيب، لكنّ الدراسات الأنتروبولوجية والاجتماعية التي هي الأساس لا يمكن فصلها عن الناحية اللسانية، بل يكون اللسان نتيجة لها. ويمكن لهذه الدراسات أن تكشف الشيء الكثير عن هذه اللغة وهذا الجنس.

ومع كل ذلك فإنّ التساكن والتزاوج مع العرب كان عاملا من عوامل الاندماج التام، ومسألة الأصيل والدخيل يصعب تحقيقه، ولا تتحقّق عن طريق الكلام، فمن يتكلّم العربية فهو عربي، ومن يتكلّم الأمازيغية فهو أمازيغي، ومن الخطأ أن نقول: إنّ الفروق اللغوية هي التي تعكس التقابل بين جنس عربي وجنس بربري؛ لأنّ أكثرنا مستعربون، ومن أصل أمازيغي عرقيا، وهنالك مجموعات مستمزغة وهي من أصل عربي، فكيف يكون التمييز إذن بين الأمرين؟

واللغة العربية لم تطمس اللغات أو اللهجات، ولم تحدث تغييراً معتبراً في الشؤون الاجتماعية، كما أنّ الدين الإسلامي لم ير العيب في اختلاف الألسنة ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين ﴾.الروم 22. كما أنّ الصراع بين العربية والبربرية لم يدم طويلاً حتى اندمج العرب والبربر في أكثر من موضع، بل ذابت اللغة الأمازيغية ذوباناً كبيراً في العربية كونها تحمل الإرث الروحي الذي لم تحمله اللغات التي احتكت بها سابقاً. كما أنّ الحروب الكثيرة بين الرومان والبيزنط وغيرهم (الغازي المستعمِر) يجعلنا نفرق بينهم وبين العرب الناشرين للدين؛ والذين لم تدم الحروب معهم أكثر من 70 سنة، ثمّ أسلم البربر وجاهروا بالدين ونشروه في ربوع الأندلس؛ لأنّ هذا الدين قريبٌ من نفوسهم وفكرهم ومعتقداتهم، أكثر من وثنية الرومان والوندال، أو ربّما هو الحنين إلى الوطن الأم. وهكذا تَبَرْبَر العرب وتعرب البربر في ظرف زمني قصير، وصاروا إخوة في الدين واللغة. وإنّ فتح الأندلس كان بفضل البرابرة الأشداء الذين ساعدوا تلك الفئة القليلة من العرب المسلمين التي أتت تريد فتح تلك العدوة، فتمكنّ البربر من فتحها في ظرف زمني قصير.

ونخلص من كل الذي سردناه أنّ القواسم المشتركة بين الأمازيغ والعربية جليّة في عدة أبعاد، وهي:

1 – وجود اثني عشر حرفاً في التيفيناغ تشبه خط المسند العربي الجنوبي. وهـذا ما أثبته الأستاذ علي مادون في أبحاثه حول هذا اللسان، كما يبيّن هذا الشكل:

2 – تفاعل الأمازيغ تفاعلاً إيجابياً مع كل ما هو مشرقي.

3 – طبيعة قبائل التوارق (الطوارق) الرحلة، والترحال سـمة العربـي قديمـاً. وهؤلاء التوارق متفاعلون كثيراً مع العروبة، بل انّ صلتهم وثيقة جداً مع أهالي زنجبار وعمّان الإباضية، وهم الذين قال فيهم الشاعر:

قوم لهم شرف العلى من حِمير   وإذا دعـوا لمتـونـة فهـم هـم

لمّـا حـووا عليـاء كـلّ فضيلـة   غلـب الحيـاء عليـهم فتـلثّـموا

4 – الذوبان التام في العربية والإسلام.

5 – الأمازيغ هم الذين استعربوا أنفسهم[21].

6 – تعلّموا العربية وعلّموها ونشروها خارج أوطانهم.

---

21 – لم تذكر لنا كتب التاريخ أنّ العرب الفاتحين أرغموا الأمازيغ على اتّخاذ اللسان العربي وسيلة اتّصال أو علم، بل كان همّهم (اسلم تسلم). وأما اللسان العربي فقد اتّخذ طواعية من قبل السكان ضمن معطيات عصرية آنذاك، هي: الإسلام/ لغة الحضارة/ فهم لغـة الوافد/ الانبهار بالجديد.

2.1 – الأمازيغيّـــة:

إنّ اللغة ظاهرة مكتسبة تخضع للشروط التي يعيشها المجتمع الإنســاني، وهـي تنعدم بانعدامه، لكنّها السّمة الاجتماعية التي تحدد ارتباطها الوثيق بمجموعة كبيرة من المعطيات. إذاً لدراسة اللغة كان لا بدّ أن تدرس خلال التطوّر الاجتمـاعي. وبمـا أنّ اللغة لا يمكن أن توجد إلا في مجتمع، فإنّ علم اللغة يرتبط بالدراسات الاجتماعية التي تتناول بنية المجتمع وتطوّره (Sociolinguistique)، وهذا لمعرفة الظواهـر اللغويـة خلال تطوّرها الزمني، كما لا ننسى دراسة مفردات اللغة وتصاريفها وبنائها القواعدي على الحال التي هي فيها.

ومن هنا فإنّ اللغة هي المحكّ، أو الحكم على وجود الناطق بهذا اللسان، وكونهـا الخاصية الأولى لتمييز البربر (الأمازيغ) عن غيرهم من الشعوب، كما أنّهـا المحـكّ الحقيقي والمتبقي لهذا الشعب، بل إنّها المصدر الأساس الذي يمكـن الاعتمـاد عليـه للوصول إلى نتائج شبه مقبولة من حيث أصولها وجنسها.

كان بودي أن ألمّ بمجموعة المعطيات المتعلّقة بمصطلح الأمازيغية. **فالأمازيغيـة:** هي اللغة الأمازيغية، **وتامازيغت:** معرفة الأمازيغ قديماً وحديثاً، ودراسة طرائق الهيمنة عليهم والتناحرات فيما بينهم وردّ الاعتبار لهم. **وتامزيغت:** ما يميّز الأمـازيغي عـن غيره، فهي صفة معرفة إنسانية، ويمكن أن ينتمي إليها غير الأمازيغي. وهذا المصطلح يتناول كذلك الأمازيغيين الذي يعانون صراعاً داخلياً على أنّهم مقهورون عبر التاريخ.

إنّ الأمـازيغيّـة هـي اللغـة التـي ينطـق بهـا سـاكن شمال إفريقيا بالخصوص وهي تلك اللغـة الجامعـة للغـات البربرية. لكن المصادر تـرى أنّ هـذه اللغـة لا توجد، بـل هـي شـيء مجـرّد، ولـم تتجسّـد في صـورة لغـة التراث، وحتـى إنْ وُجدت فهي لغة ميتــة[22]، وما يوجد الآن هو كلام هذه اللغة أو لهجاتها. الأمازيغية

---

22 – يبدو لنا أن عامل الزمن قد فعل فعله في هذه اللغة الشفوية التي أتى عليها حيـن مـن الدهر كانت فيه مستعملة، ولكن احتكاك الأمازيغ بغيرهم بفعل الاستعمار جعل لسـانهم يلحقه التطوّر، حتى تعدّدت لهجاته وأنماط التلاغي بها، بل وصل عدد هـذه اللهجـات

هي اللغة الأم (الأمازيغية الأولى Protoberbére كما سمّاها Karl G. Prasse) وهذه اللهجات يُتلاغى بها في أماكن مختلفة، هي أداءات تستعمل في البيت والسوق، وهي لغات التواصل اليومي غير التخصصي أو غير الرسمي. وهناك من يعرّف الأمازيغية بأنّها ((هي لغة الزاي))[23]، وهي لغة قائمة بذاتها ليست لهجة متفرعة عن لغة أخرى ولها لهجاتها المتفرعة عنها، المنتشرة في المغرب والجزائر وليبيا وتونس وموريتانيا ومالي والنيجر وبوركينافاصو، ((وكلّها تلتقي في أصل واحد بصورة واضحة لا في معطياتها النظرية فحسب، ولكن حتى في معطياته المتّصلة بالممارسة والاستعمال))[24].

ولغات الأمازيغ هي المعروفة باللغات البربرية؛ والتي تنقسم إلى: الترقية/ القبائلية/ الشلحية/ الريفية/ الشاوية/ التامازيغية. ومن لغاتها الميّتة: الليبية/ النوميدية/ الجيتولية[25]. وهذه اللغة (البربرية) تصنّف على أساس التقارب الجنسي في اللغات

حسب بعض الدراسات إلى 30 لهجة. ومن الطبيعي بمكان أن تكون هناك لغة الأولى لهذه اللهجات، ولكنّها اندثرت بفعل:

- توزّع الأمازيغيين في مناطق متباعدة بينها، أدّى إلى ظهور خلافات بين اللغة الأم.
- عدم تأسيس المدنية التي تعمل على ترقية اللغة، بل كانت هناك صراعات عسكرية عملت على اللاستقرار.
- لم تكن هناك دولة مركزية للأمازيغ تفرض لغتها فرضاً قهرياً، حيث إنّ ممالیك البربر -نظراً لضعف دولهم- لم يقووا على التعامل بلغتهم.
- هناك جانب نفسي، أو حبّ لغة الغير، ومن هنا تراهم مولعين بلغة الوافد.

23 - قال بهذا الباحث المغربي محمد شفيق، وهو يطلق من القول المتداول بأنّ العربية لغة الضاد؛ أي لا يوجد هذا الحرف في اللغات الأخرى (وهو قول غير دقيق) فأراد الأستاذ أن يقول بأنّ الأمازيغية **لغة الزاي**. والزاي هنا هي الزاي المفخمة والمتداولة في اللغة الفارسية عند نطقك لحرف (ظ) مثلاً.

24 - عمر تقي، اللغة الأمازيغية ومصطلحاتها القانونية. المغرب: 1997، مطبعة فضالة ص 19.

25 - عماد حاتم، في فقه اللغة وتاريخ الكتابة، ط1. ليبيا: 1982، طرابلس، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ص 95.

السامية -الحامية، وتنقسم إلى: العربية/ الأسرة المصرية/ الأسرة الكوشيتية/ **الأسرة البربرية**/ الأسرة التشادية - الحامية[26].

وتشير كثير من المصادر إلى أنّ الأمازيغية (البربرية) من لغات العالم الإسلامي وتوجد على شكل جيوب لغوية في كل من مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا وجزر الكناري والنيجر وبوركينافاصو؛ وتحدّ حدودها من سيوا بمصر إلى المحيط الأطلسي، وإلى منعطفات النيجر في إفريقيا، وتمس بحيرة التشاد، ونهر السينغال؛ وفي هذه المناطق توجد الأمازيغية على شكل جيوب فيها المجموعات اللغوية المختلفة للأمازيغية، وهي ما تسمى باللهجات الأمازيغية. وأكثر اللهجات انتشاراً تلك اللهجة التي يُتعامل بها في الريف المغربي، وهي (تاريفيت) لهجة زناتة، وهي لغة 80% من الشعب الأمازيغي في المغرب.

وما يهمنا في اللغات الأمازيغية هي المجموعات اللغوية المتواجدة في الأراضي المغاربية، والتي يرى في صددها ابن خلدون، أنّها تنقسم إلى مجموعات ثلاث وهي:

1 - مجموعة أمازيغية زناتة.

2 - مجموعة أمازيغية صنهاجة.

3 - مجموعة أمازيغية مصمودة، أو كتامة. وقد كان تركيزه عليها، كون أنّ المجموعات اللغوية الكبيرة تتواجد في هذه المناطق.

ويعود أصل اللغة الأمازيغية إلى الحامية[27] وهي من أقدم اللغات، بل هي أخت اللغة السامية التي تنحدر منها العربية، وجذورها الأولى تعود إلى مهد الحضارات؛ بلاد الشرق العربي؛ حيث نشأت كل الحضارات العالمية، ثمّ توزّعت على مختلف أجزاء المعمورة، بدءاً من البابليين والفينيقيين، وغيرهم من الأقوام الذين سادوا أيام مجدهم.

---

26 - لمزيد من التعمّق في هذه النقطة، يراجع ما كتبه مارسيل كوهن Marcel COHEN حول المجموعة السامية-الحامية. وينظر مقال أندري باصي André BASSET المنشور في: Revue le Monde non chrétien , no 11 Juillet-Septembre 1949.

27 - ينظر: Marce COHEN, L'éssai comparatif sur le vocabulaire du chamito-sémitique. Paris: 1947

ومن المفارقات أنّ هذه اللسان (أموال أُومازيغ)[28] أو أوال، أو إلْس أمازيغ عريق جداً، وله ثقافة أصيلة، لكنّه مهمّش ممّا خفّض من رصيده اللغوي، نظراً لهذه السنين

---

28 – من أهم المصادر والمراجع التي وقع إطلاعي عليها بالعربية، وساعدتني على إنجاز هذه المقالة (أوال أومازيغ) ما يلي:

أ – المعجم العربي الأمازيغي. محمد شفيق. الجزء الأول، سنة 1990 والثاني الصادر سنة 1996م. أكاديمية المملكة المغربية 1989.

ب – نسكراف، ديوان شعر أمازيغي، محمد المستاوي. المغرب: مطابع دار الكتاب في الدار البيضاء 1974.

ت – نسفرا نـ سي محند أومحند، جمع وتحقيق مولود معمري. فرنسا: نشر ماسبيرو 1980.

ث – وسان صميضنين، الصافي مومن علي. المغرب: مطبعة الأندلس في الدار البيضاء 1983.

ج – أربعة وأربعون درساً في اللغة الأمازيغية. محمد شفيق. الرباط: النشر العربي الإفريقي 1991م

وبالفرنسية:

Vocabulaire français - berbère , par E Destaing , Librairie Ernest Leroux , Paris 1983

b – Tajerrumt N Tmazigt (Tantala Taqbaylit) Mouloud Mammeri . Alger : Editions Bouchène 1990

c – Decouverte de deux originalites dans la langue berbère , H. BABACI et L HAMEG . T O EDITIONS Thifinagh 1993 .

d – Le conte Kabyle, C LACOSTE - Dujardin, Edition F Maspéro. Paris 1982.

e – Texte en linguistique berbère, Salem Chaker, Ed . du CNRS Paris 1984.

F – Dictionnaire Tamazight-Français.(Parlers du Maroc Central) Ed: l'Harmattan- Awal. Paris: 1991.

وإنّ هذه المصادر أو المراجع لم تمكنني من الفصل في كثير من الأمور؛ كونها تتناقض فيما بينها من حيث الطرح، وكونها لم تتعرض لمختلف لهجات الأمازيغية، وقد اقتصر بعضها على القبائلية، ونحن نعرف أنّ القبائلية قد دخلتها ألفاظ كثيرة من الفرنسية والعربية. ويقول اللسانيون أنّ نسبة 30% أو أكثر من الكلمات التي تتداول في **القبائلية هي** ليست منها -ألفاظ الحضارة- التي لا تملك منها شيئاً. **وبعضها اقتصر على الشلحية** ونعرف أنّ كل لهجة ما هذه اللهجات تأثّرت بنسبة ما باللسان **الوافد عليها. وهذا ما لم**

الطويلة التي مرّ بها وهو غير مكتوب؛ فهو لسان شفهي بحت، ومع ذلك ما زال يتجسّد في كثير من الأساسيات التي يستعملها المتلاغي، وخاصة المجالات العامة ذات الاستعمال الدائم، وفي الفلكلور الشعبي.

وإنّ قدم الزمان شكّل عقدة في طغيان كثير من اللغات على هذا اللسان، ممّا يصعب الوصول إلى الدقّة العلمية في الأساسيات العلمية له، وتبقى كثير من الآراء التي سوف نعرضها أو ننقلها هي مجرد افتراضات.

كما أنّ عدم الكتابة ساعد على تهميشه (اللسان) والنظر إليه بعين الازدراء والاحتقار، ولم يبق الآن إلا ما هو متداول شفاهاً. ولقد قام التعدّد على مستوى المشافهة بشكل لا يدعو للرضا، رغمّ أنّ التعدّد اللهجي قائم في كل اللغات، وما أمر العربية منّا ببعيد، فلها لهجاتها الكثيرة على مستوى المشافهة، كما نشاهد التعدّد قائماً في أمريكا والدول الاسكندنافية وفي فرنسا، وفي النيجر... الخ. ويمكن أن تأخذ الأمور مجرى آخر، كأن يؤدي هذا التعدّد إلى عدم التفاهم بين اللهجات بشكل كبير كما نشاهده في اللهجات الأمازيغية، وهذا أمر غير طبيعي. وليس في صالح اللغة إذا كان المقصود منها أن تدخل يوماً ما المدرسة، وتصبح لغة التعليم، فمن هنا تحتاج إلى النمطية والتوحيد. والأمازيغية كما يعرف عنها أنّها متعدّدة اللهجات، وكل لهجة تخصّصت في نمط العيش المميّز للمنطقة، وكلها تعبّر عن أمور يومية فقط، مثل المأكولات والشؤون المنزلية والحِرَف العادية والفلاحة، أي ما لا يتعلّق بالجانب التقني من هذه الأشياء. أضف إلى هذا أنّه لا تعطى القيمة للغة إلا إذا كانت مكتوبة، لأنّنا في عصر المكتوب وهذه اللغة شبه ميّتة بل منعدمة، وهي موجودة في العدم، لأنّه لم يثبت وجود الأمازيغية كمادة ملموسة بل وجدت لهجاتها المختلفة، وهذه اللهجات لا تحيا إلا بالبعث وبالبحث الجدي، وعلى المدى الطويل، وتحيا في المدارس وفي الإعلام، ويُعْنى بها لسانياً.

يمكنني من الفصل في كثير من الأمور، ويبقى البحث مستمراً في هذا المجال، وهو وحده الكفيل بتفسير كل الظواهر المطروحة على مستوى هذه اللغة أو لهجاتها. ولكن لا أنكر أنّني أفدت منها في مسألة الكتابة.

كما أنّه من الصعوبة بمكان الوصول إلى أدقّ الأمور نظراً للمدة الزمنية الطويلة بين تاريخ هذه اللغة، وهذا العصر الذي نبتغي بعثها، أو البحث فيها، أضف إلى هذا الذوبان الكلي في اللغة العربية بالخصوص، واستسلامها في بعض القضايا الأخرى للغات غير العربية، كما أنّ بعث اللغة يحتاج إلى رافد روحي؛ وبه تقوى وتتجسّد على مستوى الاستعمال، بل حتى الرافد الروحي الذي تملكه بعض اللغات يصعب إحياء اللغة به إذا طالت المدة الزمنية على اندثارها، وليست اللغة العبرية ببعيدة عن هذا المثال، فقد وصلت إلى درجة الموت، وعُمل علي إحيائها حالياً بشق الأنفس، وما زال يُعمل على تدريسها ودرسها، وتسخر لها كل الإمكانيات، لكنّها تعيش مشاكل كثيرة رغم أنّها تحمل الكتاب المقدّس؛ وهو الجامع والمانع والعامل على بعثها، ومع كل هذا لا يعمل بها في المؤسسات الاقتصادية، وهذا لا نجده في اللغة الأمازيغية مثلاً.

ومسألة العامل الروحي قضية مهمّة جداً، والعربية لو لم تحمل هذا الإرث الروحي لما بقيت الآن، بل إنّ هذا الإرث هو الذي عمل على حفظها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ألم يقل الحق ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾. وبهذا العامل قويت، وقد أعطى لها قوّة الانتشار والتوسع وصفة الدوام. ولا يعني هذا أنّ اللغة التي لا تحمل التراث الروحي لا يمكن أن تحيا، أو تكون لغة علم، بل إنّ الإرث الروحي عامل يجعل الالتفاف حول اللغة، ثمّ يعمل على بقائها مهما مورس ضدها.

كما يجدر بنا أن نشير إلى أنّ البحث في هذه اللغة وليد القرن التاسع عشر؛ أي دراسات حديثة. والدراسات الحديثة تتداخل فيها كثير من العوامل، أضف إلى هذا أنّ الدراسات (العربية) من قبل أهلها تكاد تكون منعدمة، وما وصلنا قليل جداً، حتى تلك المؤلفات التي وصلتنا من الموحدين لا تمسّ الجانب اللساني، بل هي منحصرة في الجانب الديني على وجه الدقّة. وتبقى في هذا الوقت تلك الدراسات التي ألّفها المستشرقون والمعمرون وبعض القادة العسكريين، وتُعد المصادر التي نستقي منها دراساتنا الحالية.

تصنّف اللغات الأمازيغية ضمن اللغات المنصرفة التي تقوم العلاقة بين مفرداتها من خلال تغيّرات داخلية تختلف بها الكلمات، مع اشتراكها في عناصر تجمع بينها من جذر واحد، وفيها عناصر من اللغات اللاصقة Affexation وعناصر قليلة من اللغات العازلة. أي أنّ هذه اللغات لم تأتِ من العدم، بل لها شجرتها التي تنتمي إليها، وهي شجرة قديمة عريقة، هي شجرة اللغات السامية-الحامية. ونظراً للوضعية التي عاشتها من حيث كونها لغات شفاهية، خلق فجوة واسعة بين كل لهجاتها. وهذه اللهجات يصل بها الأمر إلى أن يصعب التفاهم بين بعضها البعض، نتيجة انحراف بعض الأصوات في لهجة دون لهجة، ولشساعة المساحة الجغرافية التي تتواجد فيها، ولكونها لغات شفاهية[29] لم تدوّن، قبلت التطوّر بشكل سريع. ويظل المعجم غير التخصصي موحّداً في أغلب ألفاظه (الألفاظ العامة اليومية التي يتداولها الإنسان في قضاء مصالحه العادية) أو يقرب التفاهم بين تلك الألفاظ الأولى كونها بدائية، ولم تتأثر باللغات المحيطة بها، أو تتطبع بطابع لغة المغلوب.

ومهما يكن، فإنّ بعضاً من هذه الآراء افتراضات، قد تصل إلى بعض الصواب في بعض أبعادها، ولكن جميع النظريات تنقصها الحقائق العلمية الدقيقة كما قلنا. وقد أثبتت الدراسات اللسانية انتماء اللغة الأمازيغية إلى اللغات السامية-الحامية، وتنتمي الحامية إلى اللغة الأكادية والبابلية القديمة، وهي من أقدم اللغات، بل هي أخت اللغة السامية. ومن هنا ((أجمع رأي المؤرخين العرب والبربر، على أنّ البربر أتوا إفريقيا

---

29 - الشفوية يظهر فيها تقطّع في بناء الملفوظات، وجود ملفوظات غير تامة بها ظاهرة التكرار، ولها وتيرة زمنية واحدة، ومستواها مألوف ومباشر في الخطاب.
ومع ما تتميّز به اللغة الشفاهية فإنّها تحمل شفرة كونها منطوقة، وهذه الشفرة تتمّ بها عملية التواصل المباشر بوجود متخاطبين في وضعية تواصلية وبإمكانية تصحيح الرسالة حسب ردود فعل المتلقي.
ولقد أعطيت عناية خاصة في التعليم لتدريس اللغة المنطوقة الشفهية، حيث تمحورت معظم طرائق تعليم اللغة حول استعمال الكلام شفاهياً.
يراجع طرائق:
Linguistique déscriptive, Méthode audio-visuelle, Méthode audio-orale.

الشمالية؛ انطلاقا من الجزيرة العربية، إلا أنّهم قد اختلفوا في تحديد المنطقة التي أتوا منها إلى بلدان المغرب))[30]. وهذا من خلال اللغة الحامية التي تواجدت في مهد الحضارات القديمة.

وتعتبر اللغة إذاً خير شاهد على أصالة هذا القوم، وهي الشاهد على تنقلاته وبعض المؤرخين يستندون إلى اللغة الليبية التي يرون أنّها لغة غير بربرية، إلا أنّ لها وجه شبه بينها وبين لغة التوارق وهي التيفيناغ، بل إنّ بعضهم يرى أنّها من اللغات البربرية البائدة.

وعلى العموم فإنّ مسألة اللغة الأمازيغية، نجدها ظاهرة اعتيادية للحياة وكانت أداة مشافهة، مثلها مثل كل اللغات. ومهما يقال عنها، فلقد هُمّشت في كل العصور، حتّى اتّسعت الهوّة بين الثقافة الرسمية، والتراث الشعبي باللهجات والعاميات، وهذا التهميش له عوامله الكثيرة، بعضها يعود إلى مضامين إيديولوجية متعدّدة، وبعضها إلى سياسة استعمارية تمزيقية، ويضاف إلى هذا أنّها لم تكن لها لغة مشتركة، كما أنّها لا تحمل الحضارة التي تجعلها تصمد أمام الداخلين كونها شفوية وقابلة للتطوّر والتأثر بالوافد الأجنبي، فلم يثبت عنها المؤلفات الأدبية أو غير الأدبية أو علم من العلوم، كما لم يؤثر عنها مؤلف ذو قيمة، وحتى ماسينيسا (ت 46 ق م) لم يستعملها في عهده، رغم محاولته جمع هذه الشعوب في مملكته النوميدية، وأنّ يوبا الثاني الذي توسّعت مملكته لم يعمل بها، كما أنّ القديس (أوغستين ت430 م)، أسقف هيبون وفيلسوف زمانه دوّن مؤلفاته باللاتينية، وهي: الاعترافات، مدينة الله، في النعمة.

وفي هذا المجال تشير الدراسات إلى أنّه حدثت في فترة القديس أوغستين في شمال إفريقيا حركة علمية، وقد عزّزها أوغستين نفسه ضد الدوناتية، ولم نر في هذه الحركة ما يشير إلى الدراسات اللغوية في مجال اللغة الأمازيغية، أو أن تكون هناك أبحاث أو دراسات عن الدوناتية باللغة الأمازيغيه. كما يطرح في بالنا سؤال هام: لماذا

30 – محمد الفاسي "نزوح البربر إلى إفريقيا" مجلة مجمع القاهرة. القاهرة العدد 54، مايو 1984، ص 107.

لم يستفد البربر من الشعوب التي هيمنت عليهم ابتداءً من الفراعنة إلى البيزنط في مجال ترقية اللغة، واقتداءً بترقية لغات الشعوب التي احتلتهم؟ هذا السؤال هام في نظري، وإنّ الإجابة عنه تزيل الغموض في أبعادها العامة، كما تزيل صفة العقدة إذا كانت في هذه اللغة، أو في الجنس الحامل لها.

والأمازيغية في فترة احتكاكها بالعربية كانت في موقف ضعف، واستسلمت للعربية بسهولة، ومن هنا عمل علماء الأمازيغ على نشر وتجسيد العربية في الأمازيغية فوضعوا كتبهم في العلوم الإسلامية وفي العلوم العقلية بالعربية، على خلاف الأعاجم الآخرين الذين يؤلفون كتبهم على العربية بلغاتهم. وهذا أثر هام من آثار العربية في اللغات التي اعتنقت الإسلام، وكما يستند علماء اللسان إلى مسألة أخرى وهي وجه الشبه القريب بين الأمازيغية والعربية في النظام اللغوي، وهذا ممّا يعزز القول بأنّ الأصول واحدة.

وعلى العموم فإنّ هذه اللغة بقيت مهمّشة عبر العصور من قبل أهلها ومن غير أهلها، فأصبحت لغة ثقافة فقط، ومن ذلك سهل عليها أن تتفرق أشتاتاً، ويحدث أن تموت كثير من ألفاظها، كما يحدث الفرق الشاسع بين لهجاتها.

والآن بعد هذا يمكن أن نطرح السؤال التالي: **هل يمكن لهذه اللغة أن تحيا، أو هل يمكن للهجاتها أن تحلّ محلّ هذه اللغة؟**

سؤال في غاية الأهمية، ويتفرّع إلى:

1 - **وجود اللغة الأمازيغية المشتركة:** أكثر الدراسات تشير إلى وجود اللغة المشتركة وهي الأمازيغية الأم والتي بها ((انتقلت جملة المعارف الطبية والدوائية والنباتية من السريانية والنبطية والهندية والفارسية والأمازيغية؛ كان لها أثر ظاهر في توسيع المعارف العربية الإسلامية في مختلف ميادين العلم والبحث))[31]. وفي موضع اخر تشير بعض الأقوال إلى أنّ القرآن الكريم ترجم سنة 172 هـ إلى الأمازيغية، لكنّه

31 - أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تقديم وتحقيق: محمد العربي الخطابي. الرباط: 1990 مطبعة الأكاديمية الملكية، القسم الأول، ص 10.

لم يصلنا. وعامة فإنّ هذه اللغة المشتركة اندثرت في غالبية أصواتها الآن، لكن يمكن إحياء البعض منها من خلال لهجاتها. فإذا كانت هذه اللغة فيمكن أن نحيا بـ ـاءً على البحوث اللسانية التي يقوم بها المختصون، وبالعودة إلى الموظف المشترك بين اللهجات وخاصة أن أمر النحو فيها هو نفسه بين كل اللهجات، وغير مطروح للنقاش، أضف إلى هذا أنّ هذه اللهجات مستعملة حيّة ويتخاطب بها الأمازيغيون ويكتبون بها أبحاثهم في ميادين مختلفة. إذاً هي قابلة للإنعاش، فهي مثل كل اللغات، لها نظام اشتقاقي مرن يمكّن الباحث من إنتاج آلاف المصطلحات. وهذه لأخيرة هي عماد التقنية. وفي هذا المجال نعرف أنّ كل اللغات تعمل على إنتاج المصطلح سواء بالارتجال أو الاصطلاح أو النقل أو الترجمة، فإذن يمكن لهذه اللغة أن تحيا في ظلّ البحث العلمي الجاد. ولكن هل يمكن تفادي هذا التأخير الذي شهدته؟ يمكن ذلك حيث إنّ التقنية العصرية وفّرت لنا ما يمكن به استدراك ما فاتها من تأخير.

يمكن أن تحيا، ولكنّها تحتاج إلى مدة زمنية أطول، إذ نشاهد اليوم أنّ اللغات الحيّة كلّها مرّت بمراحل طفولة؛ فيها تقعّدت، وفيها تكوّنت وتصارعت مع بعضها ومع غيرها، ولم نعرف أنّ لغة نشأت في ظرف زمني قصير عاشت واستمرت. إذاً فالمسألة لها أبعاد زمنية طويلة، وأبعاد تأريخانية أخرى؛ من حيث مدى قابليتها للنمو والاستمرار.

2 – وأما بالنسبة للهجاتها، فهل يمكن أن تحلّ محلّ اللغة الأصل. فهذا لا يمكن إذ أي لهجة نريد؟ وما هي اللهجة التي لها القرابة بالأم أكثر من الأخرى؟ وهنا سوف تتعقّد الأمور، وقد تطرح مسألة التراث المكتوب بهذه اللهجات، كما تطرح نسبة الناطقين وغير ذلك. وعلى العموم لا يمكن أن تتنمّط اللهجة لتحلّ محل العامية إلا من أجل أن تأخذ حيّزها في منطقة جغرافية معيّنة، وعند ذلك لا يمكن أن يطلق عليها مصطلح اللغة؛ والتي يفترض أن تتبنى من كل السكان الأمازيغ.

ومن كل هذا فإنّ كل لهجة وكل لغة يمكن أن ترتقي، وخاصة في هذا العصر الذي سهّلت لنا التقنية آليات البحث العلمي، وبها يمكن تفادي التأخير. ولكن ما تجدر

الإشارة إليه هو ألا تكون الإنجازات من أجل سدّ الفراغ، أو من أجل المنافسة الداعيـــة للإقصاء، ونعرف أخطار ذلك على مستوى تلك اللغة أو اللهجة المراد إحياؤها، وذلـــك بالخصوص ما يجعلها غير طبيعية، وما هو غير طبيعي لا يعيش كثيراً.

3.1 - الأمازيغــيّة في العصر الحاضر:

شهدت الأمازيغية على المستوى المحلي مطلباً وطنيًا، خاصـــة علـــى المســـتوى المؤسساتي والدستوري، فتنبّهت المغرب والجزائر دون غيرهما من البلدان، إلى إدراج هذه اللغة في التلفاز (نشرة الأخبار). وفي المغرب أُدرجت في (نشرة اللهجات الثلاث). وأمّا في السينما فمازال لم تظهر بشكل جدي، والمسرح لا حديث عنه، وإنْ كان فهـــو على المستوى المحلي. لكن عملت هاتان الدولتان على فتح معاهد تهتمّ بترقية هذه اللغة كما بدأت تشجّع الأبحاث الميدانية، والدراسات الأنثروبولوجية التي تعمل على بعث هذا الإرث الأصيل.

ولا شكّ أنّ العمل الأكاديمي الذي يقام سنوياً سيفيد رقي هذه اللغة، وخاصة تلـــك الأبحاث التي تلقى في الملتقيات الوطنية في كل من الجزائر والمغرب، أضف إلى ذلك ما تقدمه المؤسسات العلمية التي أقيمت مؤخراً في الجزائر من أجل خدمة هذه اللغـــة. ويصاحب كل ذلك العمل الجمعوي الذي نشط مؤخراً في الجزائر والمغرب من أجـــل الرقي بهذه اللغة على مستوى الأبحاث، ((ولا شكّ أنّ العمل الجمعوي الأمازيغي فـــي الجزائر سابق ومتقدم عليه في المغرب، إذ إنّه قبل ظهور أوائل الجمعيـــات المغربيـــة كانت هناك عشرات الجمعيات الأمازيغية في الجزائـــر، وفـــي صفـــوف المهـــاجرين الأمازيغيين من الجزائر))[32].

وشهدت هذه اللغة على المستوى العالمي بعض المؤسسات العالمية التي تعمل على ترقيتها في كل من فرنسا والكندا على وجه الخصوص، ويصاحب ذلك بعض الأعمال العلمية التي يقوم بها بعض العلميين وبعض الجمعيات الثقافية. وفي هذا الصدد نشـــير إلى ما يقدمه مركز الدراسات البربرية في فرنسا Centre de recherche Berbères. وما يقدمه المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية INALCO، ولا ننسَ كذلك تلك الأعمال القاموسية الكبيرة التي يقدمها معهد الدراسات الإفريقية بمدريد. وفي هذا الصدد

32- أحمد الدغرني، العمل الجمعوي الأمازيغي بالمغرب (تامازيغت). الربـــاط: 1998، ص 13.

أشير إلى علم مهمّ يقدم في جامعة UCLA بالولايات المتّحدة هو معمار البربر وهي وحدة أو مقياس يقدم في هذه الجامعات وتناقش فيه رسائل الماجستير والدكتوراه وهذا منذ سنوات. وما زالت جمعيات كثيرة تعمل على إصدار أمات الكتب في مجال هذه اللغة، والتي لم تصلنا لحدّ الآن.

وفي الوقت الذي تهتمّ البلدان المغاربية بتجسيد هذه اللغة نرى دولاً غربية تقيم لها ملتقيات تهمّ البحث اللساني، كما تشجع كل البحوث التي تتعلق بالأصوات والدلالة والتركيب وكل ما يجسد هذه اللغة، وليس ببعيد ما قامت به الأكاديمية البربرية خلال سنوات عملها 67-1975م، وما تقوم به المدارس الأهلية في كل من باريس والكندا من أجل البحث في هذه اللغة، دون أن ننسى تلك الأموال التي رصدتها من أجل البحث وما تنفقه على البعثات العلمية التي تقصد الصحاري والجبال لمشافهة المتلاغين بهذه اللغات.

وإنّ الحديث عن هذه اللغة ذو شجون، فالأحرى بنا إجراء البحوث الجدية للحاق بالذين يبحثون فيها؛ لأنّ البحوث بالعربية غير متوفرة تجاهها، بل هي منعدمة، وفي الوقت نفسه نجد المكتبة الفرنسية غنيّة في هذا المجال، فالأحرى بنا أن نسدّ هذا الفراغ؛ وهذا يكون بفتح أبواب البحث فيها مثلها مثل العربية، وتقام لها الملتقيات العلمية وينظر إليها نظرة خدمة اللغة العربية، وخدمة الأمازيغية باللغة العربية، وهذا لتتكامل الأعمال بينهما، لأنّ مدة الاحتكاك اللغوي والتمازج التام الذي حدث بين اللغتين برهان على التقارب بينهما.

وفي مسألة البحث العلمي لا ينظر إلى عراقة اللغة، أو إلى حداثتها، بل ينظر إلى اللغات على أنّها قابلة للرقي وللتطوير، وقابلة لتكون لغة علم. ومن هنا فالأحرى أن نضعهما على المحك لتكون الفائدة أعم، ولتزول الحساسيات تجاه اللغتين.

وعملنا فيما يستقبل من الزمان كلغويين هو السعي إلى تجسيد الرصيد اللغوي الذي تنتفع به، أو يرفدها في التقنين اللغوي، وهذا يتطلّب في البداية توحيد الألفاظ على

مستوى المعجم أولاً، ثمّ على مستوى الاستعمال بنسبة مقبولة[33]، عند ذلك يسهل التقنين النحوي؛ والذي يتجسّد تقنياً حالة وضع الرصيد اللغوي الوظيفي. وما أحرانا أن نستفيد من أخطاء اللغات التي مرّت بهذه المرحلة لكي لا نعيش نفس الإشكاليات، ولكي نربح الوقت، لأنّ المعطيات الحديثة ليست هي نفسها المعطيات القديمة التي لا تحسب عامل الزمن، هذا العامل هام جداً في هذه المرحلة بعد التخلّف الذي عرفته هذه اللغة.

33- لا يمكن أن يحصل هذا إلا بدخولها المدرسة؛ حيث يكون في البداية الاهتمام بأهمّ لهجاتها، وعن طريق ذلك يحصل القاسم المشترك الموظّف من قبل هذه اللهجات، وإثرها يمكن اتّخاذ اللغة الجديدة، وكل هذا يتطلّب مدة زمنية كبيرة وكبيرة جداً.

2 – الأمازيغية في الجزائر

عاشت اللغات (اللهجات) الأمازيغية في الجزائر لغات ثقافية وشفوية لآلاف السنين ومازالت لم تمت أو تندثر، وقد حدث بون شاسع بينها وبين الثقافة الرسمية، وذلك ما جعلها لغة فئات من الجزائريين، وأصبحت لا تعبّر عن ثقافة كل الجزائريين، كما ابتعد هذا الإرث عن كل مجالات الحياة، فانحصر في الجبال وفي الصحاري حتى أصبح رصيداً فئوياً، وساعد على ذلك الطروحات الوحدوية الإقصائية التي ساهمت في تغييبها، كما عملت المركزية الوطنية على رفض كل طرح لا يتجسّد في الصورة المرغوبة (عربي إسلامي) وخاصة بعد الاستقلال الذي وقع فيه اختيار الحلّ اللغوي الداخلي؛ وهو ترسيم العربية لغة رسمية دون النظر في الأقليات اللغوية، ومع ذلك لم تندثر، وهذا دليل على عراقتها، وعراقة أهلها المحافظين عليها.

وكما قلنا، لقد استقرت بعض هذه اللغات (اللهجات) في الجهات الجبلية أو الصحراوية، فكانت أصعب منالاً على الغزاة والفاتحين، بينما استسلمت لغات أخرى في جهات غير جبلية وغير صحراوية، كالشاوية والميزابية، إلى لغة أكثر مسايرة للضرورة الاجتماعية؛ وهي اللغة العربية التي كانت حاضرة منذ قرون في هذا البلد الذي تبنّاها وعمل على نشرها. كما أنّ التباعد بين مناطق هذه الفئات جعلها تختلف في كثير من قواعدها ومصطلحاتها، ومن ذلك ظهرت لهجات أمازيغية[1]، وهي:

- القبائلية في منطقة القبائل الكبرى والصغرى.
- الشاوية في أوراس النمامشة.
- الميزابية في منطقة بني يزقن بغرداية.

1- يرى الباحث عبد الرزاق دوراري أنّ كل لهجة من هذه اللهجات لها تنوّعاتها وأداءاتها المختلفة، وقد لا يحصل التفاهم بين الأداءات الخاصة بكل لهجة من هذه اللهجات، ويمثّل ذلك بأمر الترقية والتي لها تنوعات لهجية، هي: Tahaggart- Tadghaq- Tawllemet- Tamachaq. ينظر: "MALAISES LINGUISTIQUES ET IDENTITAIRES EN ALGERIE" مجلة ANADI. جامعة تيزي وزو، العدد 2، ص 18.

- الترقية في الصحراء، وتسمى ثامشاق، وهي لغة الطوارق.
- الشّنوية في شرشال، وبني صاف.

وهناك جيوب لغوية صغيرة في كل من جبال الونشريس، وبني سنوس في تلمسان وفي جيجل ومناطق أخرى، وهي لا تشكّل نسبة معتبرة فرأيت عدم التركيز عليها. كون أنّ التلاغي بالأمازيغية شبه مندثر في هذه المناطق، إلا أنّه بقي على شكل كلمات تتداول على أنّها عربية، لكنّها غير ذلك، حيث نجد كثيراً من المصطلحات الأمازيغية في أسماء الأشجار والنباتات.

واللغة الشلحية غير موظفة في الجزائر، ولكن تستعمل كلمة (الشلوح) من قِبَل البعض إشارة إلى الأعراب، كقول أحدهم: **أعْراب أشلَحي**، يعني الذي لا يفهم شيئاً أي عربي سليقي، كأن تقول: أمازيغي حقيقي؛ وهو الذي رضع هذه اللغة بالسليقة. وهذه الشلحية موظّفة بشكل واسع في المغرب ويقصد بها (أشلحي) الناطق بالبربرية، وتطلق الكلمة كذلك في موريتانيا للناطق باللهجة الحسانية. ومهما يكن فإنّ الشلحية في الجزائر غير مجسّدة كلهجة موظفة في منطقة ما، علماً أنّ الريف الجزائري والمغربي كلّه أمازيغي يوظّف لهجة من اللهجات الأمازيغية. وماعدا أماكن الحضر فتتواجد فيها نسبة معتبرة من غير الناطقين باللسان الأمازيغي، خاصة إذا أتينا إلى مسألة توزّع القبائل الأمازيغية في كل المناطق في الجزائر والمغرب، ولكنّ هذه النسبة الكبيرة تعرّبت بفعل الإسلام، وحالياً يُنظر إلى الأماكن التي تكثر فيها الفئات اللاغية بالأمازيغية، وتستثنى المناطق التي توجد فيها المجموعات الصغيرة، بحكم أنّ تلك المجموعات قد أهملت لسانها بفعل عوامل لا يستدعي المقام ذكرها.

ولقد حافظت الترقية والقبائلية على الأصوات الأولى، والدلالات الصحيحة؛ كونهما لم تتعرضا للدخيل أكثر من غيرهما من اللغات؛ فهما لم تتعرّضا للاحتكاك، كما حدث للأخريات لأنّهما في مناطق معزولة. ومع ذلك يظلّ الاحتكاك[2] باللغة العربية

2- سأعطي للقارئ مجموعة بسيطة (عيّنة) من الألفاظ والأساليب الموظّفة في القبائلية عن طريق الاحتكاك أو الاقتراض أو التداخل أو الدّخل، ممّا يستعمل في محيطي اللغوي

(قرية الشماس بولاية البويرة) وهي استعمالات عربية توظف أحياناً دونما شعور علـــى أنّها عربية وخاصة الدارجة منها؛ لأنّها تؤدي دلالتها العربية المقصـــودة مـــن خـــلال معاني الألفاظ. وإليكموها:

1/1-- ألفاظ يقال عنها قال العرب:

- اضربوا على التبنْ ينسى الشّعير.
- برجْ امنايل أمزوقْ من برا واش حالتُو من الداخل.
- اكحلْ الراسْ اكْويه لا تداويهْ.
- اللي ما وسْعوا بيتُو ما يوسعوا بيتْ الجيران.
- الباب مفتوحْ والرزق على الله.
- واش أدّاك لهذا الشغل...

2/1- ألفاظ عامة:

- ثجـــمعيت من (الجماعة)/ الجامع (المسجد)/ ثقفيفت (القفة)/ الخيـــل (الحصـــان) لمعاصرة (معصرة الزيتون)/ ثابـــرذا (البرذعة)/ أقرموذ (القرمود) لْبور (البور) لْبير (البئر) ثحانوت (الحانوت)/ أسروال/ ثقمجـــات...

3/1- الأمثال:

- كي ترعد في يناير وجدْ كلالس أولحْبايل.
- كي ترعد في مغرسْ وجد البغلة باه تدرس.
- كي ترعد في يبرير وجد لمطاير ولمد'ير.
- لعربْ حاحا لا دين ولا راحة.
- رمشة العين يغني ويفقر.
- عاش ما كسب مات ما خلاّ.
- ادخل أسباع واخرج بقـــرة.
- كوّر واعطي لعورْ.
- يعيّط كي لْبندير...

4/1- الألفاظ الدينية:

السلام عليكم/ الرّكعة/ الزكاة/ النافلة/ المنـبر/ القـوس/ لعشـور/ دار الحـق/ أطهور/ لْعصر/ لْمغرب/ لْعشاء/ لحجاب/ أطحى/ رمضان/ الحـج/ أودَي/ الحساب والعقاب/ الخير والشر/ ربحو الصلاة على أنبي/ ارحم باباك/ غدا يوم القيامة/ عيدك مبارك/ تقطع وتزيد ...

5/1- أمثال تستعمل في القبائلية كأنّها من نفس اللغة، وتأتي عفوية:

- غسّالة النّوادر.
- أنعام أمربـوح.
- تقطع وتزيد.
- ما ينفع غير الصّح.
- أدّي ولا خلي.
- صحّ افطورك.
- ما ينفع غير الصّح.
- لفقر وتفنطيز.
- أسبع لْغابة.
- شدني ولا أنطيح.
- باين على وجهو.
- يا اللي يشري شادي يحلب.
- خمسة في عينك.
- كمّل هذاك الواحد.
- قوّم وإلا طلّق.
- روح يا مالي روح.
- كان يا مكان في قديم الزمان.
- أنيف أو لخسارة.
- سبع سنين بركات.
- روح يا زمان روح.

- اليوم سيدي غدوا سيدك.
- دز معاهم.
- مول أطبيعة ما ينساها.
- ما عندك ما تعمل ثمْ.
- هاوْ الخيل هاو لَوْطا.
- أوليد المعزة ياكلوا الذيبْ.
- كل خنفوس عند يمّاه أغزال.
- شدني ولا أنطيح.
- أياوْ ألبن في اشكارا.
- ما يبقى في الواد غير أحجاروا.
- كليت منَوا بطيت منَو.
- تسالي في بلاد بابا.
- أنتاعت ربي.
- ما يشفع فيكم محمد.
- أقعد يا بنت عمي إلى لقيت خير منّك نتزوج، وإلا نولي ليك.
- مو لْعرس ما هُو مسكين.
- أصحاتْ وأرواتْ الضيف ما يْبات.
- أهنا يموت قاسي.
- راس لْفرطاس قريب لربي.
- خلي البير بَغْطاه.
- الرخيص يشري الرخيص.
- أسْلاك الرّاس.
- تخطي راسي.
- أتهلا في روحك.
- كل عُطْلة فيها خير.
- كي اليوم كي البارح...

متفاوتاً من لهجة لأخرى، لكنّ الترقية (لغة الطوارق) تأتي في الرتبة الأولى من حيث حفاظها على الجذور الأصلية والتي تقرب في كثير من الأحيان من الأمازيغية ويضاف إلى هذا أنّ كثيراً من الباحثين يرون أنّ الترقية كتبت في عهودها الغابرة بحروف التيفيناغ.

6/1- ألفاظ الخضر والفواكه وما يلحق بهما من بعض المشروبات:

إفلفل/ طوماطيش/ لْخوخ/ التّمر/ اللفت/ رمان/ لعدس/ الحمص/ الزريعة/ ثيبخسيسين/ أدكار/ أبرقوق/ كاوكاو/ دلاّع/ الصابون/ القهوة/ لتاي/ البطاطا/ لبصل/ أبلوظ/ الزيث/ التفاح/ الملح/ سكّر/ اللوز...

7/1- ألفاظ مزيج من اللسانين:

- أشفوعاه أيا ثماثن.
- راني نحوس عليك زيغ كش تقيمض.
- روح روح أمبعد تولي.
- أتسلك أتسلك لو كان بتقطيع الراس.
- لا تنسى خير الضيف لو كان أدياس بسيف.
- البارح حاجة أساقي حاجتين...

التعليق: تعليقي الخاص على هذه الألفاظ أرى أنّ هذه الألفاظ الدخيلة والمتداخلة لا يجب أن تستمر على هذه الوتيرة، بل تحتاج إلى تفسير ونقاش لنتحصّل على أوجه الشبه والاختلاف وعلى عوامل التأثير والتأثّر، بسبب من الأسباب. ولدينا عدد من الأمثلة التي ظلّت في المجال المحسوس المتّصلة بالإنسان والحيوان والأشياء والطبيعة والدين والمعاملات وألفاظ الارتفاق، ولكن استعمالها جعلها تتحوّل وتأخذ أنماطاً تستجيب للمنطق الساعي للتوظيف، وبذلك تتّسع دلالاتها تارة، وطوراً تتخصّص. وإنّ هذه التغيّرات كانت صوتية ودلالية، ومسّت كثيرا من المجالات.

وفي النهاية أقول: إنّ العيّنة التي جمعتها تشير إلى تأثر القبائلية كثيراً باللغة العربية على مستوى النطق، وقد فرض هذا مختلف التداخلات الناتجة عن الاتّصالات المتعددة مع اللغة العربية، وذلك من خلال النظام **الفونولوجي والدلالي للغة العربية.**

وعلى العموم إذا استنطقنا الإحصائية الوطنية في مجال تواجد الناطقين بهذا اللسان ترينا إحصائية 1966م أنّ الناطقين بالأمازيغية يشكلون 17,8% من سكان الجزائر؛ ويتوزّعون كما يلي:

- 11% يتكلمون القبائلية.
- 6% يتكلمون الشاوية.
- أكثر من 01% يتكلمون الترقية والميزابية. ويرى الأستاذ سالم شاكر في كتابه Un parler berbère d 'algerie Kabylie : thèse d 'état نسبة البربر يشكلون 20% استناداً إلى إحصائية سنة 1977م[3]. وعلى العموم يمكن أن تصل هذه النسبة إلى 30% من الجزائريين يتكلّمون لغة من اللغات البربرية. بل أنّ وليام مارسي يرى أنّ نسبة البربر في الجزائر كما يلي: 34% في مقاطعة العاصمة، 27% في مقاطعة قسنطينة و01% في مقاطعة وهران.

ومهما تكن النسبة فإنّ البربر (الأمازيغ) في الحقيقة يمثلون الأغلبية في العرف التاريخي، كما أنّ هذه النسبة لا تأخذنا العزة بالإثم أنّ الناطقين بهذا اللسان كثرة أو قلّة بل كان من الأحرى أن يكون العمل على تجسيد هذه اللغة في مختلف المستويات الثقافية، ويبقى الحكم للاستعمال، والبقاء للأصلح، بل إنّ هذا ممّا يخلق الصراع والتفاعل بينها وبين اللغة الرسمية. فما بالنا ونحن في الثمانينيات ندرس في الجامعات (فرع الآداب) 3 سداسيات اللغة الفارسية[4]، ولا نستفيد من تلك السداسيات شيئاً نظراً

3- Salem Chaker . Manuel de linguistique Berbère , I , Alger : Editions Bouchène 1991 p 9 .

4- في رأيي أنّ ذلك العمل هام جداً، بل كان يجب أن يتابع ويثمّن، لأنّه لا يمكن لأي مختصّ في العربية خاصة الباحث في اللسانيات أن يكون جاهلاً بإحدى اللغتين: **الفارسية** أو **التركية**، ونعرف ما للغتين من تأثير وتأثّر في العربية. وأرى أنّ السياسة اللغوية الرشيدة هي تلك التي تجسّد تعليم هاتين اللغتين بصفة إجبارية في أقسام الآداب. لكن أن تكون على ما كانت عليه أيام السبعينيات، فذلك ما لا يجب أن يكون؛ حيث إنّ الطالب بعد أن يتلقى ثلاث سداسيات يخرج وكأنّه لم يأخذ شيئا من هذه اللغة.

لعامل الزمن. وأقر أنّ ذلك ضياعاً للوقت والجهد، فلا تكفلنا تلــك السداســيات حتــى القراءة الصحيحة للغة الفارسية، أليس من الأفضل أن ندرس الأمازيغية على الأقلّ لغة نجدها في الاستعمال اليومي عند مواطنينا، أو في جهات من الوطن. والأغرب من هذا أن تجد جزائرياً لا يعرف إلا: أمان (الماء) / أغروم (الخبز) / أركَــاز ألعالي (الرجل الشهم) ... وهذا ما يجعل أمر المسألة الثقافية في الجزائر يأخذ طابعاً حديّاً يؤدي إلــى تعميق الهوّة بيننا. إذ كيف تبقى مجهولة لدى أغلبية الشعب الجزائــري وهــي لغتــه الأصلية؟.

ومن هنا نرى أنّ ترقيتها وتعليمها لا يشكّل أية خطورة تذكر. بل يحلّ كثيراً مــن المشاكل، وجملة من الصراعات في المجال اللغوي، إذ كيف نرى دولاً غربية كفرنســا وإنجلترا والولايات المتّحدة والدانمارك وألمانيا وسويسرا وهولنــدا وإيطاليــا واليابــان والنمسا، تؤسس كراسي للبربرية في جامعاتها، ولا نحاول نحــن ترقيتهــا أو تأســيس كراسي لترقيتها في جامعاتنا، وهل هذا خوف من التنوّع اللغوي الذي يؤدي إلى الثراء اللغوي العام، والاختلاف لابدّ منه، كما أنّ التّنوّع اللغوي وُجد منذ زمان، وفي الحقيقة نستعمل لغتين رسميتين في المحيط والبيت (العربية والفرنسية) (الأمازيغية والعربيــة) (الأمازيغية والفرنسية) بل إنّ منطقة العاصمة مثلاً توظّف أربع لغات (لهجات) بشــكل دائم في الاستعمال اليومي، و يبقى فقط أنّ الاعتراف بها غــير قــائم فــي الدســتور. ويضاف إلى هذا مختلف اللهجات المحلية المتداولة في كثير من مناطقنا، وأنّ التنــوّع قائم منذ زمن بعيد، كما أنّ التعدّد اللغوي لا يطرح مشكلاً إذا لم تتسيّس الأمور، بل إنّ التعدّد إثراء للبعد الثقافي والفكري، علماً أنّ اللغة الأمازيغية هي إرث كل الجزائريين. فنحن –الجزائريين– تعربنا بالإسلام، واللغة العربية مركزية في بنية تفكيرنا، أضــف إلى هذا أنّ الانتماء الثقافي والديني جعلانا نحبّ العربية ونخدمها. والجزائر منذ قرون كان لها لسانان: العربية والأمازيغية، ومن هنا فإنّ هذه اللغة هي إرثنا جميعــاً. فمــن واجبنا العمل على بعثها والانتفاع من تراثها.

وإنّ طرح الهويّة[5] الوطنية ظهر مع القرن التاسع عشر، وقد بدأ في إيطاليا ضمن حركة عالمية، وفي الجزائر ظهر مع الحركة الوطنية، وبالذات منذ سنة 1932م، إلا أنّ المطلب نُظر إليه على أنّه يحمل الجهوية[6] المقيتة فتجوهل من الحركات الوطنية الإصلاحية ولم يتبلور المشروع إلا سنة 1949م، وكاد أن يؤدي إلى خلاف سياسي (الأزمة البربرية في 48-1949م)[7] بل عصف ببعض قياديي حزب P P A [8] وأنصار

5- ينظر في هذا المجال الكتب التالية:
- مجلة الأصالة الجزائرية، عدد خاص بالهوية، سنة 1974.
- كتابات علال الفاسي. وكذلك المطبوعة التي أصدرتها الأكاديمية لملكية المغربية حول: مستقبل الهُوية المغربية أمام التحديات المعاصرة.
- الشخصية التونسية، البشير بن سلامة، سنة 1974.

تجمع هذه العيّنة على أنّ اللغة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالجماعة، أي بالبنية الاجتماعية التي تهيكل هذه اللغة، وتخصّ لغة المنشأ التي تشكل لغة التخاطب اليومي. هذه اللغة التي تعني عند البعض الوجود قبل أن تكون لغة تواصل، وبذلك كان يجب أن تشهد لها الاستمرارية في التعليم، وهذا ما يحدث التحوّل العميق في حياة المتلقي الذي ينتقل من سجل لغوي سابق إلى سجل لغوي لاحق لا قاسم مشترك بينهما.

6- أخذ هذا البعد الجهوي عند البعض كونه يدور في النزاع القائم بين مصالي الحاج وجماعة القبائل الكبرى سنة 1936، ثمّ ظهور سياسة هجرة سكان القبائل نحو فرنسا وظهور الوعي الوطني بالمنطقة، وصاحب كل ذلك تلك الأخطاء التي ارتكبها حزب الشعب في منطقة القبائل والتي استغلتها فرنسا فيما يخصّ التقسيم وعملية الانفصال.

7- ينظر : سالم شاكر في Langue et identeté berbère ' Algeric - emegration ' un enjeu de société : Annuaire de l 'afrique du nord ; vol 1984 Edition du C N R S . في الطرح الذي تناولته أزمة 1949م، هل الجزائر بلد عربي مسلم، وهذه المسألة طرحت عند المصاليين، وظهر بشكل حاد عندما دبّ الخلاف بين مصالي الحاج وعمار عماش. ونفس الشيء طرح أثناء الحرب العالمية الثانية عندما حاول خيذر أن يجبر الشعب على الانضمام كحليف للألمان، وهذا ما رفضه قادة حزب الشعب. كما استغل الموقف من قبل بعض الأحزاب المحافظة على أنّ رؤساء الحركة الأمازيغية

الحركات الديمقراطية MTLD، ونظراً للوضعية العسكرية والاستعمار المهيمن على الجزائر، وضع القياديون كل تناقضات المجتمع الجزائري بين قوسين لغاية الانتصار على فرنسا، وقد أكّد هذا مؤتمر الصومام[9].

ولم تطرح مسألة الأمازيغية في البلدان الأخرى، مثلما طرحت في الجزائر وفي منطقة القبائل[10] والتيار المنادي لترسيم ووطننة هذه اللغة آنذاك أُبعد من المجال

ليس في نيّتهم إلا إدارة ثورة ضد السكان العرب، وقد ارتبط شعارهم بالحركة الشيوعية العالمية التي تربط الأمازيغية بالاشتراكية وهذا منذ سنة 1945م. وبكل أسف كانت تلك مواقف غير شريفة وغير مشجعة تماماً.

8- إنّ المسألة الأمازيغية طرحت بحدة في مؤتمر حزب الشعب لعام 1947م، حيث طرحت فيه مقوّمات الشخصية الجزائرية، وقد اشتدّ الخلاف بين الحزبيين، مما يجعل رشيد علي يحيى وعمار ولد حمودة وبناي وعلي، ينادون بتأسيس الحركة الشعبية الأمازيغية؛ حيث يرفضون فكرة الجزائر عربية مسلمة، ويرفعون شعار الجزائر جزائرية. ويشتدّ الخلاف الذي يظهر جلياً في أزمة جانفي 1949م.

9- لقد تجاهل مؤتمر الصومام المسألة الأمازيغية ووضعها جانباً لاعتبارات أخرى لها أولوية إلى غاية تحقيق النصر، وأنّ كل مشاكل الجزائر ما عدا الحرية توضع بين قوسين. ولقد استُغل هذا الفعل الوطني من قبل بعض السلفيين الذين قالوا: لقد عادت الجزائر إلى عروبتها.

10- منطقة القبائل منطقة ثورات وتمرّد، حاول الاستعمار أن ينمي الشعور بالذاتية المنفصلة فأوحى لبعض القادة القبائل أثناء الحرب التحريرية الانفصال (وهذا لإسكات الحركة التحررية في الجزائر) واتّخاذ القبائلية لغة وطنية، لكنّهم رفضوا ذلك لأنّ الجزائر كلّ لا يتجزأ.

وفي هذه المنطقة التي مازالت تستعمل القبائلية لغة التواصل اليومي وقضاء الحاجيات وتستعمل اللغة الفرنسية في المعاملات اليومية، بل تطغى على القبائلية، وقد تغلغل الفكر الفرنسي في هذه المنطقة أكثر من المناطق الجزائرية الأخرى، وبذلك ترك آثاره فيها. ومن ذلك ظهرت تيارات تدعو إلى ترك اللغة العربية واتّخاذ القبائلية أو الفرنسية لغة رسمية. كما أنّ التعريب يلاقي صعوبات في هذه المنطقة وقد تجسّد ذلك في الجامعة؛

السياسي، وإثرها ظهرت حركات معادية[11]، وهي ردّ فعل لمسألة الهوية الوطنية، تحمل في مضامينها: **الجزائر بلد عربي مسلم**. وسكت عن هذا المطلب في الثورة التحريرية؛ كون القاسم المشترك هو محاربة العدو لا غير.

والتي تحاول أن تتراجع عن تعريب العلوم الإنسانية وخير دليل على ذلك التراجع الذي يلاحظ على مستوى معهد الاقتصاد، أو مراجعة بعض المواد التي تشتكي نقصاً في الإطارات. وأما العلوم الدقيقة أو الطبية فصعب أو بعيد كل البعد على اللغة العربية اقتحام معاقلها.

ولقد تجسّدت فكرة الرفض للتعريب في أحداث تيزي وزو وبجاية بعد موت المطرب الوناس معطوب، حيث إن الإرادة السياسة رأت أن يكون 5 جويلية 1998 بداية العدّ المرحلي لدخول قانون تعميم استعمال اللغة العربية موضع التطبيق؛ والذي مفاده: يبدأ سريان تعميم تطبيق التعريب ليلة الخامس جويلية 1998م، كما يجدد القانون التشديد على كون اللغة العربية من مكوّنات الهوية الوطنية ويعتبر تطبيقها أحد جوانب السيادة، وهو يفرض استخدام العربية حصراً في كل المؤسسات والإدارات العامة والشركات والجمعيات وكافة مؤسسات المجتمع المدني، كما يكرس سيادتها في المرافق الإعلانية والإعلامية ويوقع غرامات على المخالفين.

وبذلك رفعت الشعارات التي لا ترغب في تكريس هذا المبدأ، ومن الشعارات التي لاحظناها:

- الأمازيغية لغة وطنية ورسمية.
- الجزائر أمازيغية.
- لا للتعريب.
- التعريب يقف هنا.

11- يمكن أن نعرف ذلك من خلال طروحات بعض الناس والجمعيات الداعية إلى الابتعاد عن كل ما يمتّ بصلة للعربية والعرب. ونعرف أنّ هؤلاء الناس (المناضلون) والجمعيات تحمل الغلاف الثقافي تحت شعار المساواة وحقوق الأقلية، ولها أغراض عرقية وأهدافهم الفرنسة أو الازدواجية: الفرنسية الأمازيغية وبعضهم الآن ينادون بتمزيغ المدرسة الجزائرية وأولادهم في فرنسا ولا يدرسون العربية بتاتاً. بل إنّ

ومع الاستقلال ظهرت المناداة بترسيم هذه اللغة، فزُجّ بالمنادين بها في السجون وتعرض بعضهم للنفي، لكنّ أولي الأمر أكّدوا من جديد على عروبة الجزائر أولا وقبل كل شيء. فأخذ التعريب يتجسد في الميدان، ولم تتجسّد العودة إلى فكّ تلك الأقواس المغلوقة بعد الاستقلال مباشرة، حيث لم يقع تعميم الأمازيغية مثلما وقع تعميم التعريب فأُلغي كرسي البربرية من جامعة الجزائر. كما أنّ المواثيق الوطنية 1961، 1963 1976 حاولت تمييع أمر الهوية الوطنية، أضف إلى هذا إلغاء بعض القنوات الإذاعية المحلية ذات الساعات المحددّة، من تيزي وزو والبويرة وبجاية، كما أُنقص من ساعات البثّ الإذاعي لإذاعة القبائلية في الستينيات والسبعينيات، ولم تحاول السلطات الوطنية خلق الإذاعات المحلية في المناطق الأخرى التي لها الخصوصيات اللغوية. وفي كل هذا المخاض كان ينظر للأمازيغية أنّها القنبلة التي تفجر الموقف السياسي في البلاد كما تُربط باللغة الفرنسية، فإنّ هذه اللغة ندّ الفرنسية إنْ لم تكن نافذتها. ويضاف إلى هذا أنّ طرح الأمازيغية في الجزائر يكون مصاحباً بجملة المشاكل السياسية واللغوية كأنّ هذه اللغة لا تحمل إلا المشاكل.

وكلمة كان لابدّ من ذكرها، فإنّه من نسي لغته فقد ذاته، ومن تنكّر لأصله فقد هويّته ومن خلال هذا نقول: إنّه من حق الواحد أن يتنكّر لهذه الثقافة، لكنّه ليس من حقّه أن يحرم الملايين من الجزائريين من لغة أو ثقافة آبائهم، فلا يجب أن تبهرنا الشعارات الهنافية لنسيان تاريخنا الذي ينقرض بفعل ثقافة النسيان. أليس من حقّ الإنسان أن يتنسّم ثقافته وتقاليده وأنماط سلوكاته من خلال المسرح والسينما والتلفاز.

وفي الحقيقة إنّ كل لغة لها خصوصياتها اللغوية، ولها مشاكلها الخاصة، ألا تعيش الفرنسية مشاكل في قواعدها التي تحمل الشواذ، وأنّ لكل قاعدة استثناءً، ألا تعاني العربية من مسألة الكتابة (الصامت + الصائت) ...الخ ، لكن هل طرحت مسألة الاستغناء عنهما وإبدالهما مثلا باللغة التي هي أكثر مسايرة للضرورة العلمية. ومن هنا

البعض من هؤلاء يرى تصحيح ما أقرّه الأجداد، ويتعلّق الأمر بإعادة النظر في الأسلمة الأولى لفعل الأجداد، وأنّه من حقنا أن نختار الدين الذي نرغبه!

فإنّ الحديث عن المشاكل في البداية يعني الإقصاء ويعني الحديث عن الأشياء التعجيزية التي تصاحب هذه اللغة.

وعوداً إلى النشاط السياسي واللغوي في الجزائر، نجد في ذلك الوقت بعض الشخصيات الجزائرية التي فرّت إلى فرنسا وبعض المهاجرين تنشط في تأسيس قطب يدعو إلى التجمع البربري، فحملت على عاتقها الحفاظ على اللغة الأمازيغية، وتجسّد ذلك بالمساهمة على تأسيس الأكاديمية البربرية عام 1967م (أكّراو إمازيغن)، والعمل على تأسيس كراسي البربرية في كثير من جامعات فرنسا، كما أُمدت هذه الفئة بربع ساعة من القناة الإذاعية الفرنسية لتمرير خطابها الموجّه إلى الجزائر، فبدأت هذه المجموعة تجني ثمار عسلها ابتداءً من عام 1970م، وسارت الأمور على هذا المنوال إلى غاية مؤتمر جبهة التحرير الوطني لعام 1983م أين أكّد على الانتماء الحضاري البربري للشعب الجزائري.

ولكن رياح المناداة مازالت نسائمها تهبّ، وقد ظهرت وبشكل سلمي مع الربيع الأمازيغي في 20 أفريل 1980م، وقد كان لجامعة تيزي وزو إذكاء روح تلك الشعلة التي كانت خامدة. وهذه الشعلة كانت بفعل مجموعة عوامل سياسية وثقافية، بدأت تطفو سرية من سنة 1970م.

وابتداءً من عام 1980م بدأ يظهر مصطلح جديد في الخطاب الموجه للعامة، فسابقاً كان الدعاة يستعملون مصطلح إحياء **البربرية** أو **القبائلية** فتغيّر المصطلح إلى إحياء **الأمازيغية**، وصاحب ذلك الدعوة إلى التعدّد اللغوي في الجزائر، والعمل على ترقية اللغة الأمازيغية، والنيل من نصيبها من وسائل الإعلام ودخولها إلى المدرسة **كلغة وطنية ورسمية**[12].

12- للمزيد من التوضيح في الأمر فإنّ الأستاذة دليلة مرسلي قد رصدت هذه الظاهرة في مقالها المعنون "TAMAZIGHT LANGUE NATIONALE" منشورات جامعة Rouen عدد خاص بالتعدّد اللغوي والهوية في المغرب، 33-43.

ومن ذلك الوقت تطرح مسألة الأمازيغية في الجزائر على أنّها مسألة **هويّة وطنية** وأنّ العربية (**اللغة الرسمية**) قد استولت على كل شيء، وأنّ أجهزة الإعلام ساعدتها على ذلك، وطمست هذا الإرث الحضاري الذي يزخر بشتى الفنون.

ومن هنا حدث الصراع الثقافي حول المسألة -خاصة بعد الثمانينيات- وقد أذكت المبادرة اللغة الفرنسية؛ التي تتقهقر يومياً بفعل التعريب الذي يسير بخطوات عاقلة في السابق. وصاحب ذلك ضعف العربية داخلياً وخارجياً، أضف إلى هذا أنّ القطاع الاقتصادي الفعّال يسير بالفرنسية، والقطاع الاجتماعي البسيط بالعربية، ثمّ التردّد الملاحظ في عملية التعريب.

وهذه العملية مسّت كثيراً من القطاعات، بل وصلت إلى حدّ فرض التسميات على المواليد فالاسم الذي لا يوجد في الأسماء المعروضة[13] من قبل أجهزة الدولة في البلديات لا يمكن للولي من تسجيل مولوده بالاسم الذي يرغبه، إلا إذا كان من الأسماء التي نصّت عليها المركزية، أضف إلى هذا التضييق على بعض القادة الذين أُبعدوا من الوطن، ومن هنا ظهرت تيارات تنادي بالانفصال وتيارات ضد الدين الإسلامي وتيارات جهوية!!

واستجابة لبعض المطالب عملت الدولة على خلق أربعة دوائر للثقافات الشعبية أو بعض المعاهد في كل من تيزي وزو وبجاية وباتنة وتلمسان، كما رفعت بعض الأحزاب الوطنية مطلب إحياء الأمازيغية، بل دعت إلى إرساء الأمازيغية في الجزائر على أنّها اللغة الرسمية، وعملت نفس الأحزاب بمساعدة بعض الجمعيات الثقافية على إصدار صحف ومجلات بالقبائلية مثل: البلد وثافسوث. كما نشطت جمعيات أخرى في

13- يحدث هذا وأنت في صدد تسجيل مولود جديد؛ يحدث البحث في السجل الرسمي حالة كون الاسم المطروح غير مستعمل أو غير متداول في مجتمعنا. وهذا يدخل في إطار تعريب الأسماء كذلك. وقد حدث مثل هذا في بعض بلدان أوربا الشرقية. وما حدث في الجزائر كان يستهدف في الحقيقة المحافظة على الهويّة العربية فقط لا غير. ولكنّه استغل من البعض على أنّها عملية هيمنة الدولة المركزية على تعريب الأسماء.

كل من الشاوية وبني ميزاب ولكنّ لكل جمعية آراء خاصة في مجال الاهتمام بهذه اللغة، بل يصل إلى عدم التفاهم في كثير من القضايا الأساسية.

ومن سنة 1989م؛ السنة التي خرجت بعض الأحزاب والجمعيات من السرية إلى العلنية مازالت الأمور تدور حول هذا المطلب. ومن الجمعيات التي أظهرت الدفاع عن هذا المطلب الحركة الثقافية البربرية M C B والتي تنصّ في خطابها أنّه (لا جزائر بدون أمازيغية)[14] لكنّ هذه الجمعية انشطرت إلى قسمين، يُتزعم كل قسم من قبل حزب وطني، ومن ذلك أضحت القضية غير واضحة، فحزب يخاف من المغامرة وآخر يريد دخول المغامرة مهما كلّفه من ثمن. ومن ذلك دعت هذه الحركة إلى المقاطعة الدراسية للعام الدراسي 94-1995م، فكانت الاستجابة 100% في ولاية تيزي وزو، و90% في ولاية بجاية و20% في ولاية البويرة، وأقل من 03% في ولاية سطيف. وهذه المناطق التي يتواجد فيها الناطقون بالقبائلية. ولم تكن الاستجابة من المناطق الأخرى التي يتواجد فيها الأمازيغ مثل الشاوية وبني ميزاب وأهل شنوة، وهذا ما جعل أحياناً القضية تأخذ البعد الجهوي من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ القضية اللغوية في الجزائر (الأمازيغية) تعني كل الجزائريين، ولا يحقّ لمنطقة أن تتزعم المناطق الأخرى.

وأمام هذه المغامرة، عملت الدولة على تشكيل لجنة وطنية مهمّتها العمل على إعداد نصوص تعمل بموجبها الدولة على إدراج الأمازيغية في المدرسة، وبإعلان رئيس الحكومة أنّ (لا أمازيغية بدون الجزائر) قاطعت حركة MCB اللجنة الوطنية ودعت إلى مواصلة الإضراب، ما لم يصرح رئيس الجمهورية بتوطين وترسيم هذه

14- تنادي هذه الحركة أولاً إلى تعدّد الهوية والتي هي:

- الهوية: أمازيغية إفريقية عربية إسلامية عالمية.
- الأمازيغية مقوم أساس من مقومات الوحدة الوطنية.
- إعادة النظر في المنظومة التربوية.
- الثقافة الجزائرية ذات سمات متعدّدة.

اللغة. كما اشترطت الحركة على الحكومة أن تؤسس المجلس الأعلى للغة الأمازيغية؛ على أن يكون أغلب أعضائه من المؤسسين للحركة الثقافية البربرية، بل دعوا إلى تأسيس كونغرس عالمي لهذه اللغة.

وفي هذه النقطة نشير إلى نقطة هامة؛ حيث إنّ الحركة البربرية تريد المساس بالدستور (التعديل) فاستناداً إلى المادة 163 من دستور 1989م في الباب الرابع (التعديل الدستوري): لرئيس الجمهورية حقّ المبادرة بالتعديل الدستوري، وبعد أن يصوّت عليه المجلس الشعبي الوطني يعرض على استفتاء الشعب للموافقة عليه، ثمّ يصدره رئيس الجمهورية. في هذه النقطة لا يمكن التعديل إلا بناءً على رغبةْ شعبية (تصويت) بعد اقتراح من رئيس الجمهورية وفي المادة 164 من نفس التعديل إذا رأى المجلس الدستوري أي تعديل دستوري لا يمسّ البتّة المبادئ العامة التي تحكم المجتمع الجزائري وحقوق الإنسان وحرياته، ولا يمسّ بأيّ شيء التوازنات الأساسية للسلطات والمؤسسات الدستورية مباشرة، دون أن يعرضه على الاستفتاء الشعبي، متى أحرز ثلاثة أرباع من أصوات أعضاء المجلس الشعبي الوطني، فنرى أنّ للمجلس الدستوري حقّ التعديل في الدستور شرط أن لا يمسّ ذلك مبدأ الثوابت، **واللغة ثابت من الثوابت.**

ولم تبادر الحكومة إلى تنفيذ هذه الفكرة، لأنّ الفكرة تمسّ ركنا عتيداً في الدستور. وواصلت الحركة مقاطعتها لكل الاجتماعات التي نظّمتها لجنة العقلاء الحاملة على عاتقها ملف الأمازيغية، وتواصل الإضراب مدداً في المناطق التي لها الخصوصية اللغوية (القبائل بالخصوص) وحدث في الحركة انشقاق كبير، إذ تُتداول على الساحة الآن خلق M C B الثالثة. وفي الآن نفسه تنازلت الحركة عن مطلب ترسيم الأمازيغية وتطالب أن تكون لغة اتّصال فقط، بل ذهبت في مواقفها مؤخراً إلى تأسيس المجلس الوطني للأمازيغية؛ والذي رفضته سابقاً ودعت إلى تأسيس المجلس الأعلى للغة الأمازيغية بدل المجلس الوطني للأمازيغية. كما أضحت تنادي بإدراج الأمازيغية ضمن السياسة اللغوية والثقافية في الجزائر، والاهتمام بترقية هذه اللغة في المجال الثقافي وكان تبرير هذا التنازل على أساس مبدأ (طالبْ بالكثير تنلْ القليل – طالبْ بالقليل لا

تنلْ شيئاً). وبذلك شهدت المطالب تراجعاً في البعد الأمازيغي على مستوى المطلب المؤسساتي والدستوري.

وهكذا اختلطت الأمور بين الرافض للمقاطعة، وبين المؤيد. ولكنّ النقاش مازال مطروح حول الإشكالات القانونية، وفي المادة الدستورية الثالثة، وما هو المخرج الذي يرضي كل الأطراف:

*** كيف يكون المخرج من المادة الثالثة من الدستور التي تنص على أنّ اللغة العربية هي اللغة الرسمية للوطن؟**

إذا جاز لنا أن نجتهد في هذا المجال نطرح سؤالين:

أولهما: هل تُعارض العربية اللغات البربرية، أو هل رَفَضَت العربية هذه اللغات؟.

ثانيهما: هل أنّ التعدّد اللغوي يشكل عقدة في العرف الدستوري، مادام أنّ التعدّد قائم في شكلٍ من أشكاله، وأنّ اللهجات الأمازيغية واقع في الدول المغاربية لا يمكن تجاهله؟

وتأكيداً للسؤال الأول لم يكن هذا مطلقاً، بل إنّ العربية أول لغة جسّدت الأمازيغية في شكلها اللغوي المعروف، فكتبت بالحرف العربي، ولم تلق اهتماماً من كل اللغات التي هيمنت على الأمازيغ، بل حاولت بعضاً أن تمحوها مطلقاً، لكن العربية أعطت لها الدفع القوي الذي جعلها تكتب بالرسم العربي.

وأما الجواب عن السؤال الثاني، فنرى أنّه لا يجب أن نتقمّص الأحادية اللغوية ففي الجزائر أشكال لغوية متعدّدة تتداول في المحيط، بل توجد لغتان رسميتان (فرنسية عربية) بالمعنى الاستعمالي لا بالمعنى الدستوري، ويضاف إلى هذا التعدّد القائم على مستوى اللهجات، ومن هنا فإنّ مسألة التعدّد اللغوي لا يشكل عقدة تمنع جعل لغتين رسميتين آخذين بالاعتبار الخصوصيات المميزة لكل لغة، وليس ممكناً أخذ ما هو معمول به في تونس، أو مثل البلدان الثنائية اللغة رسمياً مثل: ايرلندا/ قبرص/ تشيكسلوفاكيا/ فنلدا، أو مثل البلدان المتعددة اللغات، كالهند أو الاتّحاد السوفياتي سابقاً.

وإذا عدنا إلى مسألة الصراع اللغوي القائم في الجزائر نجده قائماً منذ السبعينيات بين العربية كلغة رسمية، وبين الفرنسية التي تريد الهيمنة، والفرنسية فرضت وبالقوة على حساب لغات أخرى (العربية واللغات الأمازيغية) بل إنّ العربية دخلت الصراع في شكل سلمي مع الفرنسية تريد تحقيق حقّها في وطنها من حيث الاستعمال في كل المجالات، ولم تنظر إلى الفرنسية على أنّها لغة يجب إقصاؤها، بل نظرت إليها على أنّها معطى واقعي يصعب إلغاؤها (مكسب هام وجميل يجب المحافظة والدفاع عنه) (لغة علمية هامة يجب الاستفادة منها) ومن ذلك عملت على ترجمة معظم الأعمال الإبداعية المكتوبة بالفرنسية من قبل الأدباء الجزائريين، وهذا ما لا نجده قائماً في اللغة الفرنسية التي لم يترجم المفرنسون إليها إلا بعض الأعمال، ومن هنا يمكن أن نفهم أنّ الصراع أخذ وجهة واحدة: الفرنَسَة ــ التعريب، وقد خلق هذا منظومة لغوية أحادية كانت البداية لظهور تيارات مخالفة تنادي بالأمازيغية لغة وطنية ورسمية[15].

ومهما يكن من أمر فإنّ مسألة ترسيم لغة ثانية في البلاد يجد معارضة كبيرة من قبل المستعملين، بغض النظر عن ورقة الثوابت الوطنية تخرج في المادة الثالثة من الدستور من ترسيم لغة واحدة هي العربية، فكيف يكون الحلّ أمام هذا الإشكال القانوني؟.

إنّ إتباع منظومة لغوية متعدّدة النظام في وقتنا هذا صعب النجاح، بل لابدّ من الاعتماد على لغة واحدة ترفدها لغات أخرى، حيث تعطى للغات الوطنية الأهمية التي تستحقها من أجل الدفع بالعربية الرسمية قدماً نحو التطوير والاستعمال الجيّد.

15- نظراً لهذا التهميش اللغوي؛ تهميش لغة الأم، فإنّ التعريب أحياناً لا يلقى صدى وخاصة لدى الجماعات الناطقة بالأمازيغية، بل ذلك ما يدفعهم إلى مسألة الحفاظ على هذه اللغة الأم، لضمان استمراريتها وخصوصياتها الثقافية. أضف إلى هذا ما يلاحظ في البنيات الإدارية والأنظمة التعليمية والمؤسسات الاقتصادية التي تسود فيها اللغة الفرنسية، على أنّها اللغة الأكفأ، ولغة البلد الرسمية.

وأما مسألة ترسيم لغة فيمكننا أن نأخذ بتجارب الذين سبقونا في هذا المجال فيمكن أن تكون في الوطن الواحد عدة **لغات وطنية**، تكون للمشافهة والثقافة والتعليم وما يتعلّق بالأمور العادية، وهذا بحسب الخصائص اللغوية للمناطق التي لها الخصائص اللغوية. وأما مسألة ترسيم أكثر من لغة في البلد الواحد، فهناك تجارب كثير من الأمم لكن استغلت ذلك بأمور سياسية خاصة؛ حيث نجد فيها النظام السياسي يقوم على إعطاء كل الصلاحيات للمناطق من حيث نوعية الحكم واللغة التي يرغب ترسيمها (الجمهوريات أو الكانتونات أو الكونفدراليات...) وهل يمكن أن يحدث هذا في الجزائر؟ إنّه من الصعوبة بمكان أن يكون هذا كون التجانس بين الجزائريين قائم في تاريخه ولغته، ولذا فإنّ ترسيم لغتين أو أكثر في بلدنا صعب التحقيق ومصيره مجهول.

صحيح إنّ إتباع منظومة لغوية متعدّدة صعبة[16]، بل أنّ مساوئها أكثر من محاسنها كما أنّ التعدّد اللغوي غير المحدود، والذي لا تربطه القيَم والثوابت في كثير من الأحيان يؤدي إلى مساوئ وخيمة، بل أثبتت بعض البلدان أنّ الخلاف اللغوي أدّى ببعضها إلى التناحر، وقد أدّى في كثير من البلدان إلى خلق كنفدراليات (حكم ذاتي) كما أدّت الوحدة اللغوية إلى ذلك ما لم يكن الحوار المجدي وسيلة الحكم والتعقّل، بل إنّ الحوار أهم وسيلة حضارية والرأي العام الوطني فوق كل اعتبار.

ولقد أثبتت المعطيات أنّ اللغة الرسمية الواحدة (العربية) لم نستطع تجسيدها على وسائل الاستعمال والتقنية العصرية، وجعلها لغة كل الجزائريين، ولغة المعاملات العامة والخاصة، فهل يمكن أن ندرج لغة أخرى تكون رسمية ولا يُعمل بها، خاصة أنّ هذه

16- يمكن أن نطلق على هذا ما يسمى حالياً بالازدواجية، وعادة أنّ ازدواجية اللسان لا تبدو مرضية، وهي مدعاة للاضطراب ولأزمة الهوية والتآكل اللغوي، وتنصّ أكثر الدراسات إنّ أمتن وأصلب لسان هو اللسان الذي تمّ اكتسابه أولاً.

اللغة منسية ومتخلفة مقارنة باللغات القائمة حالياً[17]. ومثلنا في ذلك مثل الـــذي يجهـز قطعة مبتلاة (ميتة) لمساعدة القطعة التي تسير إلى العطب. إذن أيمكن أن تكـــون فـــي بلدنا لغتان رسميتان؟

في الحقيقة إنّ الإجابة ليست سهلة فهناك من يرى أنّ أمر اللغة الأمازيغية مســألة الهوية والحقّ الذي يجب أن يستعاد بشكل دستوري، كما أنّ التعدّد اللغوي مسألة علمية جيّدة، ولكن هناك عواقب يمكن أن تنجرّ عن هذه المسألة ومن هنـــا يجـب الوقـوف والتمعّن جيّداً في هذه المسألة، والاختيار ليس سهلاً، مثل الإجابة ليست سهلة؛ لأنّ كل هذا يتطلّب منّا الوقوف عند اللغة المهيمنة (الفرنسية) ثمّ لغة الأكثرية (العربية) ولغــة التعليم (التعريب الشامل) ولغة الأقليات (الأمازيغية) ولا يجب أن ننســى شــيئاً هامــاً

17- يجب الاعتراف في البداية أنّ أية لغة يجب أن ترتكـــز علـــى حضـــارة، والوظيفيـــة الاجتماعية لتلك اللغة (النفعية بالمعنى الشعبي) وإلا ما الفائدة من لغة لا تعمّم ولا تقضى بها المصالح. ولقد أبانت أبحاث جامعية جرت في بلدية تيزي وزو عن:

- تجاهل تام للمصطلحات الأمازيغية المعمول بها في بلدية تيزي وزو بعـــد وضعهـــا لأكثر من 8 سنوات، والجهل كان حتى من الموظفين العاملين في نفس البلدية.

-- فتح معهد الثقافة الأمازيغية قسم الليسانس، دون شرط لكل حامل شهادة الليســـانس، فلـم يسجل طالب واحد نفسه في ذلك القسم.

--- مسألة النفعية التي ينظر إليها كل إنسان، وغايته توظيف هذه اللغة، ودورها في الرهان العالمي حالياً، والاتصال الدولي. فلقد اطلعت على دراسة لغوية جرت في ألمانيا التـــي أوجدت في مدارسها تعليم اللغات الحية ولغات الجاليات. أجريت هـــذه التجربـــة علـــى الجالية التركية التي تشكل نسبة قوية في ألمانيا؛ حيث خيّر الطلبة في تســـجيل أنفســـهم لدراسة لغتهم (التركية) واللغات الحية، فتشير الدراسة أنّه لم يسجل طالب واحد في قسم التركية، إذ سجّل كل الطلبة أنفسهم في قسم اللغة اليابانية!! ونعرف لماذا اتّجهوا صوب اليابانية، وهنا السبب نفعي؛ حيث أنّ اليابانية لغة علمية وظيفية تعتمد التقانة.

--- المجتمع الجزائري أو الناطق بالأمازيغية ليس كما يتصوّره أصحاب النزعة البربريـــة الضيّقة... .

وهو: مسألة إعادة النظر في ثابت من الثوابت. هذا الثابت الذي تجسّد في استشـــارات كثيرة من قبل أكثر الجزائريين.

ومهما يكن فإنّ هذا الأمر يهمّ كل المجتمع الجزائري الذي يجب أن يحلّ أمر اللغة عن طريق التفاهم، ويكون كل ذلك مبنياً على قواعد أخلاقية علمية يأخذ الصراع مجراه الثقافي، فهو صراع جيّد، بل هو طريق من طرائق التفاهم وطريق حضـــاري مقبـــول وأرى أنّه الباب الذي يحلّ كثيراً من المشاكل الثقافية العالقة في هذا الوطن العزيز.

ولا أريد أن أختم هذا الفصل دون تلخيص اراء الباحثين في مســـألة الأمازيغيـــة وتصنيفهم حسب المطالب:

الصنف الأول: وهم الجماعة الكثيرة العدد، وأغلبهم في مواقع الإعلام، يجيـــدون اللغة الفرنسية، ويرفضون بشكل منقطع النظير كل ما يمـــتّ بصلـــة إلـــى العربيـــة[18] والعرب وهؤلاء يرون:

* وطننة اللغة الأمازيغية.
* ترسيم الأمازيغية.
* كتابتها بالحروف اللاتينية.
* البحث عن الهوية دعوة إلى الانغلاق.
* القطيعة مع العربية والعرب.
* مستقبل الجزائر في القطيعة مع كل أشكال التعامل مع القديم، وتبني مشروع مجتمع حديث يعتمد اللغات الحيّة.

---

18 - يلاقي التعريب في الجزائر بعض الصعوبات في تحقيقه كاملا. ممّا جعله يعيش حالـــة التراوح بين الجزر والمدّ، وهذا لوجود بعض الفئات الأخطبوطية في أجهزة الدولة، مثل بعض المشاركين في التحكّم في دواليب الإدارة. وبعض المستفيدين بشكل مباشر. رغـــم أنّ فئة المحرومين أو المهمشين يشكلون نسبة مرتفعة جدا في المجتمع، وهـــم حـــاملو الشهادات المعربة. وخريجو العلوم الإنسانية. ويضاف إليهم المتسربون من الثانويات.

الصنف الثاني: وهم الجماعة المعربة الرافضة لكل تعايش مع المفرنسين ورفض كل حديث عن الأمازيغية، ويدعون الدولة إلى إلزامية تطبيق قرار التعريب، وهؤلاء يرون:

-* التعريب الفوري في كل الاختصاصات.

* القطيعة مع الفرنسية، واستبدالها بالإنجليزية كلغة أجنبية.

* لا حديث عن الأمازيغية، أخذاً بحديث الرسول: من تكلّم بالعربية فهو عربي.

* الهوية تعني الوحدة اللغوية، وتعاكس التعددية أياً كان شكلها.

* كل الكلمات الأمازيغية من أصول عربية لا غير.

* تدريس الأمازيغية يعني تدريس القبائلية الملتنة المعدّة في مختبرات الأكاديمية البربرية بباريس.

* البعض منهم قال: أستحي أن أقول أنا أمازيغي[19].

19- لست أردّ على الأستاذ عثمان سعدي من خلال ما أثاره في كتابه الأخير: الأمازيغ (البربر) عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ. لكنّي استفزت من خلال تلك الأباطيل والأقوال الجاهزة وغير مؤكدة إلا بالعاطفة، من أمثال:

- التشكيك في محرر موسوعة Universalis.

- اعتماده الشاوية لصياغة النموذج الحيّ. ونعرف أنّ الشاوية متأثرة أيّما تأثر بالعربية بعد الفتح الإسلامي.

- التحليل التعسفي لكل كلمة أمازيغية أنّها عربية، من مثل: ثامطوث/ أمان/ أكسوم/ أمقران/ الزواوة/ الطوارق/ الروايف...

- النزعة البربرية هي مسألة قبائلية. كأنّ القبائل لم يخدموا العربية، ولم يعملوا على التعريب، ولا تتواجد الزوايا في بلادهم أكثر من كل ولايات الوطن. ويجهل أنهاّ الولاية الأولى على المستوى الوطني التي حرّم فيها الخمر ذات يوم.

- مسألة اللغة الكردية التي لم يطلب الأكراد إصدار مرسوم بأنّ تكون الكردية لغة وطنية ورسمية. وكأني به لم يكن في العراق؛ والتي نعرف أنّ اللغة الكردية لغة الأكراد

ولها مجمع علمي رفيع المستوى يقوم على خدمتها. وأودّ في هذه النقطة أن أقدم إسـهام المجمع العلمي العراقي بهيئته الكردية في النهوض بالدراسات والبحوث العلميـة فـي العراق لمواكبة التقدم العلمي والأدبي. كما أنبّه الأستاذ إلى أنّ المجمع العلمي العراقـي "يتحمّل مهمة جليلة في تحقيق ما نصّ عليه قانون تأسيسه، وخاصة إذا ما وقفنا على فقر المكتبة الكردية وقلة مصادرها ومراجعها التي وضعت في شـتى مجـالات المعرفـة فالمعروف أنّ ما نشر من هذه المصادر والمراجع في أرجاء المعمورة منذ سنة 1787م وحتى 1975 قد بلغ أربعاً وخمسين ومئتين وألف كتاب. ويقين أنّ هذه المجموعة مـن الكتب لا تكاد تفي بالحدّ الأدنى من طموحنا في نماء اللغة الكردية ونهوضهـا بـالتعبير عن شؤون الحياة في ميادين التربية والتعليم والثقافة العامة، وتلبية حاجات المؤسسـات الجامعية والتربوية والثقافية التي قامت متتابعة منذ سنة 1958م وحتى أيامنا هذه" **لا أريد التعليق عن هذا المقتطف.** الدكتور كامل حسن البصير "مشكلات اللغة الكردية وآدابها" مجلة المجمع العلمي العراقي. بغداد: 1983 المجلد الرابع والثلاثـون، الجـزء الثـاني ص96.

- البربريست الجهوي مولود معمري (عدم ذكر الموتى بالخير).
- الجزائر بربرية كلّها إلا أنّها تعربت، وهذه نعرة جاهلية.
- اتّهام مولود معمري وشريف معمري وسالم شاكر وتاسعديت ياسين بالعمالة.
- الدعوة إلى الأمازيغية تعني الدعوة إلى بقاء الفرنسية.
- أخطر قرار أصدره الرئيس زروال هو تأسيس المحافظة السامية للأمازيغية....

وفي الحقيقة إنّ من يقرأ الكتاب يرى أنّ الأستاذ عثمان سعدي خرج عن المألوف؛ حيث يصوّب عينيه إلى منطق القبائل بالخصوص، ويثير بعض النعـرات، باسـتعماله لغـة الخشب الحاملة للفتنة. وأريد من خلال كتابه أن يعيد النظر في كل مضمون كتابـه، ولا تنسى سيدي أنّ:

-* الأحكام الجاهزة ليست من أقوال الباحثين والعلماء. ولغة القوّة أصبحت غـير ذات جدوى.

-* التصنيف العشوائي، والكلام الضّال، مثل: الفئة البربرية العاشرة المضللة. لا ينطق به إلا المهزوم.

-* الجز ر كلها صوتت لصالح الهوية الوطنيـــة، وتعــرف أنّ الهويــة عندنــا هــي الأمازيغية. وهذا ما نادت به الجزائر أثناء التصويت على الدستور المعدل سنة 1996م. وهذا ما أعطته الصناديق وليست ولايات البربر فقط، وكأني بك تقسم البلاد إلى ولايات بربر وولايات عرب.

-* ليست السامية هي العربية القديمة، ولم يتوصل لحدّ الآن إلى الفصل في هذه المسألة. بل إنّ المنصوص عليه في الأبحاث الأكاديمية هو أنّ اللغــة العربيــة وليــدة الســامية وتقرب كثيرا في بناها الصوتية والاشتقاقية والنحتية؛ حيث يلاحظ هذا علـــى مســتوى اللغات الهندو-أوربية المشتقة (المشتقة من الفينيقية) واللغة العربية.

-* كان عليك الإقرار بالتعدّد اللغوي القائم في البلاد على شكل نطق واستعمال.

ويا أستاذنا المحترم: عليكم أن تنطقوا حقا وأنتم تبحثون في مسألة اللغة الأمازيغية تســجلون ما لها وما عليها دون أي تعصّب يؤدي إلى الإفلاس، فكان عليكم أن تتحروا في:

* الظاهرة أو النادرة لا يمكن أن يقع عليها القياس؛ وهذه النوادر موجودة في كـــل منــاطق الجزائر. وما تلاحظونه في منطقة القبائل ربّما هو الجرأة فقط، لأنّ مثيلات له موجودة على كل مستويات، وفي كل مناطق الجزائر فهناك روح الإلغاء ظاهرة.

** الجزيرة العربية قبل الإسلام ليست عربية، فهي أمازيغية، لست أدري من أين لكــم بهــذا الكلام الذي لا توثقه المصادر. وكأني بكم تقولون إنّ إبراهيم وإسماعيل كانوا برابرة.

*** تعتمدون في إرجاع كل الكلمات الأمازيغية إلى العربية، من حيث استنادكم إلـــى بعــض الأصوات وهذا ليس دليلا علمياً، لأنّكم تنســون مســألة الاقــتراض بفعــل الهجــرات والحضارة الطاغية. وفي هذه النقطة تنفون كلياً وجود اللسان الأمازيغي، ويعنـــي ذلــك تنفون وجود مختلف الألسنة، وهذا محفوظ في أثرنا الكريم.

**** زين الدين بن معطي أول من نظّم قواعد النحو العربي في ألف بيت من القبـــائل فـــي القرن الثاني عشر الميلادي، وقد ترجمت إلى الكثير من اللغات. شيء فظيـــع جــداً أن نسمع إلى هذا الكلام العشوائي. فنرجو التوثيق العلمي الذي لا يجعلني أقول هذا الكلام.

***** وجود جامعة في مداوروش، وهي ثاني جامعة في العالم. كذلك من أيــن لكــم بهــذه المعلومات التي لم يقل بها أحد قبلكم.

* مستقبل الجزائر في القطيعة مع كل أشكال التعامل مع اللغة الفرنسية، التـــي هي متخلفة مقارنة باللغات العلمية العالمية.

الصنف الثالث: فئة قليلة العدد، وهؤلاء هم الحاملون لهموم الإسلام، ولا يـــرون بديلاً عنه، بل يسعون إلى الإنية والهوية المتمثّلة في الأمازيغية أصالة، والإسلام دينـــاً والعربية لغة من اللغات الإسلامية. وهؤلاء شعارهم:

* الأصالة تبنى على الدم لا على اللغة.
* لا تكون الهوية إلا إذا توافرت لها خصائص الوحدة والثبات والمغايرة.
* ترقية اللغة الأمازيغية ضرورة لابدّ منها.

ويا سيدي الأستاذ: إنّ اللغة العربية لا يخدمها إلا المحبون لها، لكن ليس الحبّ الـــذي يعمـــي صاحبه. اللغة العربية تحتاج إلى من يقدم لها الأدوات الإجرائيـــة للتطويـــر وملاحقـــة العصر. وإنّ ملف التعريب ملف شائك يحتاج إلى العلميـــة والمنهجيـــة وإلـــى اللغـــات الأخرى ولا يحتاج إلى الخطاب المستهلك. ولقد كان لكم فضل محـــترم وهـــو تأســـيس جمعية الدفاع عن اللغة العربية، ولو تواصل عمل تلك الجمعية في البحث العلمي الداعي لتطوير اللغة العربية لكان أفضل ممّا نعمل على الإقصاء.

ولقد سبق لكم أن كنتم في موقع القرار، وربّما تعذرون على ذلك، ولم نـــر أي شـــيء جسّدتموه في هذه المسألة إلا مؤخراً ما تجسّد على المستوى العالي، من حيث التجسيد الفعلي للتعريب مع قانون تعميم استعمال اللغة العربية في الخامس من جويلية لعام 1998م. وأعرف كما تعرفون وأنا شاهد على ذلك أنّكم من ضمن المدعوين والمعنيين بمناقشة ملف التعريـــب وتقديم الخطة الشاملة والمنهجية لكيفية التعريب على كل مستوياته وذلك في الأيام العلمية ذات الطابع البيداغوجي سنة 1991 زمن وزير التعليم العالي مصطفى الشريف وقد تأجّلت مناقشة ملف التعريب حتى اليوم الأخير من تلك الأيام ليلاً، وقد كنتم من الغائبين عن مناقشـــة ذلـــك الملف بحجة أنّه نوقش ليلاً، وأنتم عليكم التزامات دخول البيت. ولا أريد التعليق علـــى هـــذا الأمر لأنّه أمر خطير أن لا تحضروا مناقشة هذا الملف، وتتركوا الأمـــر لمـــن يقـــرر مـــا يريد!!!!! ويومها سمعت كلاماً خطيراً من قبل الزملاء (المفرنسون) الذيـــن ســـهروا الليـــل وأعدوا ملفاً خاصاً عن تعريب العلوم.

* تدريس الأمازيغية في المدارس والجامعات ومراكز البحث.
* كتابتها بالحروف العربية.
* مستقبل الجزائر في اللغة العربية[20].

ومن خللا كل الذي ذكرناه، كان يجب أن نحدّد موقعنا من هذه الطروحات التي نراها ونسمعها يومياً. وإنّ العالم اليوم يتكتّل، واللغات تتكتّل وتتكاتف من أجل إثبات الذات، والحصول على موقع في الحياة، فيجب أن نبني الهوية الكبرى التي بها يكون لنا البقاء، لأنّ اللغات التي لا يمثلها أكثر من 80 مليون ناطق لغة محكوم عليها بالانقراض. فأين موقعنا من كل هذا؟

---

20 – لقد قال Jack Bercque بهذا القول، وطعّمه بقوله: إنّ مستقبل الجزائر في شيئين اثنين: الزراعة واللغة العربية.

المحافظة السامية للأمازيغية

أعلن دعاة الدفاع عن الأمازيغية في 20 أفريل من سنة 1994م عـن نيّتهـم فـي المطالبة الرسمية بتجسيد اللغة الأمازيغية لغة وطنية ورسمية، بدءاً من السنة الدراسية 94-1995م، وإذا لم تكن هناك استجابة يلجؤون إلى تحسيس الشعب بهذا المطلب ويقاطعون الدخول المدرسي. وفي سبتمبر 1994 رفع دعاة الأمازيغية من جديد نفس المطلب، بخروجهم إلى شوارع بعض المدن الناطقة بالقبائلية، ولم تستجب الحكومة للمطلب، وإثرها أعلنت المقاطعة المدرسية، ولقيت استجابة في بعض المناطق.

حاولت الحكومة التفاوض مع المطالبين بوطننة وترسيم الأمازيغية، لكنّها لم تفلح في إعادة التلاميذ والطلبة إلى مقاعد الدراسة، وتواصلت المقاطعة، لكن المفاوضات لم تنقطع. وفي أفريل من سنة 1995 حاولت الحكومة امتصاص غضب الولايات المقاطعة فأنشئت المحافظة السامية للأمازيغية[21].

وهكذا أنشئت المحافظة السامية للأمازيغية بعد اتفاقية 22 أفريل من سنة 1995م ما بين دعاة المطلب الأمازيغي والحكومة، والذي تمخّض عن سنة بيضاء (رمي المحافظ) أو سنة المقاطعة المدرسية في الولايات الناطقة بالقبائلية. وكان من المهام العليا لهذه الهيئة ردّ **الاعتبار للأمازيغية وترقية اللغة الأمازيغية**. وأمام هذه المهمّة الكبيرة تمثّلت أهدافها بناء على المرسوم الرئاسي رقم 95- 147 المؤرخ في 27 ذي الحجة عام 1415 الموافق 27 مايو سنة 1995، في:

1 – ردّ الاعتبار للأمازيغية وترقيتها بكونها أحد أسس الهوية الوطنية.

2 – إدخال اللغة الأمازيغية في منظومتي التعليم والاتّصال.

وأمام المهمّتين الأساسيتين نصّ المرسوم على أنّ المحافظة تتحمّل الخصوصيات التالية:

21- في المرسوم الرئاسي المنشئ لهذه المحافظة يسميها (المحافظة العليا للأمازيغية).

– تعرّف وتحلّل وتحضّر وتعدّ كل العناصر الضرورية لتنفيذ السياسة الوطنية من أجل ردّ الاعتبار للأمازيغية.

– تعدّ بالاتّصال مع مجموع القطاعات المعنية المخططات السنوية والمتعدّدة السنوات إدخال اللغة الأمازيغية في منظومة التعليم وفي برامج تطوير مكانة اللغة الأمازيغية في منظومة الاتّصال.

– تضمن تنسيق المخططات والبرامج المقررة، وتسهر على تنفيذها وعلى متابعتها.

– تباشر كل الدراسات المتّصلة بميدان اختصاصها.

– تتابع تنفيذ البرامج والمخططات المقررة لكل قطاع نشاط معني، وتقوّم نتائج ذلك، وترفع تقريراً عنه إلى رئيس الدولة، وتتلّقى لهذا الغرض من الإدارات والهيئات المعنية كل معلومة وتقارير تتعلّق بتنفيذ الأعمال المقررة في إطار مهامها.

– تستخلص المحافظة العليا وتضبط بالاتّصال مع القطاعات المعنية الإطار التنظيمي والقانوني الضروري للتكفّل بأنشطة الهياكل المكلّفة بتجسيد الأهداف المسطّرة لها، وتطويرها ومتابعتها.

وأمام المهمّة المستعجلة كان على المحافظة السامية للأمازيغية في نفس السنة من إعداد المؤطرين الذين سوف يباشرون تدريس الأمازيغية مع الدخول المدرسي 95-1996، ولنفس الغرض كوّنت الدفعة الأولى وعددها 243 متربص بعضهم من المناضلين في الحركة الجمعوية الأمازيغية، وبعضهم مهيكلون في المنظومة التربوية وآخرون نشيطون في مجال الثقافة الأمازيغية، وداخل هذه الدفعة أناس بمستويات وأفكار وثوابت ومتغيرات كثيرة. ولقد تمّ تأطير هذه الدفعة تحت ظروف استعجالية والذي ما وقعت فيه اختيار المرسكلِين ولا المرسكَلين.

وفي الدخول المدرسي 95-1996 بدأ تدريس الأمازيغية للمستويات: الثامنة أساسي، والسنة النهائية من التعليم الثانوي على أساس التجربة، ومسّت البداية 16 ولاية.[22]

وبعد سنة من المرحلة التجريبية رأت المحافظة أن يعاد النظر في السنوات التي يستهدفها التدريس؛ ليصبح بعد السنة التجريبية يمسّ السنة السابعة أساسي بحجم ساعي 3 ساعات في الأسبوع بعدما كان ساعة واحدة. وكان هذا الاختيار[23] استراتجياً في بعده العام؛ حيث يتواصل التدريس بعد ذلك على السنوات اللاحقة أي في العام الدراسي 1996 سنجد السنة السابعة والتاسعة أساسي تدرس الأمازيغية، والسنة الأولى والثالثة ثانوي.

ومع كل ما كان فإنّ طموح المحافظة أكبر من العراقيل التي صادفتها وهي طبيعية، إلا أنّ الملتقيات والندوات والأعمال العلمية حول التربية والتاريخ الوطني وتدريس الحرف التقليدية، وغيرها من النشاطات، كفيلة بأن تعطي لنا المنهج المحكم الذي تقوم به الحافظة من أجل ردّ الاعتبار لهذه اللغة في بداية المشوار. ولا شكّ أنّ مشاركتها في إنجاز الكتاب المدرسي للسنة السابعة أساسي (لمآد تامازيغيت)[24] والعمل العلمي الهام الذي ينجزه فريق من أعضاء المحافظة بمساعدة وزارة التربية وبعض المختصّين والعلميين في ميدان المعجميات حول إنجاز المعجم الأمازيغي؛ الذي سيكون اللبنة الأساسية نحو تقنين وتنميط اللغة الأمازيغية.

22- هناك تراجع ملحوظ في ميدان تدريس الأمازيغية على مستوى الولايات التجريبية ولوحظ ذلك في ولايتي باتنة والبيض.

23- أزجي خالص تقديري للأستاذ العربي كوديل في المحافظة السامية للأمازيغية الذي أمدّني بمعلومات تخصّ هذا الجانب.

24- الكتاب بجزئيه يتناول نصوصاً عامة حول ما يتعلّق بالتراث والحِرَف والتاريخ الوطني؛ وهي نصوص بسيطة جاءا يتناولان النصوص بخمس لهجات، وهي:

تماهاق / تاقبايليت / تومزّابت / ثاشاويت / ثاشآنويث.

تلك هي بعض اللمحات المختصرة حول مهام المحافظة السامية للأمازيغية والآفاق المسطّرة من قبلها. ولا شكّ أنّ تفعيل هذه المؤسسة يحتاج إلى تكاتف الجهود من أجل إعادة الاعتبار لهذا الموروث الثقافي الهام الذي هو من مهام المدرسة الجزائرية ككل في المقام الأول. ونعرف أنّ المحافظة السامية[25] ليس من مهامها إنجاز ما يتعلّق بالكتاب المدرسي أو إعداد المعاجم، وهي العملية الأساسية في كل لغة، وهذا ما يجب أن يعمل لاحقاً بالتعاون الجادّ الذي يعمل على إلغاء التهميش.

25- المحافظة السامية للأمازيغية، هي مؤسسة استشارية، تعمل على التنسيق والاتّصال والتعرّف على الخلل، والتحسيس بأهمية الفعل العلمي والتربوي في قضية ردّ الاعتبار وترقية اللغة الأمازيغية. وهذا ما توضّحه مجالسها ولجانها المتمثلة في:

1- مجلس عام للتوجيه والمتابعة.

2- لجنة مشتركة بين القطاعات للتنسيق.

3- لجنة بيداغوجية علمية وثقافية.

3 – الأمازيغية في المغرب الأقصى

وكما رأينا فإنّ الأمازيغية الأم لم تتجسّد كلغة استعمال في بلدان المغرب العربي؛ بل بقيت أو تجسّدت لهجاتها المختلفة؛ والمتوزّعة على مناطق متعددّة من مناطق المغرب الكبير. وبفعل الهيمنة أضحى المغرب الكبير تتقاسمه مجموعة لغات، بعدما كانت تسوده لغة واحدة هي الأمازيغية (البربرية) وهذه اللغات (اللهجات) تقرب بشكل أو بآخر من بعضها البعض، وكون عدم وجود الشيء الكثير من تراث هذه اللغة (الأم) يصعب تعيين اللهجة التي تقرب أكثر من غيرها إلى الأصل إنْ وُجد. لكنّ الدراسات اللغوية ترى أنّ اللغة الأم تقرب إلى لهجة التوارق أكثر من اللهجات الأخرى.

وفي بلاد المغرب (المملكة المغربية) نجد مجموعات لهجية وفي مناطق مختلفة وأحيانًا متباعدة عن بعضها البعض؛ حيث نجد هذه اللهجات في كل من الريف والأطلس والسوس، وأكبر مجموعة لغوية هي المجموعة الريفية ولغتهم تسمى (تاريفيت). وهي لهجة زناتة كما نصّ عليها ابن خلدون ولقد سبق له أن قسّم اللهجات البربرية في المغرب إلى مجموعة مصمودة، ومجموعة صنهاجة ومجموعة زناتة.

وفي العصر الحاضر ترى الإحصائيات الوطنية استناداً إلى اللسان، أنّ العرب في المغرب يشكلون ما نسبته 15% والبربر المتعربين 45% والباقي متمزغون.

ومن هنا نرى أنّ المغرب يشكل النسبة الهامة من الناطقين بالأمازيغية، وأنّ لغة الأكثرية الناطقة تقرب بوجه من الأوجه إلى اللغة الأم، ولذا تدعو الضرورة العلمية دراستها واستنتاج خصائصها، بل أن تكون لها الغلبة والصدارة في معجمها. لكنّ دون طغيانها على اللغات الأخرى؛ والتي قد تكون انحرافاً عن بعضها البعض.

تطرح قضية الأمازيغية حالياً في البلدان المغاربية على أنّها من المشاكل اللغوية التي تعيشها هذه البلدان، بل هي استعادة للهويّة المفقودة. وفي المغرب ينظرون إليها على أنّها مسألة ثقافية بحتة، ولا تحمل العقدة في ذاتها، وليست مسألة هويّة في البعد

الخاصّ، لأنّ الهوية مفروغ منها[26]؛ منذ أن اختار الأجداد الهوية، ونِعْم الهوية[27]. مع أنّ نسبة العرب (غير الناطقين باللسان الأمازيغي) ليست عالية جداً، مقارنة بالذين يتكلّمون الأمازيغية، كما أنّ الأمازيغيين ليست لهم عقدة تجاه العربية أو العرب (لا يتقنون الأمازيغية) بل هناك تجانس تام في الأفكار والبعد الوطني ((... الأمازيغيين ليس لهم أية عقدة تجاه اللغة العربية، بل تقبلوها عن طواعية وطيب خاطر، فرسّخوا لها أقدامها في هذا البلد سياسياً باستقبالهم المولى إدريس. وإدارياً بخلق أسلوب عربي في المراسلات الرسمية، ولا يزال متّبعا منذ عهد الموحدين. وتربوياً بإنشاء مدارس لها على نطاق واسع في عهد المرينيين. وديداكتيكتياً بتأليف كتب في النّحو العرَبي كمَا فعل

26- نشير في هذه النقطة إلى أنّ أبعاد هوية المدرسة المغربية تتمثّل في: بعدها الأمازيغي+ بعدها الإفريقي+ بعدها العربي/ الإسلامي+ بعدها الأوربي. وهذه الأبعاد تشكل نمطاً حضارياً للمدرسة المغربية المعاصرة.

27- نشير في هذه النقطة إلى أقدم نصّ في تاريخ المغرب الإسلامي وقّعه أعيان قيس وأشراف زناتة مع القائد العربي حسّان بن النعمان الأزدي؛ سابع قواد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الملقب بالشيخ الأمين:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما شهدَ به نجاد قيس عيلان لإخوانهم زناتة بني برّ بن قيس عيلان أنّا أقررنا وشهدنا على أنفسنا وعلى ابائنا وأجدادنا أنّكم معشر زناتة من ولد برّ بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فأنتم والحمد لله إخواننا نسباً وأصلاً، ترثوننا ونرثكم، نجتمع في جد و حد، وهو قيس عيلان، فلكم ما لنا، وعليكم ما علينا، لم نزل نعرف ذلك ونتوارث علمه وصحته عن أبائنا ومشايخنا وأهل العلم بالتاريخ والمعرفة بالأنساب منا يأخذه كابر عن كابر وعادل عن عادل، فليعرفوا ذلك ويُلزموا أنفسهم ومواليهم معرفته امتثالاً لقوله تعالى: فاتقوا الله الذي تساّءلون به والأرحام . وقد قال صلى الله عليه وسلم حين خطب في حجة الوداع: أيّها الناس، اتقوا الله وصلوا أرحامكم واحفظوا أنسابكم، والله على ما نقول وكيل.

ع/ الأكاديمية الملكية المغربية، مطبوعات الأكاديمية، عدد "مستقبل الهوية المغربية أمام التحديات المعاصرة". تطوان: 6-7 يناير 1997.

الجزولي وابن معط وآجروم))[28]. وهكذا نرى أنّ أمر مراجعة الذات في ما اتُّخذ غير وارد، وأنّ التعدّد اللغوي قائم على مستوى الممارسات العامة لا على المستوى الرسمي، ومن هنا يعتبر المغاربة أمر الأمازيغية أمراً ثقافياً فقط. ولذا لم تطرح الأمازيغية في المغرب طرحاً فرضياً ولم تحمل صفة العنف في الطرح. وحالياً يُطالب بالتعريب لأنّه سيتيح بناء الشخصية الوطنية، ولأنّ اللغة العربية هي:

((- الضامن الأساسي للهوية.

- وحدها التي تستطيع الحيلولة دون الاندماج والتلاشي في الثقافة الأجنبية التي أدخلها الاستعمار، الذي لازال حاضراً من خلال المبادلات الاقتصادية والثقافية المتعدّدة مع عالم خارجي غير عربي.

- وحدها التي تستطيع المحافظة على أصالة نوعية))[29]. ومن خلال هذا نرى أنّ لغة المنشأ (الأمازيغية) عند المغاربة هي لغة الأم غير المعترف بها، لكنّها في العرف الثقافي لها امتداد طبيعي من خلال التواصل اليومي لا الإداري، وبحكم أنّ اللغة الوطنية مفصول فيها.

وأما التعدّد اللغوي أو اللاتجانس الثقافي، والتي هي سمّة المجتمعات عامة والمغرب ليس بدعاً في هذه المجتمعات، ويعزز الأستاذ أحمد بوكوس هذا الرأي في التزاوج بين الثقافتين في المغرب إذا يقول: " إنّ التعدّد اللغوي واللاتجانس الثقافي سمتان تطبعان سائر المجتمعات، وهما ظاهرتان طبيعيتان وصحيتان يجدر موضعتهما في الإطار الصحيح، وهو المفهوم العقلاني لجدلية الخاص والعام، وجدلية المحلي والوطني وجدلية الوطني والكوني، والفهم العقلاني لهذه الجدلية يقصي التصور الأحادي والتركيز على القطب الواحد ولربّما يكون هذا الفهم -إنْ ترجم على مستوى

28- محمد شفيق "الأمازيغية والمسألة الثقافية في المغرب" مجلة اتّحاد كتاب المغرب. الرباط: 1992/1، ص 95.

29- جلبير غرانغيوم، اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، ترجمة: محمد أسليم ط1. مكناس: 1995، الفارابي للنشر، ص 27-28.

الممارسات الجماعية والمؤسساتية والفردية- أداة لولوج درب الديمقراطية. وما هذا الأمر بهيّن"[30] .

إذن لا يوجد إشكال لغوي في المغرب في المسألة اللغوية، ولا في تعليم الأمازيغية كما أنّه لا توجد نظرة نقص تجاه العربية، فهناك تجانس تام بين السكان كونهم برابرة كما أنّ الأمازيغية لم تكن مطلباً شعبياً في يوم ما -رغم أنّ أكثر من نصف الشعب المغربي يتكلّم اللهجات البربرية في مختلف المناطق- بل هي من المطالب المحتشمة لبعض الأحزاب، ولم تكن هناك أحزاب ثقافية، وإنّما هناك قوات داخلية تدعو إلى التمزيغ، واستطاع اليسار المغربي بمساعدة بعض المثقفين وبعض الجمعيات الثقافية إنشاء صحف ومجلات في هذا الاتجاه مثل: أنوال/ البلاغ/ المسار/ الأساس/ الثقفي... الخ. ومن خلال عناوينها نحكم على الاتجاه الذي تبلور فيها أفكارها. وعلى العموم فإنّ بعض الاتجاهات ترى:

- الأمازيغية مكوّن مكونات الثقافة المغربية.
- الأمازيغية تشكل رافداً هاماً لإثراء اللغة العربية.
- تدريس الأمازيغية لا يترتّب عليه ضرورة إضعاف اللغة العربية.
- الكثير من البلدان تعلّم اللغات الوطنية.
- الحقيقة التي يجب ألا تخفى هي أنّ المغرب بحاجة للغة الأمازيغية، كونها تستمد مشروعيتها من القاسم المشترك للسواد الأكبر من المغاربة، وخزاناً ثرياً من المُثُل والقيم الحضارية والتاريخية.
- إنّ المغرب المعاصر بحاجة إلى اللغة والثقافة الأمازيغيتين لاعتبارات نفسية ولغوية وعلمية وحضارية وثقافية ودينية ووطنية.

30- أحمد بوكوس "التعدّد اللغوي، اللغة -الثقافة الأمازيغية" مجلة اتّحاد كتاب المغرب. الرباط: 1992/1، ص 111.

- إنّ الحديث عن الأمازيغية لا يعني الانغلاق المطلق، بل يعني ضرورة التفاعل مع الشرق والغرب.

وهكذا نجد الأحزاب والمثقفين المغاربة الداعين إلى التمزيــغ الثقــافي يحــاولون تحسيس الشعب المغربي بهذا المطلب، وفي كل الأحوال لم تأخذ المسألة طرق السياسة أو طرق العنف، أو المقاطعة المدرسية، بل رُخّصت لجمعيات ثقافية وخاصة في الريف فعملت هذه الجمعيات على التحسيس بأمر هذه اللغة في مجالات اللغــة والأدب. ومــن ذلك عمل المغرب على تجسيد الأمازيغية في البحث الأكاديمي قبــل أن تتجسّــد فــي الرسميات، ولاشكّ أنّ الأبحاث التي تقوم بهــا المؤسســات الوطنيــة وكليــات الآداب ومختلف الجامعات، والملتقيات، والجمعيات الوطنية والثقافية كفيل بتحصين هذه اللغــة وجمع تراثها المشتت، والذي سيكون الرصيد الوظيفي للاستعمال في وقت قادم. كمــا أبقت المغرب على كرسي البربرية الذي كان زمن الاحتلال الفرنسي، وبقي في جامعة الرباط، وأنّ القائمين عليه يسعون على ترقية هذه اللغة، بتقديم رسائل علمية في المجال اللساني.

ولقد أقامت فرنسا في آزرو كلية بربرية سنة 1929م وذلك لإعداد إطارات بربرية لتولي الإدارة بالبربرية، وفشلت التجربة لتماسك المغاربة مع بعضهم، بــل إنّ الفــوج الأول من المتخرجين هو الذي ثار على فرنسا، وأطلقوا مصطلح **الأمازيغ** بدل مصطلح **البربر** الذي كانت فرنسا تفضله، وأهل الأطلس يستعملون مصطلح الشلوح. كما حاولت مرة أخرى إصدارها (الظهير البربري) في 16 مايو 1930 * لتكريس تمزيق المغرب إلى مجموعات بشرية وقبلية حسب اللغة؛ والذي يقضي بــ:

---

*هو ظهير يسعى لفصل البربر عن العرب، ويسعى لمحاربة كل ما هو إســلامي، وبــالطبع اللغة العربية. كما هدف الظهير كذلك تكوين المدارس الفرنسية غرضها جعــل أفضــل عناصر السكان الأصليين فرنسيين وهذا ما يقرّ به Henret Simon. وكل هذا من أجــل خلق صفوة من الشباب تدافع عن مصالح فرنسا، بزعم أنّ العنصر البربري أرقى مــن العنصر العربي.

* تطبيق الأعراف والتقاليد القبلية بين البربر.

** محاكم من رؤساء القبائل، يؤدي ذلك إلى وجود نظامين في دولة واحدة.

** التفرقة بين البربري والعربي.

وفي نفس الوقت عملت على إيجاد كراسي اللغة البربرية في جامعاتها، وعملت على مناقشة كثير من الرسائل الجامعية، بتأطير أساتذة فرنسيين، ومعظم الذين أنجزوا تلك الرسائل كانت من قبل الطلبة المغاربة. وبذلك عملت كل ما في وسعها لإقحام نفسها في المجال اللغوي بدعوى العودة إلى الأصالة والهويّة، لكنّها لم تفلح، ومع كل ذلك تعمل على احتواء كل من يدعو إلى هذا الاتّجاه.

ولكنّ التفاعل الجنسي (أمازيغي -عربي) لم يتقبل هذه الفكرة المقيتة التي تؤدي إلى الانقسام والتشتت، لأنّ فرنسا هي نفسها لها كثير من الناطقين بغير الفرنسية ولكنها لم تعط لهم حق تدريس لغتهم، أو ترسيمها كما كانت تعزف على وتر الشعوب المحتلة من أجلِ تجسيد سياسة: **فرق تسد**. وهكذا حارب المغاربة أمر الظهير البربري الذي يعطي لكل رقعة لغوية خصائصها الجنسية بناءً على الخصائص اللسانية، وبذلك تتمكّن من مدّ نفوذها إلى رؤساء القبائل من أجل دوام بقائها. لكن الرفض العارم الذي جاء من قبل الشعب جعل الظهير البربري اسماً دون معنى، وقد أعطى نتائج لم تكن تُنتظر؛ حيث التفّ المغاربة حول تجسيد العربية أولاً ثمّ الأمازيغية؛ وهي لغة الثقافة ثانياً.

والمغاربة منذ دخول الإسلام إلى بلادهم عملوا على تجسيد الأمازيغية في ثوب عربي، وهذا ما خلق التعايش التام بين أبناء الوطن الواحد فيستعملون الأمازيغية ويكتبونها بالحروف العربية دون عقدة تذكر، وخاصة عند أهل السوس.

ومؤخراً أدرجت الأمازيغية بلهجاتها الثلاث في التلفاز المغربي، وفي الأخبار وذلك في نشرة اللهجات؛ وهذه الأخبار التي تذاع بثلاث لهجات؛ وهي لهجات هامة محكية بشكل دائم في الحياة اليومية، وهي:

1- تامازيغت، أو تازيانيت، والتي يُتكلّم بها في الأطلس.
2 - تاشلحيت، والتي يُتكلّم بها في الجنوب، مثل أكـــادير ونواحيها.
3- تاريفيت، والتي يُتكلّم بها في شمال المغرب (نسبة إلى بلاد الريف).

وأما الحسانية فهي لهجة تُتكلّم بها فئة قليلة في الحدود المغربية الموريتانية، وهي لهجة منتشرة كثيراً في موريتانيا، كما أنّ لها بعض الجيوب اللغوية في بعض التجمعات السكانية، فلم تدرج في هذه النشرة الرسمية التي تذاع بها الأمازيغية في القناة التلفزية. وترجع هذه التسمية في غالب الأمر إلى نسبتها إلى اسم القائد العربي حسان بن النعمان حاكم إفريقيا، ويبدو أنّها خليط من العربية والأمازيغية.

وكما شكّلت الحكومة لجنة مهمّتها العمل على إدراج الأمازيغية في المدرسة، وهذه اللجنة تعمل بتؤدة، وكان من المفروض أن تقدم خطّتها للمسؤولين مع نهاية عام 1995م للنظر من جديد في كيفية تعليم الأمازيغية، وأية لهجة تعلّم من هذه اللهجات الثلاثة التي يقع الاختيار على تعلّمها، لأنّ الأمازيغية الأم قد اندثرت، ولكن سكت عن هذا الملـــف وبقيت بعض الجمعيات تدافع عن إدراج الأمازيغية في المدرسة، مثل جمعية تاماينوت. ولكن ما يمكن أن يفرض نفسه على مستوى الصراع اللغوي هو أية لهجة مـــن هـــذه اللهجات تُعتمد حالة موافقة الحكومة على إدراجها في المجال التربوي.

ومهما يقال في هذه النقطة فإنّ مسألة الأمازيغية فـــي منظـــور بعـــض البـــاحثين المغاربة "قنبلة موقوتة"، فيجب على الدولة المغربية أن تعمل على التوازن المدرســـي في مجال تدريس الأمازيغية، وهذا باتّخاذ تدابير تربوية يراد بهـــا إصـــلاح وإدخـــال الأمازيغية في المسار المدرسي "إنّ المدرسة المغربية مطالبة أكثر من أي وقت مضى بضرورة اتّخاذ تدابير إصلاحية فورية للقضاء على هذه الاختلالات، وإعادة التـــوازن للمجتمع المغربي، وذلك عن طريق تبني سياسة تربوية جريئة، تهدف بالأســـاس إلـــى توزيع المعرفة على جميع المواطنين المغاربة، تحقيقاً لمبدأ تكافؤ الفرص، وديمقراطية التعليم، ولا سبيل في اعتقادنا لتحقيق هذين المبدأين، إلا عن طريق اعتمـــاد السياســـة

اللامركزية بغية تمتيع سكان بادية المغرب وهوامشه بحقّهم في التعليم الأساسي والثانوي والجامعي"[31].

كما أنّ أطروحات أخرى تصاحب هذا القول، حيث يرى الأستاذ محمد جسوس: ((إنّ للمغرب لغتين وطنيتين ولغة رسمية واحدة. وهذه حقيقة تاريخية تجاهلناها خلال سنوات وسنوات. إنّ الثقافتين العربية والأمازيغية هما في نفس الوقت تراث ورصيد لكل المواطنين المغاربة دون النظر إلى أصولهم العرقية المتعددة، والتي لا يمكن عملياً تحديدها والتفكير فيها بالنسبة لأي فرد أو لأي مجموعة من الأفراد. فكم من المجموعات المستعربة التي هي من أصل أمازيغي عرقياً؟ وكم من المجموعات المستمزغة والتي هي من أصل عربي؟ بل أكثر من هذا، المغرب هو رصيد تاريخي أفرز حضارة لها خصوصياتها، وتعتمد على لغتين وطنيتين هما الأمازيغية من جهة واللغة العربية من جهة ثانية. وهذا الرصيد اللغوي المتكوّن من اللغتين هو ما أفرزته عناصر تداخلت داخل المجتمع المغربي. البعض من أصل أمازيغي، البعض من أصل عربي، البعض من أصل أندلسي، البعض من أصل صحراوي، البعض من أصل زنجي إفريقي؛ منهم من تعربوا، منهم من تمزغوا، ولكن أساساً ما أنتجه المجتمع المغربي والتاريخ المغربي ككل هو **لغتان وطنيتان**))[32]. وهذا ما يعطي لنا الشرح الوافي بأنّ المسألة في المغرب أرادت أن تأخذ الصبغة المطلبية من تجسيد اللغة الوطنية الأمازيغية، والتي هي حقّ شرعي، ووريث قومي يجب أن يُصان.

وفي هذا الوقت تحرّك اليسار المغربي وحزب الاستقلال، وبعض الجامعات، مثل جامعة وجدة بغرض تثبيت لغة على أخرى بين اللغات الأمازيغية، كما أنّ اللغويين لهم دورهم الكبير في تثبيت اللغة التي يرونها أحقّ من غيرها، بناءً على المواصفات

---

[31]– جامع جغايمي، هوية المدرسة المغربية، ط1. أكادير: 1995، مطبعة شروق أكادير، ص78.

[32]– ينظر: محمد جسوس، أطروحات بصدد الأمازيغية والمسألة الثقافية في المغرب. مجلة اتّحاد الكتاب. الرباط: 1992، ص 98 وما بعدها.

العلمية التي سوف تخرج بها اللجنة التي تعمل على إدراج الأمازيغية فـــي المدرســـة. وهذا هو الشيء الذي يمكن أن يسجل على أنّه صراع من أجل ترسيم لغة مـــن هـــذه اللغات، حالة موافقة الحكومة المغربية على تدريس البربرية في المدارس الابتدائية.

كما أنّ التلفاز المغربي يولي أهمية كبيرة للتراث الذي تحمله هذه اللهجات ويركز على الغناء الشعبي المتداول في أقاليم المملكة، وخاصة لهجة الريف (تاريفيت) كما يقدّم حصصاً خاصة حول الشعر الأمازيغي تذاع كل أســـبوع. ولا ننســـى دور الإذاعـــات المحلية التي تذاع باللهجات الأمازيغية، وما تقدمه لهذا الإرث الثقافي النيّر.

كما أنّ البحث في هذه اللغة ليس من المحرمات، فنجد مجلات عامة ومتخصصة تبحث في هذا الإرث الحضاري الهام[33] وأنّ البحث اللساني في قضايا هـــذه اللهجـــات جارٍ بشكل جيّد. بل يعتبر المغرب من بلدان المغرب الكبير الذي يولي أهمية لهذه اللغة من ناحية البحث الأكاديمي[34]، فكثير من اللسانيين يبحثون في مجال ترقية هـــذه اللغـــة وأنّ البحوث جارية بشكل مكثّف، كما أنّه لا تخلو سنة من عقد لقاءات متنوعة تتنـــاول مختلف أوجه هذه اللغة، وأنّ المؤسسات وبعض الجمعيات الثقافية تولي كل العناية لهذه الإرث الحضاري الهام؛ حيث تعقد لها ملتقيات، أو تقدم فيها ملفات خاصة كمـــا فعـــل اتّحاد كتاب المغرب في عام 1992م.

33- يراجع مثلاً: الأكاديمية، مجلة الأكاديمية الملكية المغربية. الرباط: دجنبر العدد 8.

[34]- نعلم أنّ الأمازيغية تقوم على خدمتها لغتان هما:

العربية: بفضل تلك الجهود الكبيرة لكثير من الباحثين أمثال محمد شفيق الذي له أبحاث كثيرة في مجال اللسانيات الأمازيغية، ولقد قدّم لها معجماً كبيراً وهاماً، ومجموعة أخرى من الكتب النحوية أمثال: أربعة أربعون درساً في اللغة الأمازيغية. إضافة إلى كثير من المقالات في عبقرية اللغة الأمازيغية.

الفرنسية: بفضل الجهود اللغوية التي يقدمها أمثال أحمد بوكوس؛ وهـــو بـــاحث فـــي اللسانيات وأستاذ جامعي في الرباط. إضافة إلى فرق البحث الأخرى الموجـــودة علـــى مستوى بعض الجامعات، كوحدات الأنتروبولوجيا اللغوية.

وعلى العموم فإنّ التصادم الثقافي أو الصراع اللغوي لم يكن مطروحاً على غرار ما هو مطروح مثلاً في الجزائر، كما لم يحصل الصـــراع الثقــافي بيــن المعربيــن والمفرنسين أبداً، وهذا يعود إلى السياسة اللغوية القائمـــة علــى التعريــب التدريجــي والمتّبعة منذ الاستقلال، أي سياسة التعريب المرحلية، وقد حصل للمثقف المغربي بهــا التكامل الثقافي، لغتان أو أكثر (عربية -فرنسية أو عربية-أسبانية) ويضاف إليهما لغة التخاطب هي البربرية عند من يحسنها (كلغة استعمال يومي) مع أنّ اللغة الرسمية هي العربية واختيار التعريب لغة التعليم، لكنّ الصراع بدأ يظهر في الوقت الحــالي فــي مسألة تدريس الأمازيغية. ومازال يشتدّ أكثر لأنّ العربية لم تفــرض وجودهــا جيّــداً. وبدأت فِرَق عمل وبحث في الأمازيغية.

ومن هذا المنطلق ينظر كثير من المعربين إلى اللغة الأمازيغية أنّها لغـــة الثقافــة فقط فالعربية في المغرب لم تُفرض بالقوة، كما لم تُنحّ الأمازيغية بالقوة، ولم نسمع في بداية الاستقلال أنّه وقع خلاف في اللغة الرسمية للبلاد. فهذا الموضوع لا وجــود لــه أصلاً فالهوية المغربية[35] ترفدها العروبة والإسلام/ والبربرية والإسلام. ولغة الإســلام هي العربية فلا بديل لهذه اللغة.

---

[35]- الهوية في المغرب الأقصى ظاهرة اجتماعية، تشكّلت عبر العصور في:

- الثبات والوحدة والاعتراف بالشبيه. وهذه الاعتبارات الثلاثة هي التي تشكل القـــاعدة الرئيسية لنشاط الهوية المغاربية المتمثلة في:
- المفهوم الإسلامي للهوية الذي يستند إلى مرجعية مفاهيمية، تعتمد: العقيــدة-الأمــة-الوحدة.
- المفهوم القومي للهوية الذي يستند بدوره إلى مفهوم الوحدة، ويستلهم شحنات المخيال الجماعي التي لا يجد أساساً تاريخياً وموضوعياً يمنحها الانسجام والمصداقية المتوخاة فمرجعية المفاهيم: الوحدة-اللغة-العروبة.
- المفهوم الوطني للهوية الذي يتأسّس على مفهوم الوحدة الوطنية، لكنّها ليست وحـــدة متخيّلة، وليست ماهوية أو خالصة، بل تتحقّق من خلال التعــدّد وتفــاعل المتعــدّد.

ينظر: **جامع جغايمي. هوية المدرسة المغربية.**

ولكن نقر أنّ العربية ليس لها محلّ في الإدارة المغربيـــة، وقـد أُسـند القطـاع الاقتصادي للفرنسية والثقافي الاجتماعي للعربية والبربرية. لكنّ أمر التعريـب قـائم[36] ومؤسسات علمية تعمل من أجل تجسيد تعريب متطوّر يقبل بمضـامين العصـر، ولا يستغني عن اللغات الأجنبية وبواسطتها ينجح التعريب وبدونها مآله الفشل، ومـن هنـا نرى أنّ الدراسات التعريبية، تعطي كل يوم الجديد لهذه اللغة، كما أنّ وجود مؤسسـات علمية عربية في أرض المغرب يساعد على بعث التراث العربي الأصيل. وأمام هـذا التكامل في الأعمال نرى أنّ المغرب أكثر الدول العربية ترجمة للكتب، بـل أكثرهـا إنتاجاً، وهذا بفضل التعايش العلمي المقبول.

ولقد عقدت لجنة القيم الروحية والفكرية التابعة لأكاديمية المملكة المغربية، فـي مدينـة تيطوان أيام 6-7 يناير 1997 ندوة حول مسألة الهوية بعدما استفحل الكلام عـن هـذه المسألة؛ ودرستها من الجانب الاجتماعي والاقتصادي، ثمّ من الجانب الفكري (اللغـوي) وقد خلصت الندوة إلى:

* لا مراجعة فيما أقرّه الأجداد.

** العربية والأمازيغية هُوية مغربية (الهُوية المزدوجة).

*** التوفيق بين الموروث الحضاري والتطلّعات المستقبلية.

ع/ الأكاديمية الملكية المغربية، مطبوعات الأكاديمية، عدد خـاص بالهُويـة: مسـتقبل الهُوية المغربية أمام التحديات المعاصرة. الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1998.

[36]- إنّ التعريب في المغرب عرف مرحلة ركود نسبية، وهي المرحلة التـي أخـذت فيهـا الفرنسية مجدها، فمنذ سنة 1961م الذي عرف الرباط أول تجربة للتعريب الفاشلة، أبـى أن يعيد الكرّة مرة أخرى خوف الفشل، إلا أنّ المعطيات العصرية أعطت دفعـاً جديـداً للغة العربية بفضل تلك الجهود النيّرة التي يقوم بها معهد الدراسات والأبحاث للتعريـب وما يقدمه مكتب تنسيق التعريب في مجال المصطلح العلمي. وفي الآونة الأخـيرة بـدأ صراع لغوي يظهر على مستوى البحث، وبدأت العربية تأخذ أبعادها القانونية. وهنـاك أحزاب وجمعيات تنادي بأن تأخذ العربية مكانتها في الإدارة.

وفي هذا المجال نجد الأستاذ محمد شفيق وهو المختصّ في اللسانيات الأمازيغية وصاحب المصادر الكبيرة في هذه اللغة، مثل معجم الأمازيغية الذي يتناول الجزء الأول فيه حروف أ – ض. والجزء الثاني حروف ط – ك، يقول:

– معجم الأمازيغية غير متخصص، ولا تختلف فيه اللهجات البربرية كثيراً.

– البربرية لا تغني عن العربية، ولا تكون بديلا لها، واستبعاد الفرضيات الإيديولوجية والأمنية للاستدلال على عدم إدماج الأمازيغية لغة التعليم، وإبطال جميع الاعتراضات التي تثار من حين لآخر حول توحيد لغة التعليم.

– لا تعلم الأمازيغية في منطقة دون أخرى.

– العربية في المغرب وفي الجزائر لم تأخذ البراءة من المعترفين، ولكنّها أخذتها من القدرة على البقاء، وعلى الحياة، وريادة المستقبل.

ونفهم من كل هذا أنّ العربية في المغرب لا تتناقض والبربرية بل هي من روافدها؛ كون هذا التزاوج العرقي الذي لا يمكن أن يفرق بين هذا أو ذاك، ومن هنا تبقى مسألة الأمازيغية لغة شفاهية يستعملها المواطن في قضاء مصالحه وليست لغة رسمية، لأنّ ترسيمها يؤدي إلى مزاحمة العربية، والعربية هي اللغة الرسمية، ولغة القرآن، وتبقى الأمازيغية لغة الثقافة فقط.

ومن هنا يرى أغلب المثقفين أنّ الثقافة الوطنية تفرض لغة وطنية، ولا ترتبط الثقافة بالمفهوم الضيق، أو بالمفاهيم الإقليمية، والثقافة لا تعيش بغير اللغة الوطنية واللغة الوطنية لا تعيش بغير ثقافة وطنية، ومن هنا فإنّ الأمازيغية قد حلّت عقدتها من هذا الجانب، كونها رافداً من الروافد الثقافية للغة العربية. لأنّ عنصر المواطنة هي في: الحياة/ الكرامة الإنسانية/ عدم التمييز بين الناس؛ وهذه العناصر مجتمعة هي التي تشكّل الشخص الذي يشعر بانتمائه إلى الوطن.

ومع كل هذا فإنّ مطالب الحركة الثقافية الأمازيغية موجودة وقائمة، حيث تعتبر امتداداً لحركة المقاومة الشعبية. وهي حركة فكرية جعلت من أهدافها تحسيس الرأي العام الوطني والعالمي أنّ الهويّة الوطنية تتمثل في الأمازيغية لغة وثقافة، وهو بعد من أبعاد الشخصية المغربية. وهكذا أنجزت هذه الحركة عدة أعمال فكرية وإبداعية، كما

قامت بتنظيم ملتقيات ساهمت في التوعية بالقضية الأمازيغية، ويمكن أن نـــبرز أهـم الخطوط العامة لمطالب هذه الحركة[37]:

1- الحقّ في احترام ممارسة الحقوق اللغوية والثقافية.

2- الحقّ في المشاركة الجماعية لأعضاء المجموعة اللغوية -الثقافية مع بعضهم في التمتّع بثقافتهم.

3- الحقّ في استعمال اللغة الأم الخاصة بالمجموعة اللغوية الثقافية.

وهكذا تسعى هذه الجمعيات إلى تحديث آليات جديدة على مستوى أجهزة الدولـــة يمسّ:

- المجال الثقافي والتعليمي.

-- مجال الإعلام.

--- مجال حقوق الإنسان.

ويمكننا أن نعطي خلاصة لحال الأمازيغية في المغرب من حيث إنّها:

1 - لم تخلق في المغرب ديناميكية اجتماعية للدفاع عن مطالب الأمازيغيين. وإنّما ظهرت مطالب حينية وأحياناً ظرفية، وتتأثر تلك الجمعيات بما يجري في بلاد القبـــائل بالجزائر بشكل خاص، كما أنّها تلاحق المستجدات اللسانية الأمازيغية التي تجري فـــي باريس.

2 - الأمازيغية نسيج ثقافي مغاربي، وهي تعبّر عن الهويـــة والمكـــوّن الثقـــافي للشخصية البربرية والإسلامية.

3 - الأمازيغية مقوم أساس من مقومات الوحدة الوطنية التـــي لـــم يقـــع حولهـــا الاختلاف. وقد حصل التلاحم بين الشعبين واتخاذ الإسلام والعروبة دينا ولغة.

---

[37] - تضم الحركة الثقافية الأمازيغية عدة جمعيات، ولكل جمعية فروع، ونشير هنا إلى أهمّها فقط:

- الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي.

-- الجمعية الجديدة للثقافة والفنون الشعبية تامابنوت

--- جمعية أسنفلول.

وللتنسيق المؤسس سنة 1994 ست عشر جمعية.

4 – الإرث اللغوي يجب أن ينقل عن طريق تدريس هذه اللغة، والذي لا يكون على حساب اللغة العربية[38]. والثقافة التي تحمل لوناً ما يوجهها تصبح خطراً على وحدة المجتمع. في الوقت الذي يجب أن تكون الثقافة عامل التوحيد، والتنوّع محبوب في ظلّ التوحّد.

5– الإنتاج الذي ترجم إلى الأمازيغية عن طريق الفرنسية بالخصوص كثير ومتوفر[39].

6– هناك سياسة تعريب[40] عوام الشعب، وفرنسة الأغنياء والمسؤولين.

38– هناك باحثون مغاربة يسعون لوضع تصوّر ديداكتيكي لإحلال الأمازيغية محلّها مع العربية، وهناك أطر مغربية أخرى تعمل في مجال الأمازيغية تلقت الروح النضالية والمطالبة بالأمازيغية على يدّ الجزائريين الذين كانوا السبّاقين بالمطالبة بهذه اللغة. إلا أنّ بعض هؤلاء صاروا يعيشون تواطؤاً لغوياً بين سياسة الفرانكفونية وبداية التعريب منذ سنة 1963م. حيث إنّهم صودموا من عدم تحقيق التعريب، أو التعريب الوهمي كما يسمونه، والذي لم يتحقّق لحدّ الآن، فكان لهم ردّ فعل عنيف تجاه المشارقة بما فيها اللغة العربية. فهؤلاء يرون أنّ المغرب العربي استقل عن المشرق، وله أدواته المميزة وخصائصه العامة واللغة العربية ليست قدراً علينا. فلا يجب أن نكون أتباعاً المشارقة بتاتاً.

39– ونشير في هذا الصدد إلى بعض الإصدارات مثل: TWIZA و TILELLI و TAMUNT و La QUESTION AMAZIGH و NNEGH و AGHARAS و TAMAZHGHA و AMEZYAN و VOISINAGE و PARIMAZIGH و TAFT و TAMUSNI و A B C AMAZIGH و ANADI و JUGURTH و TIFINAGH و TIFAWT و T'IRA N TE MAZIGHT ... وغير هذه المجلات التي تصدر في أنحاء المملكة.

40 – يلقى التعريب بعض الصعوبات؛ حيث إنّ أمره موكول إلى:

– البورجوازية الكبرى التكنوقراطية التي تمتلك السلطة السياسية والاقتصادية حسب كفاءة الشخص الذي يحتل الموقع.

– يضاف إليها البرجوازية الخاصة Privée التي لها علاقة بالبورجوازية الأولى.

– يضاف لها كبار المقاولين والتجار وملاكي الأراضي ونخبة المهن الحرة.

هذه النُخب لا يعني أنّه لا تملك الحسّ الوطني، بل إنّها متشعبة بالثقافة الفرنسية، فمن الصعوبة بمكان أن تتخلى عن تلك المزايا التي تدرّها عليهم اللغة الفرنسية. وأما الطبقة البسيطة وهي الغالبة (طبقة المهمشين) فليس لهم ضلع كبير في أجهزة الدولة.

7- التفاهم بين المغاربة باللغة العربية لا يشكل عقدة، وهذا ما تختلف عنه في الجزائر؛ حيث يصعب التفاهم أحياناً بالعربية إلا عن طريق توظيف اللغة الفرنسية.

كما يمكننا تصنيف الدعاة والمثقفين المغاربة من خلال ما يجري طرحه حاليا في أرجاء المملكة:

الصنف الأول: هذا الصنف هو الأقوى عدداً وحجّة، والداعي إلى:

-* مسألة العربية لا رجعة فيها، بل تحتاج إلى المراجعة الداخلية من أجل اللحاق باللغات الحيّة.

-* إحياء الأمازيغية سلمياً مسألة جدّ ضرورة ومستعجلة.

-* كتابة الأمازيغية بالحرف العربي فقط.

-* التعريب تخدمه الأمازيغية، وهي صنو لها.

-* الثقافة الأمازيغية رصيد للعربية.

الصنف الثاني: ويضم في هذا الصنف فئة المزدوجي اللغة، ومعظمهم من الذين درسوا في فرنسا، وقدّموا رسائلهم في قضايا الاحتكاك اللغوي، وهذا الصنف يطرح:

-* نعم للازدواجية اللغوية، بتوظيف اللسان الأمازيغي.

-* الأمازيغية يجب أن تنال حقوقها في الإعلام والمدرسة.

-* مسألة تدوين الأمازيغية متروكة للباحث بين الحرف اللاتيني والحرف العربي.

الصنف الثالث: وهذا الصنف يميل كثيراً إلى التعريب الشامل. ويرى هذا أنّ القرارات التي كانت لصالح التعريب استغلت لتخريبه، ومن هنا لا يرون ضرورة الاهتمام بالأمازيغية.

-* توجيه كل الخدمات والوسائل نحو التعريب فقط.

-* أن يبقى ملف الأمازيغية كما هو، فقد نالت الأمازيغية حظها من الإعلام والبحث. ولا يجب النبش في القبور.

-* إذا كان من ضرورة في اعتماد اللغات، فيكون العمل بالنفعية في هذه النقطة أي العمل باللغات الأجنبية الراقية حسب المصلحة الوطنية، دون هيمنة اللغة الفرنسية.

4 – مشكلة الخطّ

رأيت أن أسمي هذه المسألة **بالمشكلة**؛ لأنّها فعلاً مشكلة، ولــذا نــرى أنّ الخــطّ (الرسم) في الأمازيغية مسألة مستعجلة، لأنّ الخطّ يعني الكتابة، وهــو مــن الوســائل الأساسية لترقيتها وتنمية أية لغة كانت، والخطّ هو المثبت للغة، والحافظ عليها مــن أي تغيير أو تبديل، وبالخطّ يكون التغيير بطيئاً، كما أنّ الخطّ هو الشاهد على ذلك التطوّر أو التغيير الذي يمسّ شيئاً من أساسياتها، إضافة إلى الدور الهام في دخول اللغة مجــال الحضارة عندما تكون مكتوبة؛ فالمكتوب ينبئ عن التقدّم، وغير المكتوب يعني التخلّف.

وإنّ الخطوط تعدّدت وكثرت، ولكل خطّ ميّزاته وخصوصياته وأبعــاده المختلفــة لكنّنا نقرأ أنّ الخطوط التي هيمنت على الكرة الأرضية حالياً هــي خطــوط اللغــات اللاتينية والإكلوكية والعربية واليابانية، وهي التي تعمل بها اللغات العلميــة العالميــة والمنظّمات العالمية، بل هي خطوط الاقتصاد الدولي، كما أنّها لا تعيش إشــكالاً فــي مجال تجسيد أصوات لغاتها ولغات غيرها، نظراً لمرونتها وقابليتها للتكيّف مع كثير من الحالات. ولا يعني هذا أنّ هذه اللغات لا تعيش مشاكل خطّيــة فــي مجــال تجسـيد المكتوب، أو إنّها قضت على كل المشاكل الخطية، بل لها مشــاكلها الخاصــة، ولكــن بفضل الجهود الإصلاحية والمتلاحقة استطاعت أن تتغلّب على كثير منهــا، ومــازال البحث في مجال تحسين الخطّ فيها. وأنّ الكمبيوتر والآلات الحديثة قضت وتقضي على كثير من تلك الإشكالات. كما أنّ أية لغة إذا قبل خطّها التنميط وأُدخل الإعــلام الآلــي يمكن أن يقضي على كثير من العوائق التي كانت تَعلَق به.

وما يعرف عن الحروف الأصلية للأمازيغية هي حروف **(التيفيناغ)** أو **التيفينار**؛ وأقدم نقش (رسم) أمازيغي. كما أنّ أقدم نقش وصل إلينا يعود تاريخه إلى أكــثر مــن 3000 سنة ق.م كتب بخطّ التيفيناغ. والتيفيناغ هو جمع لمؤنث Tafing، وتعني علــى أرجح الأقوال: الخطّ أو العلامة، أي الأبجدية (أبجد). وهو من أعظم الإنجازات التــي توصّلت إليها هذه اللغة في وقت لم تكن الكتابة قائمة؛ وهي الكتابة الأصلية للأمازيغية.

وهناك من يعطي دلالة أخرى لمصطلح التيفياغ، مثل: الحروف المنزّلة، وعند البعض الآخر إنّ كلمة التيفيناغ من أصل فينيقي، أي الكتابة الفينيقية، كون الأبجديات كلّها تعود إلى أصل فينيقي، وأما التاء في بداية الكلمة للمؤنث، وأفونيق من الفينيقية. ويرى البعض الآخر أنّ التيفيناغ مركبّة من كلمتين هما: **ثيفين**؛ بمعنى: اكتشاف، **وأناغ** بمعنى: ملْكُنا. ولكن هذا الطرح يحمل اتّجاها خاصا حيث يحاول تجسيد دلالة القبائلية دون غيرها من اللغات الأمازيغية. ولكن ترى الكثير من المصادر على أنّ التيفيناغ تعني الكتابة.

التيفيناغ: أبجدية غير منقولة، وأغلب الدراسات ترى أنّها تنتمي إلى نماذج قديمة لها علاقة بالحروف التي اكتشفت في جنوبي الجزيرة العربية، وهي الحروف الشاهدة على المدوّن من هذه اللغة، ومن أقدم الألفبائيات العالمية كانت تستعمل في إفريقيا توقفت كتابتها مع دخول الخوارج أرض المغرب، وذلك في القرن الثاني للهجرة واستبدلت بالحرف العربي[1]، وكونها استبدلت بهذا الحرف لأنّ السكان اندمجوا في حضارة الإسلام، في الوقت الذي لم يندمجوا مع الأمم الأخرى ((وسكان هذه المناطق الإفريقية الشمالية الغربية هم البربر، ولغتهم هي البربرية، ولقد قيل عنها إنّها منحدرة من لغة قديمة هي الليبية التي كان القوم يتكلّمونها منذ ألفين من السنين، وهي ذات حروف منفصلة تحمل اسم تيفيناغ))[2]. وبعد البحث اللغوي تبيّن أنّ مسألة هذا التاريخ (ألفان من السنين) يعود إلى أنّ الأمازيغية المندثرة كانت تكتب بالهيروغليفية ثمّ كتبت

1- ينظر: محمد على مادون، الأمازيغية (عروبة البربر للحقيقة المغمورة). دمشق: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف، 1992.

2- الناجي الأمجد "الخط المغربي والهوية المفقودة" مجلة منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط: 1994، المخطوط العربي وعلم المخطوطات سلسلة (ندوات ومناظرات) العدد 33،، ص 88.

بها المصرية، وهي من جنس **الكتابة الأبجدية**، قبل أن تكتب بالتيفيناغ الأصلية. وتبقى هذه فرضية لا تستند إلى دليل واقعي.

وهناك من يرى أنّها الكتابة الخاصة بسكان البحر الأبيض المتوسط؛ وهي الكتابة القديمة للسكان الذيت استوطنوا البحر الأبيض المتوسط، ويعني هذا أنّها الكتابة التي كتب بها الفينيقيون واليونانيون وغيرهم، وقد أخذوها عن السكان الأوائل الذين مروا بالبحر المتوسط أو استوطنوا جواره. ويبقى أنّ الفرضية قائمة في بعض أبعادها. وأميل في هذه المسألة إلى أنّها الكتابة اليونانية أو الفينيقية القديمة. وتتجسّد في هذه الحروف.

ينظر الصفحة الموالية

Signes berbères et alphabets méditerranéens anciens

(d'après J.B. MOREAU) (7)

Libyque	Numide Tifinagh	Phénicien	Arabique	Ibérique	Étrusque	Latin
b	a	a	g	a	a	A
m	b	g	t	g	b	B
f	dj	d	b	d	ǵ	C
t	h	e	dh	e	d	D
th	u	z	r	v	e	E
d	z	h	z	z	v	F
n	dz	th	s	h	z	G
l	k	y	sh	th	h	H
r	kh	k	th	i	th	I
s	i	l	e	k	i	J
s	l	m	m	l	k	K
z	g	n	n	m	l	L
y	m	o	y	n	m	M
k	n	p	f	o	n	N
g	j	q	d	p	o	O
w	s	r	l	s	p	P
	f	s		ś	q	Q
	q	t		r	r	R
	d	w		t	s	S
	r	y		a	ś	T
	t				t	U
					u	V
					ph	W
					kh	X
						Y
						Z

وأما موطن هذه اللغة فإنّ علماء الأنساب اختلفوا في ذلك، لكن تبقى الأمازيغة شاهدة على أنّها تنتمي إلى الساميات، أو السامية الحامية، وهذا دليل يؤمن به بعض اللسانيين الذين لا حظوا شبه اتّفاق بين الأمازيغ واليمنيين من حيث أسماء الأماكن. وبعض الاتفاق بين التيفيناغ والأبجدية الحِميرية، ويستندون إليه على أنّ الهجرة تمّت من الجزيرة إلى إفريقيا، وأنّ إفريقش بن ذي المنار قاد غزوات توطينية واسعة لشمال إفريقيا وهذا قبل الميلاد، وهو الذي وطّن قبائل عربية من كنعان وحِمير.

وترى كثير من الدراسات أنّ هذه اللغة هي اللغة الليبية القديمة[3]، وهي فرع من فروع أسرة حام[4]، واللغة الليبية ثبت أنّ لها وجه تشابه بينها وبين الترقية الحالية، وهذه اللغة هي مصدر اللهجات الأمازيغية الحالية. وهذا ما جسّده لنا الباحث سالم شاكر في كتابه " Manuel de linguistique berbère. I , p 256. in Les différents alphabet libyco-berbères. d'après K. G. PRASSE. ، وقد استخلص الباحث بـراس هـذه الكتابة أثناء وضعه لكتاب نحو اللغة التوارقية.

ينظر الصفحة الموالية

4- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة. تونس: 1985، الدار التونسية للنشر.

Tableau 4 - **Les différents alphabets libyco-berbères** - d'après K.G.PRASSE, Manuel de grammaire touarègue, I-IV, 1972, p.153-154, in S.Chaker, Manuel de linguistique berbère I, p.256:

E: libyque oriental; W: libyque occidental; H: Ahaggar (Algérie); Gh: Ghat (Libye); D: Adrar des Ifoghas (Mali); Y: Aïr (Niger); W: Iwlemmeden (Niger-Mali); N: Igellad (taneslemt); ar: notation de l'arabe

غير أنّه تعذّر إلى حدّ الآن قراءة الخطوط الليبية وذلك لعدة أسباب هي:

*- كونها تكتب أفقياً وعمودياً، ومن أعلى لأسفل، والعكس صحيح، وقد أطلق ذلك العنان للقراءة من أية جهة فهي صحيحة.

*- كون هيئة حروفها غير ثابتة.

* كونها منفصلة، صَعُبَ تفكيكها.

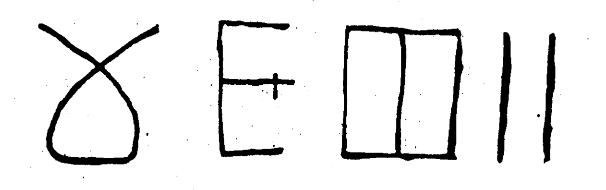
* إنّها غير يدوية في أصولها الأولى.

*- كثرة النقط في تلك الحروف.

وكما يمكن أن نلاحظ ذلك في الخط التيفيناغي في هذا النموذج الموضوع لغلاف قصة (الأمير الصغير) للكاتب الفرنسي سانت إيكزيبيري[5].

ينظر الصفحة الموالية

5- ينظر: في فقه اللغة وتاريخ الكتابة عماد حاتم، ط1، ليبيا: 1982 المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ص 223.



شكل رقم (٣٠)

نموذج من الخط الليبي ، علاوة قصة الأمير الصغير للكاتب الفرنسي سانت اكزوبيري

ومع هذه الصعوبة هناك من الدارسين من حاول تشفير هذه الصور، وأعطى لهـا المقابل الفرنسي كَفِعْل الأستاذ A - BASSET في مؤلفـه (Ecritures libyque et touaregue) ورأى أنّ لها قرابة بـ ثامشاغث (الترقية) أو هي الأمازيغيـة الأصـل؛ والتي جسّد حروفها كما يلي:

الحروف العربية	اللاتينية	ثامشاغث[6] (التماشق)
ب	B	ⵀ ⵂ ⴱ ⴲ
م	M	ⵎ
ف	F	ⴼ ⴽ I H
ت	T	+
د	D	ⴷ ⵎ ⵏ ⴷ
ض (ظ)	D	ⴹ
ط	T	ⵟ
ن	N	I
–	Ñ	ǂ
ل	L	II
ر	R	ⵔ ⵔ
س	S	ⵙ ⵚ
ز	Z	ⵣ ⵣ
ض الفارسية ، ژ	Z	# زاء مفخمة
ص	S	

6- نلاحظ أنّ التماشق قد جسّد بعض حروفها بأشكال عديدة، وهذا ربّما يعود إلى التحوّلات التي حدثت فيها أو في لهجة من لهجات اللغة الترقية.

ش	SH (S)
ح	Ź
ي	Y
ك	K
ك	Q
–	Q̧
و	W
غ	GH (ɣ)
خ	KH ( )
ق	K
هـ	H
أ	A

وأمام هذا الاختلاف في المكتوب كان النصّ يقرأ عدّة قراءات، ويحتمل أوجهاً عديدةً للقراءة، ولم يتجسّد الخطّ في صورة واحدة، بل له أوجه عديدة، وصاحبه وجود التصحيف والتحريف.

وعوداً إلى الدراسات التي ترى أنّ هذه الكتابة في الأصل هي الكتابة الفينيقية، فلقد تبيّن لي بعد إجراء المقارنة بين الخطّ الفينيقي والتيفيناغي، أنّهما يلتقيان في أشكال قليلة. ويرى الأستاذ رابح كحلوش (مختصّ في اللسانيات الأمازيغية) أنّ الدراسات اللسانية أثبتت أنّهما يلتقيان في ثلاثة أشكال فقط، وهذا ما يدلّ على أنّ الخطّ التيفيناغي ليس جزءاً من الخطّ الفينيقي، أو تطوّراً عنه بدليل أنّ أول أبجدية في التاريخ عرفتها الكتابة هي الكتابة الهيروغليفية، وقد تكون الأمازيغية قد استخدمت هذه الحروف ثمّ طوّرتها، لكنّ الدراسات العلمية لم تثبت ذلك.

إلا أنّ الرسوم التي وصلت تظهر نوعاً من الاتفاق بن أشكال اللغة السينائية والعربية الجنوبية والفينيقية وكذا أشكال لغة رأس شمرة. الصورة الموالية.

العربية	اللاتينية	اليونانية المتأخرة	رأس شمرة	الفينيقية	العربية الجنوبية	السينائية
ا	A	A				
ب	B	B				
ج	CG	(				
د	D	Δ				
هـ	E	E				
و	FV	Y				
ز	...	⌶				
ح	H	B				
ض	...	⊗				...
ي	I	S				
ك	...	K				
ل	L	LΛ				
م	M	M				
ن	N	N				
...	X	Ξ				
ع	O	o				
ف	P	Γ				
ص	...	...				
ق	Q	Ϙ				
ر	R	P				
س ش	S	Σ				
ت	T	T				

جدول مقارن مأخوذ عن تاريخ العرب لفيليب حتي

كما يستند بعض الباحثين ويؤكدون على أنّ خطّ الأمازيغية متأثر شـــكلاً ونطقـاً بالفينيقي و اليوناني لعامل النطق في المقام الأول. ينظر الشكل.

	تسمية الحروف		شكل الحروف				
	بالفينيقية	باليونانية	فينيقي	يونانية			كلاسيكي
1	الف	الفا	X	ΛΛ	ΛΛ	ΛΛ	Α
2	بيت	بيتا	9	ΒΒ	Β	ΒΒ	Β
3	جميل	جاما	1	1 1	Γ	Γ(	Γ
4	داليت	دلتا	◁	ΔD	Δ	ΔD	Δ
5	هي	X ابسيلون قصيرة e	∃	∃ E	E	E E	E
6	واو	X ابسيلون	Y	Y V	Y V	Y V	Y
7	زين	دزيتا	I Z	I	I	I	I z
8	حيط	X الطويلة ايتا e	H	H H	H	H H	H
9	طيط	تيتا	⊕	⊕ ⊙	⊙ ⊙	⊙ ⊙	Θ
10	يد	X يوتا	Z	⟨ ⟩	I	I	I
11	كف	كابا	K	K K	K K	K	K
12	لامد	لامبدا	L L	L Γ	Λ	V	Λ
13	ميم	مي	M	M M	M	M M	M
14	نون	ني	N	N N	N N	N N	N
15	سامك	KSi كسي	Ξ		Ξ		Ξ
16	عين	X ميكرون (قصيرة) o	O	O	O	O	O
17	في	بي	Γ	Π Π	Π Π	Π Π	Π
18	صادي	X سامي	M	M M			
19	قوف	كوبا	Ϙ Ϙ	Ϙ Ϙ	Ϙ	Ϙ	
20	ريش	رو	P	P P	P	P P	P
21	شين	X سيغما	W	ξ	ξ	ξ ξ	Σ
22	تاو	تاو	+ X	T	T	T	T
23	—	فـي			Φ	Φ Φ	Φ
24	—	خي			X	X +	X
25	—	Ps سي			Ψ Ψ	Ψ Ψ	Ψ
26	—	X اوميغا (طويلة) o		Ω	Ω		Ω

ويرى بعض اللسانيين أنّ هذا الخطّ عرف مراحل كثيرة؛ ففي البداية كانت هـــذه اللغة تكتب بعشرة من حروف التيفيناغ حسب بعض الدراسات، وهي:

ن ل م ر س ي ت د ج ب

وفي مرحلة أخرى أضيف إليها :

ز بين ز و س ث ش

ثم أضيف إليها . نقطة تدل على الضمة

و : نقطتان فوق بعض تدلان على واو المدّ .

ومهما يكن فإنّ المصادر اختلفت في هذه المسألة، وفي الحقيقة تفترض افتراضات فقط، لأنّ هناك اختلافاً في كتابة هذه الحروف فمثلاً: الميم الذي رأينـــاه يتجسّـــد فـــي الصورة الأولى، يكتبه البعض الآخر بهذا الشكل: ⊏ والباء الذي رأيناه يتجسّـــد فـــي الصورة الأولى يُكتب عند البعض بهذا الشكل: ⊕.

وأما مسألة الحروف فقد وجدنا تغييراً كبيراً وتطوراً سريعاً، فترى بعض المصادر أنّ الأصوات الأولى لا تتجاوز 18 صوتاً، وقد وُجدت مدوّنة علـــى الغرانيـــت[7] فـــي التاسيلي وكتبت بهذه الأصوات الثمانية عشر، كما أنّ ما مجموعه 18 صوتاً وجد كذلك في الفينيقية الأولى، ويمكن أن يكون هذا من عوامل التأثّر بها. وبعضهم يرى أنّ اللغة الليبية القديمة تتكوّن من 22 رمزاً مستعملاً[8]. وفي اللاحق من الزمـــن أضيـــف إلـــى الثمانية عشر صوتاً مصوتات أخرى لتصبح 23 مصوتاً، وفي عهد متأخر أضيفت لها 3 صائتات.

7- كون أنّ الغرانيت غير قابلة للمحو والذوبان، وهذا عامل من عوامل محاربة النسيان.

8- أحمد مختار عمر، تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى. القاهرة: 1992 عـــالم الكتب، ص 228.

كما ترى مصادر أخرى كذلك أنّ الخطّ التيفيناغي يكون منقولاً أو متـــأثّراً بخـــطّ النقوش اليمنية القديمة، ويعتمدون على النقوش الصيهدية؛ وهي فـــرع مـــن الخطـــوط السامية الجنوبية، فيها 29 حرفاً أبجدياً وسمّاه الملوك خطّ المسند، والذيـــن يـــرون هـــذا وجدوا تقارباً بينها وبين بعض الرسوم مثل:

ИП	Ʒ	X
رمـــز ابـــن	رمـــز الشيـــن	رمز تـاء التأنيث

وقد تطوّرت هذه الكتابة مراراً، واستنطقت ذلك من خلال نقوش عصر ملوك سبأ وذي ريدان، وعصر التبابعة، ونقوش معينية، وقتبانية، ونقوش حضرمية، ويمنية[9].

الشكل الموالي

9- الأليكسو، مختارات من النقوش اليمنية القديمة. تونس: 1985.

ا	ʾ	𐩱
ب	b	𐩨
ت	t	𐩩
ث	ṭ	𐩻
ج	g	𐩴
ح	ḥ	𐩢
خ	ḫ	𐩭
د	d	𐩵
ذ	ḏ	𐩹
ر	r	𐩧
ز	z	𐩸
س	s s¹	𐩪
ش	š s²	𐩦
س	ś s³	𐩯
ص	ṣ	𐩮

ض	d	𐩳
ط	t	𐩷
ظ	z	𐩼
ع	c	𐩲
غ	ġ ḡ	𐩶
ف	f	𐩰
ق	q	𐩤
ك	k	𐩫
ل	l	𐩡
م	m	𐩣
ن	n	𐩬
هـ	h	𐩠
و	w	𐩥
ي	y	𐩺

وهناك من الباحثين من جسّد كتابة التيفيناغ (التيفينار) في أشكالها الأولى؛ وهذا ما فعل الباحث BLANGUERNO من الهوقار في تجسيد تلك الصور.

[illegible]
d'apres C. BLANGUERNON (Hoggar)

ɯ, O	B
C, Ɔ	ch
Λ,V	D
Ǝ,⊏	D(fort)
Ж, Ħ, I	F
X,X,⋈	G
.I., Φ, T	Dj
ǀ	H
Ꙅ, ξ	I
Ẍ	j
∴	K
Ж	z
•	A,E,I

Q	...
Kh	::
L	ǁ
M	⊓, ⊏, ⊐
N	I
ñ	‡
ou	:
R(roulé)	O, ◻
R	⋮
S	⊙, ⊡
T	+
T(fort)	Ǝ, E
Z(fort)	#

وما يمكن أن نلاحظه:

* انفصال هذه الحروف.

** نقصان كثير من الحروف التي تستعمل في أشكال التلاغي.

*** كثرة النُّقط والتي تؤدي إلى التضارب في القراءة.

**** دلالة الصورة الواحدة على مجموعة من الأشكال، مثل النقطة التي تدلّ على الفتح والضم والكسر.

***** عدم ثبات شكل الحرف على صورة واحدة.

ومن هنا نرى نقصان هذه الكتابة في هذا الشكل الذي كانت عليه.

ويرى اللسانيون أنّ المشكلة في كتابة أصوات الأمازيغية تكون في الحروف التي تعتمد النقاط فقط .... أو :: أو ⁝ أو : أو: . وفيها يحصل الخلط بين الأصـــوات وهذا ما يجعلها قابلة للتصحيف والتحريف مثل :- كاوكـــاو (الفـــول السوداني) كما أحدثوا تغييراً في قلب كتابة بعض الأصوات، مثل حرف الفاء الذي كان يكتب:] [أصبح يكتب .

وبعض اللسانيين يرون أنّ تجسيد بعض الحروف جاء موافقاً للدلالة التي تحملهـــا الأصوات، فلا مشكل فيها وقت وضعها. فمثلا الحرف السين: ʘ نقطـــة فـــي وســـطه يجسّد الداخل مثل أسويغ (شربت) سمّغ (مَصَصْتُ) والفاء تشير إلى كل شيء مخفي.

ونتيجة لهذا التعقيد والذي يصاحبه التصحيف، وعدم وجود منطق فـــي القـــراءة رُئيَ أن يُعاد النظر في هذه الكتابة، ومن ذلك جاءت مقترحات كثيرة أُحدثت تغييراً في بعض حروفها لتلافي هذا الإشكال. وبذلك ظهرت ما يسمى بالتيفيناغ الجديـــدة، كفعـــل الأستاذ سالم شاكر[10]؛ الذي حاول تطوير تلك الكتابة بإضافة بعض الحـــروف؛ حيـــث

10- يقول الأستاذ إنّ التيفيناغ هي من أصل اللغة الليبيـــة القديمـــة Lybique. ومـــن هـــذا المنظور حاول تطوير حروفها وترقيتها، لكنّه لم يجسّد كل أصـــوات الأمازيغيـــة فـــي التيفياغ الجديدة عندما قدّم اجتهاده في هذا المجال، ومثالنا على ذلك: لم يضع الفرق بين الراء (المفخّمة) في مثل: **أرْويغ** بمعنى شبعت، والراء العادية (مرقّقة) في مثل: **أرويـــغ** بمعنى إني في حالة غير عادية. إلا أنّ له جهداً معتبراً في إزالة بعض اللبس في مسألة النقطة (.) التي كانت تعني في الأمازيغية القديمة الهمزة، وهذا ما يؤدي إلـــى اللبـــس عند وضعك للنقطة في نهاية الجملة. ولقد وضع لها سطراً تحتها ـ وهي الألف.

قضى على مشكلة النقط، وجسدها في هذه الحروف ذات التسعة والعشـــــرين صـــورة وثلاث مصوتات، وهي:

L'alphabet Proposé par ***S. CHAKER***
in "le Libyque, l'ancêtre du berbère",
Revue culturelle TAFSUT n° 14, p.52, Avril 1990

Voyelles:

i = ϟ	u = ‥	a = -.

Consonnes:

b	⊘	n	/	z	ж
d	Λ	q	⁜	j	I
ḍ	E	v	▪	ẓ	⌗
f	Ж	r	O	ṣ	⊣
g	→	s	⋈	x	::
ğ	✗	ch	(	ḥ	H
h	≡	tš	C	ع	Ծ
k	⇒	t	+	y	٤
ḷ	//	ṭs	X	w	-
m	⊏	ṭ	Ε		

وما يلاحظ على هذه الكتابة كذلك:

1- الجديد فيها وجود حرف الواو.

2- عدم وجود حرف E الفرنسي.

3- تنقصها أصوات الإطباق كلّها، كأن تقول : قطع يكـــــــــزم . أخـــذ يــــدّم فيحتاج إلى صوت فيه إطباق لكنّه غير موجود، فكيف نميّز بين الفعلين.

4- لا ندري كيف نمثل التضعيف حسب هذا الجدول، فمثـــلاً ذبابـــة: إيـــــزي . و دار دورة، بتضعيف الزاي: يـــــزّي.

5- تنقصها الأصوات المفخّمة كالشين والجيم (الهمسية) واللام. وكذلك عدم وجود الصاد والراء المفخمتين، وذلك ما يشكّل لبساً في قراءة الكلمات.

وتبقى أنّ هذه الطريقة وغيرها يُعمل بها، وتدوّن بها كثير من المؤلفات، اســـــتناداً إلى مجموعة قواعد صوتية، تنطوي فيها مجموعة من الحروف تحت حروف أخـــرى؛ علماً أنّ الحروف التي لا توجد في الأمازيغية الأم لم يدرجوها (سالم وفريقه) في هــــذه الكتابة.

ولا ندري لماذا لم تنمّط الحروف بشكل نهائي من قبل هؤلاء الباحثين الذين لهـــم الباع الكبير في مجال ترقية اللغة الأمازيغية، وكثير منهم عمل في هذا المجال أكثر من أربعين سنة!!

وهناك مقترح آخر للشيخ حاج باي في اقتراح التيفينـــــاغ النموذجيـــة والمنظمـــة انطلاقاً من الكتابة الصوتية الدولية A P I: وهذا المقترح يقال أنّه جزءاً منه اســــتنبطه من التيفيناغ القديمة، وجزءاً آخر من التيفيناغ التي يعمل بها في الأكاديميـــة البربريـــة بباريس.

ولقد تمّ نقل هذا المقترح من النصوص التي جمعتها الأستاذة تاسعديت ياسين.

الشكل الموالي

L'alphabet tifinagh uniforme

Proposé par CHEIKH Ag BAYL

(in "tradition et modernité dans les sociétés berbères, textes réunis par T. Yacine, p.188, Ed. Awal, 1989)

N	A.P.I	TIFINAƔ TYPIQUE	TIFINAƔ UNIFORMISE
01	a	•	•
02	ä		∸
03	b	⊘	⊘
04	ʃ	⊙	⊙
05	ṣ	O	O
06	ɣ	C	C
07	ɣt	<	<
08	ḍ	Λ	Λ
09	ḍ	ⵟ	ⵟ
10	ə		♦
11	ǝ		∓
12	f	I	I, H
13	g	X	X
14	j	∴	X̄
15	z	⧗	I
16	ẓ	ⵥ	ⵣ
17	ẓ	⧗	⧗
18	ħ(ε)	·	ⵄ
19	ḥ		Ø
20	h	I	ʎ
21	i	ξ	ξ
22	k	:	R
23	l	∥	∥
24	m	[	[
25	n	|	|
26	u	:	:
27	o		▬
28	q	⋯	[illegible]
29	r	O	O
30	t	+	+
31	ṭ	E	E
32	th		X
33	y	ξ	⌒
34	x	⁘	ⵅ
35	ŏ	⋮	Y
36	v		▲
37	w		//

وكما رأينا فإنّ هذه الإضافة أو التعديل شيء طبيعي في تطوّر الكتابة، وكون هذه اللغة شفاهية متروكة للزمان حصل فيها هذا التخلّف. لكن الإضافة والتعديل لا يجب أن يزيد عن حدّه لكي لا ينقلب إلى ضده، وإلا تصبح لغة اصطناعية، واللغة الاصطناعية ثبت أنّها لم تنجح (تجربة لغة الإسبرنتو)، فتصبح مثل اللغة المخبرية. فاللغة أياً كانت من الطبيعي ألاّ تحوي على كل الأصوات.

وما يلاحظ في الأمازيغية هو الاختراع المتواصل لصُوَر الحروف التي تمثّل الأصوات الأمازيغية وهذا ليس في صالحها، وقد وصل عدد حروفها الآن إلى **44 صوتاً**. كما أنّ العاملين في الأكاديمية البربرية في فرنسا (أقراو إمازيغن) يكتبونها بالحرف اللاتيني، ويسمونها بـ التيفيناغ القديمة، وقد جسّدوها في هذه الأصوات وهي:

a	فتحة	•
a	ع	[illegible]
b	ب	[illegible]
d	د	[illegible]
dh	ذ	[illegible]
dh	ض	[illegible]
e	ضمة	+
f	ف	[illegible]
G	ڭ	X
h	ح	[illegible]
h	[illegible]	[illegible]
i	كسرة	[illegible]
j	ج	[illegible]
k	ك	[illegible]

kh	كَ	كا	
g		ⴳ	
dj	جً	ⴵ	المفخمة
z	ز	ⵣ	
z	زً	ⵥ	المفخمة
l	ل	ⵍ	
n	ن	ⵏ	
m	م	ⵎ	
u	مدّة	ⵓ	
Q	ق	ⵇ	
r	ر	ⵔ	
s	س	ⵙ	
s	ص	ⵚ	
t	ت	ⵜ	
t	ط	ⵟ	
th	ث	ⵝ	
tch	تش	ⵞ	
ch	ش	ⵛ	
ts	تس	[illegible]	
v	ڤ	ⵠ	
gh	غ	ⵖ	
kh	خ	ⵅ	المفخمة
y	ي	ⵢ	

وما يمكن التعليق على هذا المقترح المعمول به هو:

*- نقصان بعض الأصوات التي تستعملها الأمازيغية مثل: الكاء في مثل كـمّني (أنتِ) والباء الفرنسية P والتي نحتاج إليها في تدوين المصطلحـات العلميـة. ولكـن بعض العاملين على ترقية هذه اللغة يرون أنّه لا فرق بين الباء B والبـاء P وهـم يعتبرون الحرف الثاني اختلافا صوتيا بين الذكور والإناث؛ حيث أنّ الذكور يلفظـون إسَـب إسـب (الباء مفخمة) ISEBBW والإناث ISEPPW (طبخ). وما يُعرف عن المصطلحات العلمية أنّه يكثر فيها استعمال P فهل يمكن استعمال بدلها حرف B . وفي الحقيقة يفترض الواقع وجود هذا الحرف مستقلا؛ حيث أنّ حرف P غير موجود فـي التيفيناغ القديمة والجديدة، وهذا قد يكون نقصاً فيها؛ من حيـث وجـود المصطلحـات العلمية الكثيرة بهذا الصوت، وخاصة مصطلحات الطبّ.

وحالياً فقد أدخلت هذه الرسوم على مستوى مجموعة الإعلام الآلي، لكنّها بأشكال متعدّدة ومتنوعة أحياناً (الخطوط) وقد وصلت هذه المجموعة المنمّطة إلى ستة أشـكال لا تختلف عن الأصل إلا في الناحية الجمالية، وهذا هو الشكل الأول منها:

أمازيغية	عربية	لاتينية
•	أ	A
Ф	ب	B
Ɛ	ش	C (تنطـق شـيناً)
Λ	د	D
÷	الضمة	E
][	ف	F
X	ق (مقابل القاف العربية البدوية)	q
Ø	هـ	H
ε	الكسرة	I
I	ج	J
K	كـ	K

L	ل	ⵍ (لامين II)
M	م	ⵎ
N	ن	ⵏ
	ج (في مثل جمل)	ⵊ
Q	ق	ⵇ
R	ر	ⵔ
S	س	ⵙ
T	ت	ⵜ
U	(مقابل مدّ الضمة)	ⵓ
V	ذ	ⵠ
(لا مقابل لها)	خ	ⵅ
Y	ي	Π
Z	ز (الزاي المفخمة)	ⵣ
	ط	y
•	ت (بين السين والتاء)	ɫ
S	ص	Ơ
	ض	E
	G (الجيم الهمسية في مثل يوجرثن)	ⴳ
	ح	ʎ
K	كـــ (الهمسية في مثل أكـــال)	K

X	ث	TH
ⵣ	ز (غير المفخمة)	Z
ⵖ	غ	

ما يمكن التعليق على هذه الحروف المنمطة في الكمبيوتر، ما يلي:

2- نقص حرف W اللاتينية في الوقت الذي نعرف أنّه يقابله حرف الذال مكررة على هذا الشكل: ذذ

3- نقص الحرف تش في مثل أتـــش (كُلْ).

وحالياً هناك اجتهادات متواصلة في مجال تحسين الخطّ، أو تقديم البديل اللاتينـــي عن طريق توظيف الكتابة الصوتية الدولية، مثل فعل الأستاذ بحبـــوح، وكـــذا الأســـتاذ هارون محمدز والأستاذ نايت عمران (رئيس المحافظة السامية للأمازيغية). ولقد خالفوا الاجتهاد الذي قدّمه مولود معمري في ثيمعمريث.

وهناك اجتهادات أخرى مثل الاجتهاد الذي قدّمه الأســـتاذ M a CHERAD[11] صاحب الدراسات المعجمية في مجال اللغة الأمازيغيةن ولقـــد حـــاول جمـــع الكتابـــة الأصلية للتيفيناغ مع ما الكتابة التي تعمل بها الأكاديمية الفرنسية مع التطويـــر الجديـــد الذي حصل في الكتابة الأصلية بحروف التيفيناغ، ويقابل كل ذلك بالكتابـــة الصوتيـــة الدولة.

11- Pour une écriture moderne et standarisme de langue mazighe . الجزائر: دار بوشان 1998.

Tableaux TIFINAGHS

Tifinagh original +Σ][ΣI•Ч • [÷I⋇:	Tifinagh Académie Berbère +Σ][ΣI•Ч • XO•Ц Σ [•⋇ΣЧ÷I	Tifinagh moderne +Σ][ΣI•Ч • [•Π I:+	Valeur •⋇•II	A.P.I. X. [.
•	•	A	a	/ a /
ⴱ	ⴱ	ⴱ	b	/ b /
Λ	Λ	Λ	d	/ d /
	V	V	d (spirant)	/ ð /
E	E	E	d (empha)	/ ð /
÷	÷	÷	e	/ ə /
][	][	][	F	/ f /
!	ƛ	ƛ	g (spirant)	/ g /
X	X	X	G	/ g /
Ẋ	Ẋ	ΛI	Dj	/ dʒ /
⁝	Ø	Ø	H	/ ɦ /
ɛ	ɛ	ɛ	Ch	/ ʃ /
Σ	Σ	Σ	I	/ i /
I	I	I	Z	/ ʒ /
:.	K	K	K	/ k /
	K̲		K (spirant)	/ k /
: :	Ж	Kʎ	Kh	/ χ /
II	II	II	L	/ l /

Tableaux TIFINAGHS

Tifinagh original ⵜⵉⴼⵉⵏⴰⵖ • ⵎ÷ⵏⵣ:	Tifinagh Académie Berbère ⵜⵉⴼⵉⵏⴰⵖ • ⵅⵔⴰⵡ ⵉ ⵎⴰⵣⵉⵖ÷ⵏ	Tifinagh moderne ⵜⵉⴼⵉⵏⴰⵖ • ⵎⴰⵢ ⵏ:ⵜ	Valeur ⴰⵣⴰⵍ	A.P.I. ⵅ. ⵎ. ⵅ
ⵎ	ⵎ	ⵎ	m	/ m /
ⵏ	ⵏ	ⵏ	n	/ n /
		P	p	/ p /
ⵇ	ⵇ	ⵇ	q	/ q /
ⵖ	ⵖ	ⵖ	gh	/ R /
ⵔ	ⵔ	ⵔ	r	/ r /
ⵙ	ⵙ	Ø	s	/ s /
ⵜ	ⵜ	ⵜ	t	/ t /
	X	+ⵃ	th	/ θ /
+ⵙ	t	+Ø	ts	/ ts /
+ϐ	ʒ	+ϐ	tch	/ t ʃ
:	:	U	ou	/ u /
	Δ	V	v	/ v /
:	:	W	w	/ w /
	ⴽⵙ	X	x	/ ks /
Σ	Π	Π	y	/ j /
ⵣ	ⵣ	ⵣ (AⵣUII)	z	/ z /
#	ⵥ	ⵥ(AⵥAOΣЖ[)	Z (empha.)	/ z /
E+	ⵟ	E+	T (empha.)	/ t /
	ⵃ	ⵃ	h'	/ ħ /
	Ø	Ø (ØAΦUI)	s	/ s /
•̂	•̂	AA	a:	/ a: /

وفي المغرب حالياً يكتبها أهل السوس بهذه الحروف المنمّطة:

LATIN	TIFINAGH	LATIN	TIFINAGH
a	ⴰ	ḵ (kh=x)	ⵅ
ɛ (ain=ε)	ⵄ	l	ⵍ
b	ⴱ	m	ⵎ
c (ch)	ⵛ	n	ⵏ
d	ⴷ	q	ⵇ
ḏ (dz)	[illegible]	r	ⵔ
ḍ (Dha)	ⴹ	s	ⵙ
ḍ (D)	[illegible]	ṣ (S)	ⵚ
e (é)	ⴻ	t	ⵜ
f (ph)	ⴼ	ṯ (th)	ⵝ
g (gu)	ⴳ	ṭ (T)	ⵟ
ǧ (j)	[illegible]	[illegible]	ⵞ
ġ (gh=γ)	ⵖ	tch	ⵞ
h (H)	ⵀ	u (ou)	ⵓ
ḥ (ḥ)	ⵃ	v (b)	[illegible]
i	ⵉ	w	ⵡ
j (z)	ⵊ	y	ⵢ
dj	ⴵ	Z	ⵥ
k (k)	ⴽ	z	ⵣ
ḳ (K)	ⴿ	double	^

[illegible] - 1995

وأمام هذه الصعوبات الجمّة في مسألة الكتابة والمكتوب، يعني ترشيح حرف آخر دون حروف التيفيناغ؛ لأنّ الصراع إذا حصل في لغة من اللغات تُتْرَك كلها، ويُلتجـــأ إلى غيرها[12]، وخاصة إذا كان من الخطوط الأبجدية العالمية التي لا تعيش إشكالاً في مجال التنميط، وقد حدث هذا لكثير من اللغات في وقت مضى.

ومن هنا كان الصراع بين اللاتينية والعربية، في أيّهما أقدر علـــى احتـــواء هـــذه اللغة، كون اللغتين لا تطرح فيهما مشكلة الكتابة مثلما تطرح في التيفيناغ.

ويمكنني تلخيص الطروحات السابقة في مجال الخطّ الذي اعتبرته مشكلة كبيرة:

1- هناك تيفيناغ القديمة.

2- هناك تيفيناغ الجديدة.

3- هناك تيفيناغ الجديدة الجديدة.

4- تطوير التيفيناغ التي يُعمل بها في الأكاديمية البربرية من قبل سالم شاكر، وقد استبقى على بعض الفجوات.

5- اجتهاد في اللاتينية من قبل مولود معمـــري باســـتبعاد الحـــروف الثنائيـــة أو الثلاثية.

6- اجتهادات على مستوى المغرب في كتابة الأمازيغية بالحروف العربية.

7- اجتهادات على مستوى الأفراد، وبعض المختصين دون ضابط أو قيد.

8- اجتهادات المؤسسات الأخرى... .

12- حدث هذا في كثير من الدول، عندما وقع الخلاف في تبني اللغة الرسمية للبـــلاد. ومثالنا على ذلك دولة نيجيريا ودولة النيجر. وكثير من الدول الإفريقية. ونفس الشـــيئ عاشته كثير من البلدان الأوربية. فإثر الخلاف اللغوي الذي لم يحسم إلا بتبني لغة غـــير وطنية (أهلية) وحسم الخلاف.

تلك إذاً هي **المشكلة**، ما يطعن كثيراً في باب من أبواب **المسألة الأمازيغية**، وهذا ما استدعى الجدال في أمر المكتوب، ويطرح بحدّة في كل اللقاءات العلميـــة الخاصـــة بترقية اللغة الأمازيغية.

* أتكتب بحروف التيفيناغ؟

** ما هي التيفيناغ التي يؤخذ بها؟

*** أتكتب بالحروف اللاتينية؟

**** ما هي قواعد التكييف للحروف اللاتينية؟

***** أتكتب بالكتابة الصوتية الدولية؟

****** أتكتب بالحروف العربية؟

******* كيف يكون التكييف للحروف العربية؟

هذا وغيره من الطروحات العلمية الحقيقية التي يجب الفصل فيها في أمر المكتوب لأنّه قضية مستعجلة تحتاج إلى اتّفاق وإجماع قبل التدقيق في كثير من الأمور.

ذلك ما سوف نعالجه في: **اختلاف في كتابة اللغة الأمازيغية**. ونُورِد حُجـــج كـــل طرح من الطروح، ونردّ على كل ما يطرح من مسائل تشقّ على المكتوب في المسألة الأمازيغية.

اختلاف في كتابة اللغة الأمازيغية

لقد طرحت الملتقيات اللسانية للأمازيغية مسألة الكتابة (الرسم) بأي الحروف تكتب منذ التعرّف على بعض الصعوبات في الكتابة التيفيناغية، ومن ذلك طرح معظم الباحثين بديلاً لهذا الخطّ، ويشبه هذا ما طُرح في الأربعينيات من هذا الزمن في مسألة الكتابة العربية؛ وخاصة ذلك الطرح الذي يدعو إلى كتابتها بالحرف اللاتيني. وقد كان مثل هذا الطرح في الصين في العصر الحاضر؛ وفي الأربعينيات من هذا القرن، حيث رأى اللسانيون الصينيون أنّ الخطّ الصيني (إيديوجرافي) خطّ غير اقتصادي فاقترحوا بديلاً آخر، وعملوا على كتابة لغتهم بالحرف اللاتيني، حيث كتبوا به بعض الجرائد، لكن تلك الكتابة لمّا عرضت على الشعب المستعمِل لها رفضها. ومرة أخرى عرضت عليه الفكرة نفسها؛ حيث عمل المختصّون على تطوير تلك الرسوم التي يكتبونها، ونفس الشيء ماتت الفكرة. إذن نفهم من هذا أنّ القضية ليست في مسألة الخطّ، بقدر ما هي في مسألة الهوية والشخصية.

واستناداً إلى الهوية الحضارية، وتجارب اللغات التي حاولت استعمال حروف أخرى غير حروفها، نادى مجموعة من الباحثين إلى اعتماد الكتابة الأصلية، رغم المشاكل التقنية التي تعيشها التيفيناغ، وهي في نظرهم مؤقتة؛ حيث أنّه يمكن أن يحصل لهذا الخطّ تطوّر مثل غيره من الخطوط، وهذا يعني تسهيله على مستوى المكتوب، وأنّ الاستعمال هو الذي يعمل على ذلك، وهؤلاء يفرقون من البداية بين تخلّف الكتابة والتطوّر التكنولوجي، إذ يلاحظ على اليابان مثلاً أنّ خطّها متخلف، لكنّها متطوّرة تكنولوجياً. ويعتمدون على الجانب التقني، فيرون أنّه مادام هناك تكييف للآلات اللاتينية وحروفها التي يحدث فيها تحوير يصل إلى 65 % أو تحوير الحروف العربية لاحتواء الحرف **الأمازيغي، فلمَ لا يكون العمل على خلق** آلات خاصة كما فعلت كل الحضارات. فالمسألة مسألة **إمكانيات وقرار سياسي، وأنّ الخطّ التيفيناغي** خطّ أبجدي يسهل تكييفه على كثير من الأنماط.

وإنّ مسألة الخطّ في الأمازيغية أصبحت مشكلة فعلاً نظراً للصراع الحضاري بين اللاتينية والعربية في أيهما تستقطب هذه اللغة، وهؤلاء الباحثين يربطون هذا بِفعْل تركيا التي تخلت عن الحرف العربي سنة 1928م نظراً للعامل الحضاري والإيديولوجي الــذي لا يربطها بالحضارة العربية، كذلك نجحت الفكرة العكسية في استقطاب الحرف العربي للفارسية، رغم أنّ الفارسية تنتمي إلى اللغات الهندوأوربية، ويبقــى مسـألة الصــراع الحضاري في هذا المجال هو الذي يسود.

ولقد طُرح مشكل الكتابة بحدّة في الملتقى الأول للثقافة البربرية فــي تــيزي وزو لعام 1989م، ولم يُحسم فيه، كما طرح في غيره، لأنّه أمر هام جداً. ولقد كانت وجهــات نظر متباينة ومتقاربة أحياناً في كل مرة تطرح فيه مسألة الكتابة. وأمــام هــذا الأمــر انقسمت الطروحات حالياً إلى جبهتين كبيرتين، وهما:

1- **جبهة أولى: ترى أن يتأجلّ** النظر في هذه المسألة إلى حين يفصل المختصّون في هذا الأمر، وهذا التأجيل أملته الظروف الطبيعية، والتخلّف الذي عاشته هــذه اللغــة عبر الزمان، إذ أنّ الفينيقية كانت لها حضارة، فوزّعت نماذجها على اليونــان وأوربــا والأمازيغية بقيت في محيطها. كما ترى هذه الجبهة أنّه لا يمكن الحديث الآن عن هــذه اللغة في مسألة الكتابة، لأنّ اللغة الأمازيغية مسألة تجريدية لحدّ الآن. أضف إلى هذا أنّه لم يحن الظرف إلا بعد استكمال الرصيد اللغوي الذي يكون من روافدها، وعندما يكون لها الرصيد الوظيفي يمكن الحديث عن ترسيم خطّها أو الخطّ الذي يليق بها، وفي الحال (الظرف المستعجل بالخصوص) يمكن العمل بالخطّ اللاتيني أو العربــي. وإن كــانت تعترف هذه الفئة بأنّ الشعب الأمازيغي له حضارته المتمثّلة في الكتابة؛ وهــي أعظــم حضارة خلقها الفكر الأمازيغي قبل الرومان والوندال والفينيقيين. ولكن مســألة الكتابــة بحروف النيفيناغ في هذا الوقت لا تؤدي إلى نتيجة مثلى، فمن هنا يحسن عدم الفصــل في أمر الكتابة الآن؛ كون اللسانيين والمختصين لم يفصلوا بشكل قاطع في هذا الأمر.

2- **جبهة ثانية** انقسمت في مواقفها إلى ثلاثة أقسام:

- **قسم أول** يدعو إلى كتابتها بالتيفيناغ.

-- **وقسم ثان** يدعو إلى كتابتها باللاتينية.

-- **وقسم ثالث** يدعو إلى كتابتها بالحرف العربي. وسوف نورد حجج كلّ قسم ونناقشها.

أما بالنسبة **للجبهة الأولى**، التي ترى أنّ الوقت لم يحن بعد، وأنّ الحلّ بعد ذلك في يدّ المختصّين. فترى أنّ الوقت تأخر؛ لأنّ الوقت لا ينتظر أحداً، وأنّ التسويف في هذا الأمر لن يحلّه خاتم سليمان بعد ذلك، ومن هنا فالضرورة أن نعمل بتظافر كل الجهود لترقية هذه اللغة، ويكون السبق في أمر الكتابة.

وأمّا الحلّ في يدّ المختصّين في أمر الكتابة، فهذا خطأ من الأخطاء التي لا يجب أن تُرتكب في حق مالكي هذه اللغة، لأنّ المختصّ يستطيع أن يفرض الكتابة التي يريدها وبحكم اللغة التي يملكها أو التي يستقي منها معلوماته عن هذه اللغة، أو بحسب الانتماء الأيديولوجي الذي يؤمن به، والأرضية المعرفة التي يمتلكها، وبذلك يفرض المختصّ نوع الكتابة التي يرغبها. ولقد سردنا تجربة لسانيي العربية والصين في الأربعينيات من هذا القرن.

ونظراً للمعطيات الثقافية التي بين أيدينا إذا أُعطي الحكم الفيصل للمختصين فقد يكون:

1- تستبعد التيفيناغ كون حروف ناقصة في بعض الأصوات، وكونها لا تجسّد السهولة والمرونة في تمرير اليدّ، وغير موحّدة، لأنّها ترجع إلى البدائية الأولى لظهور الكتابة؛ والذي كانت تكتب بواسطة الحجر أو الأزميل، وعلى الحجر. ومازالت تلك الكتابة لم تتجسّد على الورق وبالقلم بشكل كثير وسريع (اللهمّ بعض الكتابات عند أهل التوارق "الطوارق" في الوقت الحالي) أي أنّ اليد يصعب عليه التأقلم معها سريعاً.

2- تُستبعد التيفيناغ كذلك، بحكم أنّ العارفين بها قليلون، وأنّ البحث فيها يتطلّب الوقت الكثير، وأنّ تطويرها يحتاج إلى إمكانات مادية ومعنوية.

3- تُستبعد العربية بحكم أنّ الباحثين والمختصين والمنادين بترسيم هذه اللغة (الأمازيغية) هم من الذين يتقنون اللغة الفرنسية على وجه الخصوص. وأنّ المعربين لم يبحثوا فيها بحكم بعض الآراء المسبقة، على أنّ البحث فيها جهوية، وأنّ ذلك من باب القضاء على الإسلام في هذا البلد.

4- ويضاف إلى هذا أنّ رأي الرافضين للكتابة التيفيناغية؛ والذي مفاده أنّه لم يثبت تاريخياً أنّ البربر أقاموا مدنية تعتمد على الكتابة بهذا الخطّ، فهم يتأقلمون مع أنماط الثقافات الوافدة. ففي عهد قرطاجنة رُسِّمت الفينيقية، وماسينيسا استعمل في حكمه الفينيقية، ويوبا الثاني مازج بين اللاتينية والفينيقية.

5- الكتابة رمز يمكن الاصطلاح على أيٍّ رمز كان، فليس من الضروري أن تكون حروف التيفيناغ هي التي تعطي الوجه الجميل لهذه اللغة.

وأما مسألة الرصيد اللغوي المنتظر، فحقيقة أنّ 47% من الثروة اللغوية التي تحويها هذه اللغة هي مفترضة[1] وهنا يجب أن نفكر في أمر هذا الرصيد. لكن يجب أن نعلم أنّ لكل شيء بداية، وهذه اللغة تتوفّر على مجموعة معتبرة من هذا الرصيد ويحتاج فقط إلى الوعاء الذي يحويها، وإلى توحيد في الكتابة لتتكامل الرؤى والأبعاد ويضاف إلى هذا الرصيد المكتوب بلغات عديدة. وفي الحقيقة إنّ هذا الرصيد قائم بشكل من الأشكال، ويكفي أن نشير فقط إلى المعاجم؛ حيث أُنجزت معاجم:

* فرنسية – أمازيغية
* أسبانية – =
* إنجليزية – =
* عربية – =

1- محمد الشامي "الإبداع الأدبي وإشكالية النقد اللغوي" مجلة اتّحاد كتاب المغرب. الرباط: 1992/1 ، ص 113.

ويضاف إليها على سبيل الذكر: معجم أمازيغية المغرب الوسيط (ميلود الطـــايفي) معجم تاريفيت (محمد الشامي) معجم أماوال (مولـــود معمـــري) والمعجـــم الجديـــد أو الموسوعة اللسانية التي يعدّها سالم شاكر في جامعة Aix en provence ...الـــخ. وهـــذه المعاجم أو الموسوعات هي الرصيد الأولي لهذه اللغة، ويضاف إليها، البحث في بعـــث التراث الموجود في الزوايا والمساجد وفي كثير من الرباطات، إلى جانب المشاريع التي تعدّ في مجال جمع التراث اللغوي والأدبي من أفواه الناطقين في كل المناطق ويتعـــزّز هذا بالعمل على توحيد مصطلحات النّحو الأمازيغي.

وإنّ الأعمال الجليلة التي تجري هنا وهناك، لكفيلة بتقديم مادة علمية معقولة تكون منطلقاً نحو المزيد من البحث، وخاصة البحث اللساني الذي بدأ يتعزّز علـــى مســـتوى اللجان المتخصصة التابعة للمحافظة السامية للأمازيغية، وما يجري في أرض الشـــقيقة المغرب، والأبحاث التي يجريها اللسانيون خارج الوطن.

والحاصل بعد سردنا لهذه الحيثيات أنّ **الكتابة باللاتينية** على المحكّ.

ومن هنا أرى أنّ الحكم في هذا الأمر يجب أن يعود لواقع الأمة في الدرجة الأولى ثمّ يؤخذ برأي المختصين في الأمور التقنية، أضف إلى هذا العوامل الجيوثقافية للبـــلاد التي تسعى إلى ترسيم هذه اللغة. وهذه العوامل يرفدها: التـــاريخ (الهويـــة) الإســـلام/ الاحتكاك اللغوي/ واللغة المستعملة حاليا في المدرسة الأساسية/ عامل الزمن (التـــأخير الذي نعيشه في كل الميادين) و **يدرج كل هذا في مسألة الانتماء الحضاري.**

صحيح إنّ الكلمة تعود إلى المختصّين في أمر تجسيد الخطّ المتّفق عليه، من قبـــل المستعملين بعد مراعاة العوامل المذكورة، فهم باستطاعتهم تكييفه وفـــق الأمـــور التـــي تستدعيها التقنية الحديثة، ويدخل في هذا المجال الصّناع والحَرَفيون وكل من يشتغل في صناعة الحروف. لكن لا على مستوى فرض الخطّ الذي يرونه مناسباً بحكـــم عوامـــل إيديولوجية، وقد يكون ذلك لظروف مَرحلية، ومع ذلك يصعب التأقلم مع الخطّ الجديـــد ومن هنا تستدعي الضرورة العلمية اِلتزام الخطّ الأصيل، حيث إنّه المخرج الموحد.

وأما **الجبهة الثانية** والتي انقسمت في مواقفها إلى ثلاثة أقسام، ولكل قسم رأيه في ذلك:

* **القسم الأول**: وهو القليل العدد، لكنّه القوي حجّة؛ حيث يرى أن تكتب بحروفها الأولى الأصلية (**التيفيناغ**) وهي الهويّة الحضارية للغة، والشخصية الذاتية لهذا الشعب الذي حُرِم من تراثه ولغته، واستثمار ما تزخر به الثقافة الأمازيغية بخطّها الأصيل ومسألة الهوية الوطنية هي التي تفرض هذا، لأنّ اللغة خطاب فكري قبل أن تكون وسيلة، أضف إلى هذا أنّ مسألة الخطّ ليس بالأمر غير الهام لأنّه مسألة اصطلاحية لكنّه يجسّد هذه اللغة في هويّتها، والهويّة فوق كل اعتبار. وبعض الباحثين في مجال الهويّة يضيفون إلى هذا الأمر تلافي الإشكال المطروح بين الحرف اللاتيني والعربي وهو حلّ وسط لتكتب بالحرف الأصلي لها.

وفي هذا المجال يطرح هذا القسم مسألة التيفيناغ أنّها من الكتابة الألفبائية فليست من الكتابة الإيديوجرافية (الرسم يجسد معنى ما) بينما الأبجديات الأخرى كل مجموعة أصوت ترمز إلى معنى، وهذه الكتابة (الأبجديات) أسهل وسهلة التعلّم، وآلاتها صغيرة وأقرب إلى المعاصرة، فمحلّ التيفيناغ في الأبجديات. ويضيفون إلى هذا المسألة التاريخية، فكل الحضارات تركت رمزاً ما؛ المصرية تركت الأهرامات، الرومانية تركت مُدُناً، الأمازيغية التيفيناغ (**الخطّ**) حضارتها؛ إذ أنّ أقوى حضارة هي الكتابة فكانت ندّا للندّ مع الحضارة الفينيقية. إذ كيف نفسّر لغة تركت أبجدية مثل هذه في الوقت الذي لم تتطوّر الكتابة على مستوى كثير من اللغات.

وعلى المستوى الرمزي، هي دعوة إلى الهُوية، والكتابة جزء من الهوية، فهذه اللغة لها كتابتها المجسّدة الآن في الطرز وكثير من الفنون. وعلى المستوى السياسي يكون هو حلّ لمشكل الصراع اللغوي بين الحرف العربي واللاتيني. كما أنّ الصراع أو المطلب الأمازيغي قام للحصول على كل عوامل الشخصية، وإلا ما الهدف من من المطالبة بها وبترسيمها؛ والذي يعني (المطالبة بالأمازيغية = المطالبة باسترجاع الهوية). والهوية لا تكون بغير الخطّ الأصيل.

كما يضيف هؤلاء مسألة الأصوات الموجودة في الأمازيغية وهي غير موجــــودة في كثير من اللغات، بل إنّها تتميّز ببعض الأصوات التي لا مثيل لها في اللغات عامــــة مثل: الكـــــا، في مثل: كــميني (أنتِ) والكــــا، في مثل: ثاكــــــوست (الوتــد)... أضف إلى هذا التفخيم الكثير في حروف الإطباق، مثل: الــزاي المفخمــــة فــي مثــل ثايــزيط (دجاجة)، الشـــين المفخمة فـــي مثـــل أذشّـــــاغ (آكـل)، و تــــــش وتــــــس (التاء المرققة)... وبعض حروف الإطباق.

ورغم هذه الحجج يلقى هذا الطرح معارضة كبيرة؛ حيث إنّ حروف التيفيناغ عند المعارضين حروف أبجدية، لكنّها تميل في غالبها إلى المسمارية وهي متخلّفـــة، وقــد كتبت بها في عهودها الغابرة، وهي حروف قليلة جداً، كما يصعــــب تفكيكهــا، وإنّهــا حروف منفصلة، وإنّ الشواهد على هذه الكتابة قليلة جداً، قد تصل إلى حوالي 17 أو 18 صوتاً فقط[2] وقد كتب بها في الصحراء كما تدلّ القرائن، وهي غير دقيقة في دلالاتهـــا ومختلفة من منطقة لأخرى. ويصل الأمر ببعض البــاحثين إلـــى إنكارهـــا، كـــون أنّ الأمازيغية الأم غير موجودة تاريخياً، بل توجد لهجاتها فقط، ومن هنا يرون أنّ البحــث عن بديل كتابي أفضل من النبش في العدم، وقد نعثر على ما يحوي هذه اللغـــة وقـــد لا نعثر، وهذا هو الأرجح.

كما يرى بعضهم أنّه من الصعوبة إدخال هذه الحروف في الآلـــة[3]، أو تنميطهـــا لأنّها ناقصة وغير متّسقة في الصورة ولا في أجسامها، ونحن نعيش عصــــر الآليـــات

2- ولقد كانت كذلك تكتب الفينيقية قبل تطورها بـــ 18 صوتاً فقط، ممّا يرجّح أنّ أصل الكتابة الأولى لهذه اللغة هي فينيقية، ثمّ تطوّرت. وهذا في رأي بعض الباحثين. علماً أنّ هناك من يقول: إنّ أول اكتشاف للغة الأمازيغية هو خطّها التيفيناغي، وهــو أعظــم إنجـــاز بشري قبل الفينيقية والهيروغليفية.

3- إنّ هذه المسألة الآن واهية، بحكم أنّ الكمبيوتر قد قضى على هذا الإشكال، فلم يعد مـــن الصعوبة أن تكتب لغة ما برسم مهما كان شكله، ولهذا أدرجت التيفيناغ في الإعلاميات بشكل عادي، لكن العارفين بها قليلون.

والتقانة والطِباعة عن بعد والكتابة الكهروبية، وهذا كلّه سوف يضيف البون شاسعاً أمام تقدّم الآلات واللغات التي تتطوّر في كتاباتها؛ أي أنّ هذا الميدان قد طوّرته الآلية بشكل مذهل، وأنّ هذا الحرف التيفيناغي لم ينمّط بعد، ولم ينسّق فيحتاج إلى مدة زمنية طويلة لكي يدمج في منظومة الخِطاطة العالمية وإلى الاعتراف الدولي.

ومن هنا نرى أنّ المناداة بكتابتها بالحرف التيفيناغي شيء هام، فكل شعب يعتزّ بلغته وبنظامه الخاص، وهذه هي الإنية الذاتية التي يعتز بها الشعب في كل مواقعه. وأما أنّ هذا الحرف ناقص ومعقّد في جميع أشكاله، فهنا نقول: ماذا نقول عن الخطّ الصيني أو الياباني أو العبري؛ هذه الخطوط أصبحت تقود التقدّم العلمي في الفيزياء النووية. فليس عيباً أن يتخلّف هذا الخطّ، كونه لم يتجسّد في المكتوب منذ أن عُرف ولكن لا يمنع أن يُعمل على تطويره وفق مستجدات الآليات العصرية (التِقانة) بل إنّ هذه الآليات ستوفر لنا الجهد والوقت معاً، لكنّه يمكن أن يتدخّل المختصّون في هذا الميدان، وخاصة أهل التقانة إذا رأوا أنّ هذا الخطّ يكون عاملاً من عوامل التأخر، وقد لا يمكنه أن يساير التطوّرات الحديثة، لكن ليس على مستوى فرض الخطّ البديل. وفي هذا المجال تكون المراجعة عامة حتى في مسألة اتّخاذ هذه اللغة وطنية ورسمية، إذ ما المانع أن ينبذها أهلها إذا رأوا عدم صلاحها.

وأعود إلى القول إنّ هذا ليس مبرراً علمياً أبداً، بل إنّ هذا من عمل الباحثين الحياديين؛ الذين يعملون على تطويره إذا دعت الضرورة ذلك، وهذا هو شأن كل الخطوط؛ فقد عرفت تحسينات نوعية في كل المناسبات والظروف، ومازال الخطّ في كل اللغات يسير نحو التحسّن والتوحّد.

وأما أن تأخذ خطّ غيرها فهذا صعب قبوله، إلا إذا كان من اللغة التي لها قرابة لغوية متينة وقد يحصل ذلك. ولكن أن تأخذ خطّ لغة أخرى على أساس أن تتقدّم بها فنقول: هل تقدمت السينغال أو تركيا أو النيجر أو نيجيريا أو الهند أو السنيغال...الخ بتخليها عن خطّها وتبني خطّ غيرها؟ وهل أنّ التأخّر يكون في الدرجة الأولى على مستوى الكتابة؟. قد يكون هذا لكن العقل العلمي هو الذي يعمل على تطوير الخطّ

للأحسن، وما فعل الصين واليابان منّا ببعيد، ألا تقرّ كل الدراسات أنّ خطوطها صعبة ولكنّها دخلت مجال التقدم من بابه العالي!

وأين العيب في هذه الأشكال إذا حدث فيها تطوّر من حيث مرونته في اليد ودخوله مجال الإعلام، وغير ذلك ممّا تتطلّبه الآلة العصرية:

أ	A	•	ب	B	Ø	ت	T	+
ث	Th	X	ج	J	I	ح	H	ʎ
خ	KH	X	د	D	ʌ	ذ	D	V
ر	R	O	ز	Z	ⵣ	س	S	⊙
ش	CH	C	ص	Ṣ	ⵚ	ض		
ط	T	E	ظ	Ḍ	E	ع	A	ⵄ
غ	GH	Ψ	ف	F	ⵊⵎ	ق	Q	ⵇ
ك	K	K	ل	L	॥	م	M	⊏
ن	N	I	هـ	H	Ø	و	OU	:
ي	Y	⊓	تش	TCH	ⵞ	تس	TS	t
أ	E	÷	إ	I	ع	زّ	ZZ	Ж
گ	G	X	قّ	GW	ʎ	كـ	K	ⴾ
دج	DJ	ⵅ						

وأشير إلى أنّ هذه الخطوط ليست حديثة، بل هي من الخطوط التي يعمل بها حالياً في كثير من المناطق الوطنية، وهذا التجسيد كان نقلاً من رزنامة وطنية تحوي السنة الأمازيغية، وأيام الأسبوع والشهور، وقد كتبت كلّها بهذا الرسم.

وهنا يفترض أن نقول، هل إنّ أخذنا الحرف اللاتيني، مع إجراء كل التكييفات عليه يكون من عوامل النهوض بهذه اللغة، أو أخذنا الخطّ العربي سيحصل التقدم المنشود؟. وفي هذه النقطة أعود لأثمّن قول الباحث الأستاذ رابح كحلوش الذي يرى أنّه

ما دام يكون تكييف الخطّ العربي أو اللاتيني فلمَ لا نعمل على تكييف هذا الحرف ونعمل على إيجاد الآلات التي تجسّد هذا الخطّ؛ لأنّ كلتا اللغتين (العربية واللاتينية) ناقصتان من حيث الأصوات، فالضرورة العلمية تقتضي تكييف بعض الحروف، للتعبير عن الأصوات غير الموجودة في اللغتين، أليس من الأحسن أن نكيّف الحروف والآلات لكتابة التيفيناغ، ونكون بذلك قد جسّدنا الهوية، ثمّ عملنا على تحسين (تسهيل) هذا الخطّ.

وأمام هذا أعود ثانية إلى القول السابق الذي حدّدته بأنّه لم يحصل أن تقدمت الدول التي عملت بالحرف اللاتيني، عندما تركت لغتها وخطّها وعملت بخطّ غيرها، إذاً التقدّم لا يكون في استعارة خطّ لغة من اللغات؟ وهل تقدمت اللغات التي عملت بالحرف العربي حالياً، ووصلت إلى أكثر من 80 لغة، ثمّ تراجع هذا العدد ليصل إلى 37 لغة تستعمل هذه الحروف؟ لا هذه تقدّمت ولا تلك قدّمت كل الدول التي استعارت حروف غيرها. إنّها بقيت في دائرة العالم المتخلّف، لكن لا يعني أنّ الخطّ هو الذي جعلها تتخلّف، بل أريد أنّ أقول إنّ الخطّ لا يقدم أبداً، إذا كانت الأفكار جامدة. وفي الحقيقة إنّ هذه كلّه قضايا ظرفية استدعت التأقلم مع الحضارات الغالبة، فالمغلوب دائماً مولع بالغالب في كل أنماطه. وهذا ما جعل الأمازيغية تتقهقر أمام البونية واللاتينية والعربية[4] في ظل غياب إدارة مركزية تفرضها وتعمّمها، أضف إلى هذا أنّ ممالك الأمازيغ لم ينعموا بالاستقرار، ولم يكوّنوا مؤسسات بسبب الدسائس الداخلية والحروب مع الأجانب. وبعد دخولهم الإسلام اشتغلوا بثقافته، وبنشره على نطاق واسع، واهتموا بالعربية أيضاً.

4- في الحقيقة إن هذه اللغة عرفت كثيراً من المبدعين والكتاب الجيدين، لكنّ معظمهم كتب بغير الأمازيغية، فعلى سبيل المثال نذكر العلاّمة **تيرنتشي** الذي ظهر آخر 185-159 ق.م وقد تضلّع في معارف زمانه باليونانية واللاتينية. و**أفولاي** الذي ولد في نوميديا، وكان يكتب باللاتينية ت 170 ق.م. و**تارتولي** ت 225م، وكان وثنياً ثمّ تنصّر وكتب باللاتينية.
وفي عهد الإسلام ظهر كل من **طارق بن زياد وسابق البربري وعبد المؤمن بن علي وابن الحسن بن زنباع الصنهاجي**، و**سعيد بن هشام المصمودي وأبو الربيع سليمان الموحدي**، و**ابن منظور والإمام البوصير**، و**ابن علي القشتالي**...

ومن هنا رأينا أنّ الأمازيغية كُتبت بالعربية في عصر الحضارة العربيــــة (الموحــدون مثلا) وقبلها كتب التوارق التيفيناغ من اليمين إلى اليسار اقتداء بالعربية، وحالياً عند أهل السوس في المغرب، كما كتبت بالحرف اللاتيني في العصر الحاضر نظراً للمعطيــات العصرية، وذلك ما نجده مثلاً عند مولود معمري وجماعته، والأكاديمية الفرنسية وأهــل الريف في المغرب. فالقضية ظرفية، ومرحلة لابدّ من المرور عليها في انتظار تجســيد صوَرها بشكل لائق ومقبول[5].

لكن ما يمكن أن يقال ألا نترك الحرية في هذا الأمر للمختصيـــن الذيــن ســوف يفرضون الرسم الذي لا يتماشى وواقع هذه اللغة، أو يضعون الأمة أمام الأمر الواقع من حيث القلّة في الإنتاج، وكذلك أن بعضهم يوظّفون ما يسمى بالاستعمال والإنتـــاج هــو الذي يفرض نوع الخطّ الذي تدوّن به! قد يكون كل هذا، لكنّه نفرق بين الخطّ العربــي واللاتيني. فاللاتيني عرف تحسينات نوعية، وعرفت لغاته مختلـــف العلــوم، والرقــي الحضاري في هذا العصر. فلماذا لم تتقدّم تلك الدول التي تستعمله مثلما تقدمـــت دُوَلُــه الأصلية. والعربي يوم كانت العربية لغة العلم، كتبت بخطّها أعظم الأمم حضارة، وقـــد تقدمت تلك الأمم مستعملة ذلك الخطّ، ويوم أن تخلّفت تقهقر هذا العـــدد، ومـــن هنـــا لا يجانبنا الصواب إذا قلنا إنّ الخطّ العربي من عوامل التخلف. بل إنّ الخطّ وسيلة كتابيــة في الدرجة الأولى يعبر عن تقدّم اللغة أو انحطاطها، لكنّه تجسيد للهوية الحضارية. فأين نضع أنفسنا في هذا التكتّل العالمي؟ أفي صنف اللغات الأوربية، أم في صنف اللغـــات الشرقية (اليابان والصين)؟ أم في صنف اللغات الإسلامية؟ وهذا الأمر يطـــرح نفســه بشكل دائم إذا طُرح البديل الخطّي، ويجب أن يكون الفصل فيـــه مســبقاً قبــل إكمــال المشوار.

5- يجب أن يضع الباحث أو القارئ أو المحب لهذه اللغة في ذهنـــه أنّ أمـــر الإصـــلاح أو التطوير وكل ما يتعلّق بأمر هذه اللغة لا يأتي سريعاً، ولا يحصل في ظـــروف زمنيـــة قصيرة بل يحتاج إلى سنوات وسنوات طويلة، كي يحصل الفصل النهائي فـــي بعــض البديهيات.

إنّ الكتابة ليست غلافاً خارجياً (لف أو حزم) بل هي تجسيد للهويّة في أبعادها الاجتماعية، وعدم تجسيدها يؤدي إلى التضارب في كثير من القضايا اللغوية، وخاصة في مجال تقعيد وتوسيع صرف ونحو ومصطلحات هذه اللغة. فأحرانا أن يكون اتّخاذ الحرف الأصيل هو المعتمد، لأنّه الجامع المانع، أو استعمال الحرف العربي في الظرف المؤقت. ويضاف إلى هذا العامل الحضاري الذي نتموقع عليه، واللغة العربية الرسمية في البلد، علماً أنّ اللغة الأمازيغية لغة إسلامية، وأنّ الأمازيغيين عرفوا الدين عن طريق الأمازيغية، والعربية جاءت في مرحلة متأخرة، ونعرف أن الإسلام يتجاوز العرق واللغة. كما أنّ الخطّ اللاتيني لا يمكن الاستغناء عنه في هذه الظروف، كون الأبحاث (المصادر) لهذه اللغة دُونت به معظمها. ويجب أن نفرق بين البحث الأكاديمي الذي يمكن استعمال الحرف اللاتيني، وبين البديل المطروح للاستعمال[6].

وأما أن يكون الحرف التيفيناغي هو الحَكَم بين الحرف اللاتيني والعربي على أساس استبعادهما معاً، فهذا منظور غير علمي وغير واقعي، وبحكم المنظور العلمي العقلي لا يجب أن يحصل الاختيار اللغوي بغرض الإقصاء، كما لا يجب أن يأخذنا الغرور أن نكتب بهذه الحروف رغم تخلفها، بل يجب أن نملك الشجاعة العلمية في الاختيار العلمي النزيه، **إذا كان من الخيار بين اثنتين**، فنأخذ في الحسبان جملة

6- رغم ما يقال ويشاع من ارتباط البحث اللساني بقضايا الأكاديمية الفرنسية، ودعوة مقيتة يراد بها النزعة القومية، أو ربّما العنصرية، بأنّ هذا الشعب الأمازيغي مضطهد يحتاج إلى تقرير المصير. أو يريد المشروع الفرانكفوني العلماني المضاد للإسلام... لكن لا يمكننا أن نحرق المراحل من أن نعترف بأنّ القفز على ما أسدته اللغة الفرنسية من أبحاث هامة لابدّ منها، وما قدمته إطاراتنا في مجال ترقية هذا اللسان لا يجب أن يهمش أو يستبعد، على أنّ ذلك من الإيديولوجيات الطوباوية التي لا تخدم مقومات حضارتنا الفكرية والتاريخية. بل نعترف أنّ مؤسسات مرتبطة بفرنسا وكندا ومدريد قد ساهمت بشكل أو بآخر في سيرورة الفعل الثقافي لهذه اللغة، بل إنّ عدداً من الصحف كانت لسان حال هذه اللغة وهي تصدر باللغة الفرنسية، مثل: تاسافوت/ ليبيكا/ تامونت.

المعطيات اللغوية التي نتوفّر عليها، ونأخذ المعطيات الاجتماعية التي نعيشها ثمّ يضاف إلى هذا أقلّها تكلفة، وأفضل من يجسد أصالتنا وحضارتنا.

ونعود لنقول، إنّ العربية لم تحارب الأمازيغية أو لهجاتها، ولنا في التاريخ عبرة ألم يكتب الموحدون والرستميون هذه اللغة بالحرف العربي، وحافظوا على هذه اللغة مثل العربية، فمن الذي حارب الأمازيغية هل التعريب، أم التفرنس؟ ومن الذي حارب العربية في الجزائر، هل الأمازيغ أم الاستعمار؟ ومن الذي فرض لغته قهراً، العرب، أم الاستعمار؟. علامات استفهام تبقى للتاريخ وأسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابات نزيهة. وفي هذا المجال لا ننس ما قامت به الأكاديمية البربرية في فرنسا والمدارس الأهلية الفرنسية التي عملت ومازالت تعمل لصالح هذه اللغة والمدارس الفرنسية في كندا فليس من السهولة أن تتخلّى عن اللاتينية لصالح حروف أخرى.

وفي آخر هذه النقطة أريد أن أشير إلى مسألة هامة، وهي أنّ الحضارة الأمازيغية بلغت أوجها ذات مرحلة من مراحل التاريخ أيام ساد ممالك الأمازيغ أجزاء كبيرة من العالم، فلمَ لم يعملوا على تطوير هذه اللغة؟، بل لماذا لم يجسدها الباحثون والعلماء في كتاباتهم، أمثال الفيلسوف Saint Augustin، الذي كتب مؤلفاته بالمسيحية ودافع عنها. كما يجدر بنا الإشارة في هذا الموقع إلى عدم تجسيد هذه الكتابة في القبور، وهي من مميّزات اللغات؛ حيث تبقى شامخة أبد الدهر.

وقد جاءتنا دراسات قديمة باليونانية والفينيقية مثل Les éveques de Numidie وكتُب اللاهوت غير مكتوبة بالتيفيناغ. ونعرف أنّ الكتابة لهذه اللغة تجسّدت أول مرة في الحروف العربية بشكل لا نظير له في عهد الموحدين، وفي عصر الدولة السعدية كذلك؛ حيث كان محمد بن عبد الرحمن مؤسس الدولة يخاطب جمهوره ويكتب بها، في الوقت الذي كانت ثقافتها شفوية أكثر، ومن ذلك لم يصلنا المكتوب بالتيفيناغ، فأين الخلل؟

** **القسم الثاني**: أن تكتب هذه اللغة بالحروف اللاتينية، وحجّة هؤلاء أنّ أكثر اللغات علمية تكتب بالحرف اللاتيني وهو خطّ عالمي ومتقدم ومنمط، وقد قضى على

كل الإشكالات الخطية التي كانت مطروحة فيه سلفاً، كما أنّ أكثر المصادر والمراجع المتعلّقة بالأمازيغية كتبت باللاتينية، وقليل منها كتب بالحرف العربي، بل إنّ المكتوب بالعربية في غالبه وصفي غير تحليلي، وهذا ،الا يتواجد في المراجع المدوّنة باللاتينية. ويضاف إلى هذا عمل المدارس الأهلية؛ التي تُنتج لِحدّ الآن في هذا الميدان، كما أنّ الأكاديمية البربرية في فرنسا والمعاهد الفرنسية والكندية والجمعيات الثقافية للمهاجرين الجزائريين والمغاربة قد أسدت تراثا كبيراً لهذه اللغة، وكثير من اللسانيين الجزائريين والمغاربة هم أعضاء نشيطون في هذه المعاهد؛ التي تعمل على ترقية اللغة الأمازيغية إضافة إلى أنّ هذه الحروف لا تعيش مشكلا في مجال الخِطاطة، فالحروف اللاتينية منمّطة، وهي في كل مجالات التقنية العالمية من طباعة وإبراقيات واتّصال بعيد أو قريب، ويضاف إلى هذا كَوْن الكتابة الصوتية الدولية باللاتينية في معظم أصواتها. إذاً فمن السهولة كتابتها باللاتينية، أضف إلى أنّ كتابتها باللاتينية استدراك للتأخر، الذي لحقها من جراء الإهمال والهيمنة الأجنبية منذ ظهورها كلغة.

وإنّ اللاتينية لم تعمل لصالح هذه اللغة، بل إنّ قراء اللاتينية أو المثقفين بها (نخصّ أهل شمال إفريقيا) وبعضاً من الباحثين الغربيين هم الذين أسدوا الخدمات الكبيرة لهذه اللغة بالحرف اللاتيني، ولقد أنتجوا أُمات المؤلفات في هذه اللغة بالحرف اللاتيني، بل إنّ المصادر فقط أكثر من أن تحصى، وهذا يرجع إلى معطيات كثيرة وخاصة ما يتعلّق بالوسائل التي تحملها اللغات اللاتينية.

ويرى المنادون لكتابة الأمازيغية بالحرف اللاتيني أنّ العربية متخلفة على جميع الصُعد، وأنّها تعيش مشاكل لغوية كبيرة، وأنّ التعريب قد فشل في كل الأقطار العربية ويعني ذلك فشل العربية في إدخال (احتواء) هذه اللغة في وعائها، ومجرد الكتابة بحروفها فالفشل هو حليفها مسبقاً، فلا يجب أن نكرر تجربة تركيا في هذا الميدان. كما يضاف إلى هذا تخلف العرب علميا (اصطلاحياً) وكل أمة متخلّفة علمياً (مصطلحاً) متخلفة لغة. ولا ننسى تَعَقُّد البعض من اللغة العربية بحكم ارتباطات إيديولوجية كثيرة. وهذا كلّه ممّا يرشح الكتابة بالحرف اللاتيني.

ولقد جاء هذا الطرح نتيجة الانبهار بالغرب، لكن عندما نطرح القضية يجب أن نعرف محاسنها ومساوئها، وهذا ما يجهله الذين يثورون على العربية في هذا المجال.

صحيح إنّ العربية تعيش مشاكل لغوية، ويعود ذلك إلى عدم اهتمامنا بها، ودعوة التعريب في الوطن العربي دعوة جوفاء، فا، توضع هذه اللغة في المكان الذي يتطلّبه مقامها كلغة حضارة وعلم تشارك اللغات الأخرى، والتعليم الأساسي في أوطاننا قاصر عن تبليغ العربية الصحيحة؛ سواء لأهلها ولغير الناطقين بها. لكن يجب أن نعلم أنّ التفاوت بين اللغات مسألة نسبية؛ فاللغة المتخلفة هذا اليوم، يمكن أن تتقدم بعد سنوات كما لا يعني أنّ تخلف لغة المؤقت يعني التخلّي عنها، وإلا لماذا لم يتخلّ الأسبان والفرنسيون والإيطاليون عن لغاتهم بحكم أنّها لغات متخلفة عن الإنجليزية والروسية والألمانية واليابانية... وأنّ كثيراً من هذه اللغات تقيم ملتقيات شهرية لمحاربة الدخيل بل إنّها تتقهقر في عقر دارها من اللغات العلمية التي بدأت المجلات المتخصصة تكتب بها، وأنّ هذه اللغات التي نعتبرها نحن متقدمة تنقل عن اللغات العلمية أشياءً كثيرة وتحاول أن تخلق نموذجاً لها ممّا تنقله عن اللغات المتقدمة (الإنجليزية والألمانية).

كما أنّ التعريب لا يعني قطع الصلة بينها وبين اللغات الأجنبية؛ التي هي لغات العلم والحضارة والدبلوماسية، والتعريب يقوى وينجح بها. وأنّ مسألة المصطلح التي تطعن بها العربية دائماً مسألة مطروحة في كل اللغات تقريباً، فليس من الضروري أن نجد في قواميس العربية كل ما يظهر إلى الوجود من تقنيات، أو نجد لها المصطلح المقابل، وهنا يمكن أن تستعين باللغات الأخرى أو باللهجات أو العاميات، فهذا لا يجب أن يشكّل عقدة في حدّ ذاته.

لكن مسألة الشخصية فوق كل اعتبار، ومسألة الهوية هي التي تفرض علينا هذا الأمر. وهنا نرى أنّ الأزمة ذاتية، وليست في اللغة، والعقدة كامنة فينا والاستلاب أخذ بألبابنا، وأزمة الفكر من أزمة الوطن ككل. وقد عمّق التخلف الفكري هذه الأزمة التي تركت فينا الإتباع والاجترار وانعدام الاختيار والإبداع. ولقد طغى علينا **الأجنبوي** فصرنا تبّعاً له منذ عصر الفراعنة إلى الآن.

وفي هذا المجال إذا أتينا إلى إلقاء نظرة عجلى على اللغات التـــي كـــانت تكتـــب بالحرف العربي، نجدها قد وصلت إلى الثمانين لغة، كما نجد أنّ هذه الحروف غطّـــت أسيا الوسطى، في وقت ما ومازالت مجسّدة في كثير من تلك اللغات الإفريقيـــة وإلـــى عصرنا الحاضر، ألم يكتب بها محمود كعت ت1593م مؤلفاتـــه وأحمـــد بابـــا التنبكـــي ت1627م مدائحه، وعبد الرحمن السعدي ت1656م صوفياته، وغيرهم كثير، وقد أفـــادوا العربية بعلمهم الفياض. ألم يكتب بها عبد الكريم المغيلي التلمساني -وهو من المجموعة البربرية؛ مجموعة زناتة- مادة الفقه والتصوّف الإسلامي للبربر الذين دخلوا الإســـلام وكانوا يعانون صعوبة تعلّم العربية السريع، فاستعمل الخطّ العربي إدراكاً منه أنّه أسرع وأسهل وأكثر تأثّراً من غيره من الخطوط. ألم تعمل الكتاتيب في الجزائر وإلـــى وقـــت قريب على تعليم العربية بالنطق القبائلي، ولقد شاهدت هذا في إحدى الزوايا وســـمعت الشيخ يلقن الأبجدية لمريديه قائلا: **اللـــيـــفْ أوريـنَـــقَـــضْ** أرَا (الألف بلا نقط) **الباء يِـــيـــوَثْ** أســـوادا (الباء نقطة من أسفل) **الثـــاء أثْـــلاثَ** ســـُوفَـــلا (الثاء ثلاثة من فوق)... .

ونخلص من هذا القسم لنقول: إنّ مسألة الخطّ ليست هامشية وليست مسألة لفّ أو حزمة (Emballage) بل هي من أساسيات تطوّر اللغة؛ لأنّ الخطّ إذا كان يعيش مشـــاكل فنيّة يصعب عليه أن يحوي لغة أخرى، وخاصة مثل الأمازيغية التي تتوفّر على بعض الأصوات التي لا نجدها في كثير من اللغات، بل هي لغة ألْكـــــا وهـــي بيـــن اليـــاء والكاف المعقودة، في مثل: كَـــمِّني (أنتِ). والـــواو والكـــاف المعقـــودة فـــي مثـــل ثاكـــــوست (الوتد) والزاي المفخمة في مثل: إيـــــزي (المرارة) ويضاف إلـــى هـــذا مختلف النُطق التي نجدها في اللهجات الأخرى لبعض الأصوات المختلفة. وهذا يدفعنـــا أن ننتقي الخطّ الذي يجسّد كل هذه الأصوات التي لا نجد فيها صعوبة فـــي تجســـيدها وخطّها هو أحسن تجسيد لها.

وقد أقول كلمة في هذه النقطة من حيث إنّ أمر الدفاع عن الأمازيغية حصل مـــن قبل الباحثين الذين يكتبون بالحرف اللاتيني، كما أنّهم السابقون والســـبّاقون وراء جمـــع

التراث اللغوي لهذه اللغة، ومسألة كتابتها بالحرف اللاتيني لهم حجّتهم في ذلك، أمام السكوت التام لكثير من المعربين، ثمّ إنّ أمر الدفاع عن الأمازيغية باللغة الفرنسية، أو كتابتها بحروف لاتينية لا يطعن في مصداقيتها[7]. لكن هذا يجب أن يكون ضمن نسق عام لسياسة التدريس في وطننا. أما أن نبيح للنخبة استعمال الفرنسية بدل العربية، ولا نبيح للأمازيغ استعمال الفرنسية أو كتابة الأمازيغية باللاتينية ففيها إجحاف، وتهميش ظاهر، في الوقت الذي تنادي فيه لوائح حقوق الإنسان من حق المرء أن يتعلّم بلغته الأم. فإذاً القضية أن تتجسّد الهوية كما يجب، سواء بالنسبة للعربية والأمازيغية على حدّ سواء ولا نحرم على غيرنا ما نبيحه لأنفسنا.

يبدي الكثير من المهتمين بالأمازيغية أنّ أمر كتابتها باللّغة اللاتينية لا يراد من ورائها اللغة الأمازيغية، بل من ورائها أهداف استعمارية أخرى، وهي بقاء الحرف اللاتيني الذي تمثّله اللغة الفرسية في الجزائر، ومن ذلك فنكون قد ساهمنا بهذا الحرف في خدمة اللغة الفرنسية. وهناك من يرى أنّ اللغة الأمازيغية تكون غطاءً لا غير في انتظار إثبات عجزها، وعند ذلك يُلجأ إلى الفرنسية على اعتبار أنّ مشاكلها المادية محلولة، وخطّها جيّد ومنمّط، وأنّ لها باعاً كبيراً في الوسط الجزائري، فإذن لا بديل عنها.

*** **القسم الثالث**: أن تكتب بالحروف العربية، وحجّتهم في ذلك هي:

1- إنّ اللغة العربية سوف تأخذ الحرف الأمازيغي وتكيّفه بناءً على ما سوف يحصل في الحرف اللاتيني، ونعرف أنّ الحروف العربية أكثر التصاقاً من حيث المخارج بالأصوات الأمازيغية، ومن هنا فإنّ العربية التي تحوي على 29 حرفا ألفبائياً كما نجدها تتوفّر على الحروف التحسينية الأخرى، أفلا يمكن إحياء النون الساكنة إذا كان بعدها حرف من الحروف التي تخفي معه، والهمزة المخفضة وألف التفخيم وألف

7- محمد عابد الجابري، رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية. الرباط: 1977، ص 193.

الإمالة، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي، والطاء التي تكلّم عنها سيبويه وقال عنها: لو رققت لصارت دالاً. والدال إذا فخمت كانت طاءً. كما تبلغ حروفها ثلاثة وأربعين بفروع غير مستحسنة، وهي: الكاف التي كالجيم/ الجيم التي كالشين/ الطاء التي كالتاء/ الضاد الضعيفة/ الصاد التي كالسين/ الباء التي كالفاء/ الظاء التي كالثاء[8].

كما يضاف إلى هذا مسألة الحروف العربية التي هي منمّطة مثلها مثل اللغات العالمية والحيّة، وقد نمّطت نسقاتها ومحارفها، وقضي مؤخراً على المشكل الخطي والتقني الذي كانت تعيشه العربية قبل دخولها عالم التقانة[9] وأنّ الطريقة المعيارية للطباعة العربية قد حلّت معظم مشاكل الطباعة بجميع أنواعها فأدخلت الحرف العربي في المعلوميات ووحدت أقنانها على صعيد الوطن العربي، وحتى على الصعيد الدولي، وبذلك جعلت من طباعة الحرف العربي طباعة معيارية متيسّرة في جميع الأجهزة مهما كانت أنواعها، وطبيعة الخطّ الذي تستعمله، ومن هنا فأين الإشكالية إذن؟ فنحن نلاحظ الآن آلات كاتبة ومطبعات ومُبرقات وطابعات حاسوبية، تطبع الحرف العربي بالوسائل الكهروبية (الإلكترونية) وذلك بسبب ظهور المعالج الدقّية (Micro-Processeur) المتحكّمة في الطباعة الكهروبية. فالمشكل غير مطروح في الحقيقة، ولا خلاف بين الطريقة التي يستعملها الحرف اللاتيني عن العربي مطلقاً. ولكن ما يجب أن نشير إليه في هذا المجال أنّ هذه الطريقة غير منتشرة في الوطن العربي، رغم ما يزيد عن خمس عشرة توصية صدرت في صالحها عن هيئات عربية ودولية، وذلك لأنّ هذه التوصيات ليس لها وزن لدى الشركات الصانعة، فلا تُقبل عليها لتطبيقها إذا لم يُتّخذ في شأنها أي قرار حكومي عربي من شأنه أن يفرضها، أو يوصي بها.

8- ابن عصفور الإشبيلي، الممتع في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط1-5. ليبيا: 1983، الدار العربية للكتاب، الجزء 2، ص 665-667.

9- ينظر التطوّر التكنولوجي للذي أحدثته العربية المعيارية المشكولة، ذات الشفرة العربية. أحمد لخضر غزال الحلول التقنية لمشاكل للكتابة العربية. الرباط: 1994، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.

2- هناك مجموعة من المصادر البربرية، وقد دوّنت بالحرف العربي في عهد المرابطين والموحدين (تسجيل بعض العلوم الشرعية الأمازيغية بالحرف العربي في كتاب "التوحيد" للمهدي بن تومرت). كما أنّ الدولة الرستمية اهتمت بترقية هذه اللغة فنقلت علوم العربية إليها، وكتبتها بالحرف العربي، وقد سبق أن كُتبت عجمة الموريسكيين بحروف عربية[10] كما عملت بعض الدول إبان الحكم العربي بهذه الحروف دون عقدة تذكر، إلا أنّ التخريب الذي قام به العرب من بني هلال وبني سليم، كان له أثر خطير في تراجع الكتابة أو الحضارة الإسلامية اللذين عرفهما المغرب في عهد الفاطميين والصنهاجيين[11]. وحالياً نجد مجموعة معتبرة من المصادر والمراجع في شتى الفنون كتبت بالحرف العربي، وهذه المصادر أو المراجع تشمل:

1- القواميس الأمازيغية العربية.

2- مجموعة دروس في الأمازيغية.

3- المدائح الدينية والأشعار.

4- غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم).

5- الخرافة، والتنجيم.

6- الزراعة.

7- الشعر والقصة القصيرة والطويلة.

8- الأمثال الشعبية ...

10- الحسين بوزينب "لماذا كتبت عجمة الموريسكيين بحروف عربية" المخطوط العربي وعلم المخطوطات، ط1، تنسيق أحمد شوقي بنين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. الرباط: 1994 ، ص 99.

11- يراجع: عبد الكريم غلاّب، من اللغة إلى الفكر. الرباط: 1993.

وهذه عيّنة بسيطة من التراث المكتوب بالخطّ العربي، وفيّ بلاد المغرب تراث هام كلّه مكتوب بالخطّ العربي، لأنّ المغرب كان ومازال يجسّد هذه اللغة بالحرف العربي.

3- مسألة الدين الإسلامي؛ فأغلبية المجتمعات التي تدعو إلى إحياء اللغة الأمازيغية هي مجتمعات مسلمة، ومرجعية الإسلام هي اللغة العربية، وبحكم المدّة الزمنية لهذا الدين الحامل لهذه اللغة، لم يشعر أهل المغرب بالخصوص بالغرابة اللغوية عنه بدليل أنّهم حاربوا الديانات واللغات التي كانت قبل الإسلام، ولم يحاربوا الإسلام والعربية، بل اندمجوا في اللغة الجديدة كونها لغة مكتوبة لمجتمع يحمل ضعفاً حضارياً في هذا الجانب، إذْ أنّ الفرس قبلوا الدين الإسلامي، ولم يقبلوا اللغة العربية؛ كون حضارة الفرس أكثر من حضارة العرب رقيا ((... فتعلّم اللغة العربية والتمكّن منها أمر ضروري بالنسبة للإنسان المسلم، لأنّها الأداة الكفيلة بفهم الإسلام فهماً أعمق، وما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب، كما أنّ تعلّم الأمازيغية واجب لنفس السبب))[12]. ومن هنا تدعو الضرورة كتابة الأمازيغية بالحرف العربي كون الأمازيغية لم تشعر بحريتها إلا عند دخول الحضارة العربية المجتمع الأمازيغي؛ حيث جعلوهم أسياداً، وأُعطيت لهم الإمارة، ولم يفرقوا بين العبد والسيد... .

4- الأصوات الموجودة في الأمازيغية يوجد معظمها في العربية مع تصرّف بسيط باستثناء مايلي: الكَّا في مثل أكوس AGUS (الحزام) (الكَا) في مثل كمني KEMMINI (أنتِ) ج في مثل: يوجّاق YUJJAQ (صوّت) ويضاف إلى هذا أصوات الإطباق في مثل نبّي IBBWI (أخذ) أكّد AGWAD (اخش)، أكّم AGWEM املأ الماء) أكّر AKWER (اسرق) ويضاف إلى هذا التفخيم في الزاي في مثل: أزار (الجذر) AZAR، والشين المفخمّة في مثل : أوشاي UCCAY ونضيف

12- جامع جغايمي، هوية المدرسة المغربية، ط1. الرباط: 1995، مطبعة شروق أكادير، ص 32.

إلى هذه تـــس / تـــش في مثل: تســروتس TASARUT (المفتاح) - أتـــش ECC (كُلْ). وعلى العموم هناك فروق لهجية بين المناطق فهي عديدة.

5- وعلى ذكر الأصوات فإنّ تكييف الحروف مسألة ضرورية، وقد جربت الحروف العربية في كثير من اللغات التي اعتنق أهلها الإسلام وما وجدوا صعوبات تذكر أمام التكييف الذي يحصل في "حروف، ولدينا حالياً أمثلة حيّة تقوم بها المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم[13] في كتابة ألسنه (لغات) بعض الأفارقة تيسيراً لهم على فهم الإسلام والكتابة بالحرف العربي. وهكذا تمّ تنميط أصوات لغة **الهوسا** كما يلي:

-* الحروف المفردة:

أ ب ٻ ٿ ج ڄ د ر ز س ش

طٓ ف ک ڬ ڮ ل م ن هـ و ي

- الحروف المزدوجة:**

تس كو كي ڬو ڮو ڮي.

-* الحركات:**

بَ بُ بٙ بِ بٍ

أصوات لغة **الولوف** كما تمّ تنميطها.

-* الحروف المفردة:

أ ب ٻ ت ثٓ ج خ د ر س غٓ

ف ق ک ڬ ل م ن ڽ و ي

13- تجربة قامت بها المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم في لغات أهل إفريقيا، وقد نمّطت هذه الكتابة في آلات عصرية مثلها مثل اللغات الأخرى. ينظر: إيسيسكو، كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف القرآني المنمّط. الدكتور مصطفى أحمد علي، مجلة الإسلام (العدد الخاص).

-** **الحروف المزدوجة:**

مــب مـيپ نــت نڈ نــج نْـد نـكــ نـكَــ نــق

-*** **الحركات:**

بَ بُ بّ بِ بٍ بٌ

أصوات **السوسكي** كما تمّ تنميطها.

-* **الحروف:**

أ ب پ ت ٹ ج د ر س غ

ف كــ كَــ ل م ن ڹ هــ و ي

-** **الحركات:**

بَ بُ بْ بِ بٍ

اصوات **الصنغي/رزما** كما تمّ تنميطها.

-* **الحروف المفردة:**

أ ب ٹ ج د ز س ش غ

كــ كَــ ل م ن ڹ هــ و ي

-** **الحروف المزدوجة:**

مــب نــد نـــت نــج نــكــ نــكَــ

-*** **الحركات:**

بَ بُ بْ بِ بٍ بٌ

أصوات **الماندكية** كما تمّ تنميطها.

-* **الحروف المفردة:**

أ پ ت ٹ ج خ د ر س

كَــ ل م ڽ ڹ هــ و ي

-** **الحروف المزدوجة:**

كَـــب نـــــ

-*** الحركات:

بَ بُ بْ بٔ بِ بٍ بٖ

أصوات البولار كما تمّ تنميطها.

-* الحروف:

أ ب پ ٻ ٿ ج ڃ د ر

ز س ش ڟ غ ف كـــ كَـــ ل

م ن ڽ هـ

-** الحركات:

بَ بُ بْ بِ بٍ

أصوات القمرية كما تمّ تنميطها.

-* الحروف:

أ ب پ ٻ ت ج چ خ د ڋ

ر ز س ش غ ف ڥ ق كـــ

كَـ ل م ن ڽ هـ و ي

-** الحركات:

بَ بُ بٌ بِ بٍ

أصوات الصوصو كما تمّ تنميطها.

-* الحروف المفردة:

أ ب پ خ ر س غ ف

كَـ ل م ں ڽ هـ و ي

-** الحروف المزدوجة:

كَـــــب نـــد

-*** الحركات:

بَ بُ بٔ بِ بٍ

أصوات **التماشق** كما تمّ تنميطها.

-* الحروف:

أ ب ت ثّ ج خ د ر

ز س ش ص ض غ ف ق كـ

كَـ ل م ن هـ و ي

- الحركات:**

بَ بُ بٗ بِ بـٖ بٝ

اصوات **اليوربا** كما تمّ تنميطها.

-* الحروف المفردة:

أ ب پ ج د ر س ش

ف كـ كَـ م ن هـ و ي

- الحروف المزدوجة:**

كَـــب

-* الحركات:**

بَ بُ بْ بٗ بِ بٖ بٍ

ويهدف هذا المشروع إلى وضع استراتيجية تعليمية لاستعمال الحرف العربي في التعليم، وفي كتابة عدد من اللغات الإفريقية مساهمة في محو الأمية، وتمثّلت إنجازات هذا المشروع في وضع دراسة لواقع استعمال الحرف العربي في مالي والسنغال والنيجر ونيجيريا، وعقد ندوات وطنية لوضع حروف لكتابة لغات **البولار وفلفدي والصنغي وزرما والولوف والكانوري والهوسا**، إضافة إلى إنشاء فصول نموذجية لاستخدام الحرف العربي في تعليم اللغات المحلية بالمدارس القرآنية في **مالي (البولار / فلفدي والصنغي / زرما) والسنغال (البولار ولولوف) والنيجر (الصنغي / زرما والهوسا).**

وفي الوقت الحالي تسعى المنظمة (الإيسيسكو) إلى تنميط أصــــوات كــل مــن: **القمرية السواحلية الأورومر، الدينكا اللكبارة**، وهذا لكتابتها بالعربية في ما يُستقبل من الزمان، ويضاف إلى هذا المشاريع التي وضعت لكتابة كل اللغات الإســـلامية بـــالخطّ العربي.

ويساهم في هذا العمل كل من:

- المكتب الإقليمي لليونسكو.

-- معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.

--- أعضاء من الدول الناطقة بهذه اللغات.

---- المعهد الدولي للغة العربية في الخرطوم.

وهذا العمل من تمويل البنك الإسلامي للتنمية، ويعزم معهد الدراسات والأبحـــاث للتعريب على أن يوسّع نشاطه إلى الدول الإسلامية الآسيوية، وخاصة تلك الدول التـــي كانت في وقت ما تجسد هذا الخطّ في لغاتها ومحاولة منه لإعادة الكرّة في ثوب جديـــد وبمعطيات جديدة. وفي الحقيقة يجب أن نقرّ أنّ هناك مجموعة من العوامل الهامة التي جعلت الحرف العربي يدخل اللغات الإفريقية، ويتمثّل أهمّها في: المحافظة على التراث الإفريقي، والتعبير عن أغراض الحياة المعـــاصرة، والاتّصـــال بمصـــادر الحضـــارة الإسلامية، ومحو الأمية، والمساعدة على التنمية المحلية، ومع ذللك نشير إلى:

1- عدد اللغات الإفريقية التي كتبت بالحرف العربي وصل إلى ثلاثين لغة.

2- مرّ الحرف العربي في كتابة هذه اللغات بمراحل تطويرية هامة.

3- واجهت الحرف العربي مجموعة من المشكلات في كتابة هذه اللغات، وخاصة ما يتعلّق بتمثّل النظام الهجائي لكل لغة[14].

وهذا **تلخيص** للحروف المفردة والمزدوجة والحركات التي وظّفتها المنظمة فـــي كتابة بعض اللغات الإفريقية.

14- يوسف الخليفة أبو بكر "الحرف العربي واللغات الإفريقية" مجلة المجلة العربية للثقافة. تونس: 1983 الأليكسو، السنة الثالثة، العدد الرابع، ص 145-166.

جدول الحروف المفردة

العربية	السواحلي	البولار	الهوسا	السوننكي	الماندنكة	الصوصو	الكانوري	الصنغي	الولوف	القمرية	اليوربا					الرمز العربي	الرمز اللاتيني
ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا.	ا					ا	a
ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب					ب	b
		پ		پ	پ	پ	پ		پ	پ	پ					پ	p
		ٻ	ٻ							ٻ						ٻ	ɓ
ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت						ت	t
	ٽ	ٽ	ٽ	ٽ	ٽ		ٽ	ٽ	ٽ							ٽ	č
ث																ث	ṯ
ج	ج	ج	ج	ج	ج		ج	ج	ج	ج	ج					ج	j
		ڃ	ڃ													ڃ	y
										ع						ع	ɛ
ح																ح	ḥ
خ	خ				خ	خ			خ	خ						خ	kh
د	د	د	د	د	د	د	د	د	د	د	د					د	d
										ڊ						ڊ	đ
ذ																ذ	ḍ
ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر					ر	r
							ڑ									ڑ	ṛ
ز	ز	ز	ز					ز		ز						ز	z
																ژ	ž
س	س	س	س	س	س	س		س	س	س	س					س	s
ش	ش	ش	ش					ش		ش	ش					ش	š
ص	ص															ص	ṣ
ض	ض															ض	ḍ
ط	ط															ط	ṭ
		ط	ط													ط	ɗ
ظ	ظ										—					ظ	ḍ
ع																ع	ʿ
غ	غ									غ						غ	gh
		څ		څ		څ		څ	څ							څ	ŋ
ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف					ف	f
										ڤ						ڤ	β
										ڤ						ڤ	v
ق	ق								ق							ق	q
ک	ک	ک	ک	ک			ک	ک	ک	ک	ک					ک	k
	گ	گ	گ	گ	گ	گ	گ	گ	گ	گ	گ					گ	g
			ڬ													ڬ	ƙ
ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل					ل	l
م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م					م	m
ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن					ن	n
		ݧ		ݧ	ݧ			ݧ	ݧ	ݧ						ݧ	ny
هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ		هـ	هـ					هـ	h
و	و	و	و	و	و	و	و	و		و	و					و	w
ي	ي	ي	ي	ي	ي	ي	ي	ي		ي	ي					ي	y

جدول الحروف المزدوجة

الرمز اللاتيني	الرمز العربي													اليوربا	الزولو	الصنغي	السرير	الكانيكا	الهوسا
ts	نس																		نس
gb	كب													كب			ك ب	كب	
kw	كو																		كو
ky	كي																		كي
gw	گو																		گو
gy	گي																		گي
ƙw	ڮو																		ڮو
ƙy	ڮي																		ڮي
mb	مب														مب	مب			
mp	مپ														مپ				
nt	نت														نت				
nč	نتّ														نتّ	نتّ			
nj	نج														نج	نج			
nd	ند														ند	ند	د		
nk	نك														نك	نك			
ng	نگ														نگ	نگ			
nq	نق														نق				
nw	نو																	نو	

ماذا نلاحظ من كل هذه الحركات بكل أشكالها؟

1- وجود الحروف المزدوجة في اللغات الإفريقية.

2- يمكن تجسيدها في الكتابة العربية.

3- لا بدّ من إجراء التعديلات والتكييفات على الحروف العربية، مثلما تُجرى على الخطوط الأخرى.

4- الحروف العربية أقرب نطقاً لكتابة هذه اللغات الإفريقية.

جدول الحركات

الحركات

الرمز اللاتيني	الرمز العربي						اليوربا	القمرية	الولوف	الصنغي	الكانوري	الصرصر	الماندنكة	السونتكي	الهوسا	البولار	التماشق	العربية
ba	بَ						بَ	بَ	بَ	بَ	بَ	بَ	بَ	بَ	بَ	بَ	بَ	بَ
bu	بُ						بُ	بُ	بُ	بُ	بُ	بُ	بُ	بُ	بُ	بُ	بُ	بُ
bo	بٗ						بٗ	بٗ	بٗ	بٗ	بٗ	بٗ	بٗ	بٗ	بٗ	بٗ	بٗ	
bɔ	بٛ						بٛ						بٛ					
bi	بِ						بِ	بِ	بِ	بِ	بِ	بِ	بِ	بِ	بِ	بِ	بِ	بِ
be	بٖ						بٖ	بٖ	بٖ	بٖ	بٖ	بٖ	بٖ	بٖ	بٖ	بٖ	بٖ	
bɛ	بٜ						بٜ						بٜ					
ɓ	ٻ								ٻ		ٻ						ٻ	
b	بْ						بْ	بْ	بْ		بْ	بْ	بْ	بْ	بْ	بْ	بْ	بْ

في حالة المدّ تضاف حروف اللين :

فتعقب الألف الفتحة نحو : بَا

وتعقب الواو الضمة وما يتفرع عنها نحو : بُو بـو، بـو

وتعقب الياء الكسرة وما يتفرع عنها نحو : بِي، بِي، بِي

في اللغات التي تحتوي على صوائت أنفية "حركات مشوبة بالغنة"، يضاف حرف النون عقب الحركة نحو : بَن، بُن، بن، بن، بِن، بِن، بِن.

6- العربية أوْجز وأخصر وأطوَع، ولا تحمل الحروف المضاعفة مثلما نجد عند بعض الباحثين الذين كتبوا الأمازيغية بالحرف اللاتيني مثل : ° CH ° KH ° GH ° DJ TCH ° DH ... باستثناء مولود معمري في (ثِمْعَمريثْ) الذي لم يعمل بهذه التثنية إلا في حرف واحد وهو GW ولا كثرة الحروف غير الناطقة.

7- عبارات وأسلوب اللغتين متقاربة، أضف إلى هذا أنّ الأمازيغية من اللغات الإسلامية، ومعظم اللغات الإسلامية كتبت بالحرف العربي. ومع كل هذا نرى أنّ العربية لا تجسّد إلا القليل من أصوات الأمازيغية، وهذا ليس عائقاً يحول دون كتابتها بهذا الخطّ، وهذا هو دور المؤسسات العلمية والعاسيين القائمين على ترقية اللغات ومنها العربية والأمازيغية، وتنميط الحرف العربي.

وإذا كان لابدّ أن تكتب بالحروف العربية، يجدر بنا التنويه بالاجتهاد الذي يقوم بها معهد الدراسات والأبحاث للتعريب في هذا الميدان، وما تقوم به المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم[14]، وإنّها لمحمودة؛ حيث استطاعا أن يوجدا وينمّطا أصوات اللغات الإفريقية وكتابتها بالحرف العربي.

كما عمل بعض الباحثين على تجسيد أصوات أخرى يمكن أن نستفيد منها في تجسيد الأصوات التي لا نجدها في الألفبائية العربية ذات التسعة والعشرين صوتاً.

وفي هذا المقام نورد العمل العلمي الذي أنجزه أستاذنا عبد الرحمن الحاج في مجال الرموز العربية الخاصة بكتابة الكلام المنطوق؛ الذي يحتفظ بنظام **الكتابة العربية الأصلي بكامله**، ولا يدخل أي تغيير في أشكال حروفه الخطية والمطبعية، وذلك لتحقيق تجنّب التكاليف المادية، وعدم قطع الصلة بالتراث، وتمكين القارئ من التمييز بين

14- زرت مقر المنظمة في شهر أيار عام 1998م، وقد ذهلت من تلك الأعمال الجادة تجاه كتابة اللغات الإسلامية بالحرف العربي، وقد استطاعوا تنميط حروف كثير من اللغات الإفريقية، وأدخلوا ذلك في أجهزة جدّ متطورة، تحمل منطاقيات متطوّرة، وهذه الأجهزة تهدى لكل دولة إسلامية أو عربية ترغب في نشر الحرف العربي خارج أهله.

الأصوات التي هي حصيلة تطوّر النظام الصوتي العربي، وبين الأصوات المجتلبة التي لا تنتمي إلى هذا النظام. وقد اقترح أن تزاد على الحروف وعلامات الشكل الأصلية علامات أخرى للتمييز بين مختلف الأصوات المسموعة ويحتفظ بما شاع من العلامات إنْ تماشت مع ما تقتضيه الدقة العلمية. وهذا كلّه من أجل:

*- تمكين اللغوي من كتابة الأصوات المختلفة التي تؤدي وظيفة في عملية التبليغ أي تلك التي تتمايز بها معاني الكلم وهي الحروف Phonème .

**- تمكين الباحث اللغوي من كتابة مختلف وجوه الأداء Variantes ou varietés de réalisation phonètique العربي، وجميع الاختلافات الصوتية التي تحدث في هذا الأداء (مهما دقّت ولطفت) ممّا هو شائع في الاستعمال كما ترد على ألسنة الناطقين، بقطع النظر عن وظيفيتها التمييزية، والغاية هنا هي الدراسة الصوتية المحضة.

وهذا الاقتراح وضعه الأستاذ للموردين أثناء جمع الرصيد اللغوي المغاربي والرصيد العربي الوظيفي، فيمكننا توظيفه في تدوين الأصوات التي لا توجد في العربية. ومن محاسنه أنّه يحافظ على جمال الخطّ العربي مع إحداث تعديلات طفيفة من زيادة في النقط، أو تكييف الحرف ليستجيب لصوت الحرف الجديد، وهذا هو المقترح:

الرمز العربي	المخرج	الرمز الدولي
ب	الباء العربية العادية : شفوية مجهورة	b
ب	مثل الباء الفارسية شفوية شديدة مهموسة	p
ب	مثل الباء الأسبانية أو العبرية التي بين مصوتين: رخوة مجهورة	B
ت	التاء العربية العادية: نطعية ذولقية شديدة مهموسة	t
تَسّ	تاء تخالطها في وسطها رخاوة بين الذولق والنطع (في لهجة تلمسان مثلا تعمل، وفي	ts

	الألمانية في لفظة Zen	
ث	الثاء العربية الفصيحة: لثوية مهموسة غير مفخمة مستقلة	t / θ
ث	ثاء منطوقا بها تاء كما هو الحال عند أهل المغرب توم عوض ثوم	t
ث ~ س	ثاء منطوقا بها سينا كما يجري ذلك على ألسنة بعض أهل المشرق مسلا عوض مثلاً	s
ج	الجيم العربية الفصيحة: شجرية شديدة مجهورة	DJ Q
ج	مثل الجيم الفرنسية أو ز الفارسية: شجرية رخوة مجهورة (الجيم مثل الشين المجهورة عند سيبويه)	j z
ج	جيم منطوقا بها مثل الكاف مع بقاء الجهر (الجيم التي كالكاف عند سيبويه) وهي التي ينطق بها أكثر أهل مصر حالياً، وهو مخرج الجيم في جميع اللغات الشمالية	g
ج	جيم منطوقاً بها مثل الزاي، وذلك نحو (جيت) في لهجة مراكش ، أو زوج في تونس	Z
ج	منطوقاً مثل الياء إلا أنّها أكثر جموداً (لهجة اليمن وبعض أهل السودان).	djy ydj
چ	جيم شديدة لكنّها مهموسة كما هو الحال في جلبي اسم علم.	tš́
ح	الحاء العربية الفصيحة: من أوسط الحلق مهموسة	h
خ	الخاء العربية الفصيحة: من أدنى الحلق مهموسة ومثلها j الأسبانية jota و ch الألمانية في buch	h
د	الدال العربية الفصيحة: نطعية ذولقية شديدة مجهورة	d

ذ	الذال العربية: لثوية مجهورة مستقلة ومثلها الإنجليزية، في أداة التعريف the	ḏ
ر	الراء العربية الفصيحة: ذولقية مكررة	r
ز	الزاي العربية الفصيحة: ذولقية نطعية رخوة مجهورة صفيرية (مثل السين بزيادة الجهر)	z
س	السين العربية الفصيحة: ذولقية نطعية رخوة مهموسة صفيرية مستقلة	s
ش	الشين العربية الفصيحة: شجرية رخوة مهموسة	š
ش	الشين منطوقا بها مثل السين (كلهجة بعض أهل الحضر في مراكش)	
ص	الصاد العربية الفصيحة: ذولقية نطعية رخوية مهموسة صفيرية مطبقة	ṣ
صَ	صاد مجهورة (هي الصاد المشربة صوت الزاي عند سيبويه) مثل صغير في لهجة تونس زاي مفخمة مطبقة	ẓ̌
ض	الضاد التي يقرأ بها القرآن في زماننا (وهي غير الضاد التي وصفها سيبويه) كدال مطبقة	ḍ
ضِ أو ض	ضاد منطوقا بها مثل الظاء (لثوية)	ḍ̱
ضط	الضاد منطوقاً بها مثل مثل الطاء الحالية (مريضة في لهجة تلمسان)	t
ض	ضاد منطوقاً مثل الصاد المشربة صوت الزاي السابقة (زاي مفجمة مطبقة) وهي في لغة أهل مصر في مثل (مضبوط)	Ẓ
ط	الطاء التي يقرأ بها القرآن في زماننا (وهي أيضاً	Ṭ

	غير الطاء التي وصفها سيبويه، أي كتاء مطبقة)	
ظ	الظاء العربية الفصيحة: لثوية مجهورة مطبقة	ḏ
ظ	ظاء منطوقاً بها الضاد (الدال مفخمة غير لثوية)	ḍ
ع	العين العربية الفصيحة: من أوسط الحلق مجهورة بين الشديد والرخو	
غ	الغين العربية الفصيحة بين أدنى الحلق مجهورة	
غ	الغين منطوقاً بها قافا مهموسة (في لهجة أهل الجنوب الجزائري)	q
ف	الفاء العربية الفصيحة: من الشفة السفلى وأطراف الثنايا، مهموسة	f
ف	مثل v الفرنسية و w الألمانية والواو الفارسية وهي فاء مجهورة	v
ق	القاف العربية: من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك (فهي إذن مفخمة) وهي شديدة ، وينطق بها مهموسة الآن في قراءة القرآن ، وأصلها الجهر	q
قْ	هي هذه القاف إلا أنّها مجهورة، وينطق بها الآن أهل البدو بإبقاء التفخيم في الشرق (وهي القاف الفصيحة) أو بإزالته (بعض أهل المدر والبدو في المغرب)	g
ق	هي هذه القاف أيضاً منطوقا بها مثل الهمزة	و
ك	الكاف العربية الفصيحة: من أسفل مخرج القاف شديدة مهموسة غير مفخمة	k
كً	هي هذه الكاف منطوقا بها مثل ج التي مرّ ذكرها (جيم مهموسة) والكشكشة هي هذا النطق نفسه	tš

	لكنّه خاص بكاف المخاطبة (وهذا المخرج موجود بكثرة في أهل البدو بالمشرق، وبعض القرويين بالمغرب العربي)	
گ	يشار بهذا الرمز إلى الكاف المجهورة الأعجمية (في جميع اللغات الأجنبية التي لها هذا المخرج)	g
ل	اللام العربية العادية : من حافتي اللسان إلى منتهى طرف اللسان (وهي بين الشديدة والرخوة)	l
م	الميم العربية العادية : ذولقية نطعية غناً	m
ن	النون العربية العادية : شفوية غناء n	n
ن	هي النون منطوقاً بها مثل الميم كالنون في لفظة عنبر.	m
ن	هي النون المخفاة أو الخفيفة: نون ناقص منها اعتماد اللسان على النطع (غنّة محضة لها جرس الحركة التي قبلها).	
هـ	الهاء العربية العادية ومثلها h الإنجليزية فيhow	h
و	الواو العربية الفصيحة ومثلها w الإنجليزية في we	w
و	الواو العربية منطوقاً بها الباء التي مرّ ذكرها	v
و	واو غير مدية مشربة صوت الياء مثل huit في الفرنسية.	w
ي	الياء العربية الفصيحة	y
ء	الهمزة العربية : من أقصى الحلق شديد.	
ء	الهمزة منطوقاً بها مثل العين (وهي العنعنة التي ذكرها القدماء).	

وإن كان المشروع يحمل بعض النقص بالنسبة لهذه اللغة، أو يحمل التضارب في كتابة بعض الأصوات التي اقترحت من قبل بعض المؤسسات، أي يناقض بعض التنميط القديم، لكنّه يمكن الاستفادة منه، كما يمكن الاستفادة من الدراسات السابقة في هذا الميدان. وما أحوجنا إلى الاتّفاق النهائي في كتابة هذه الأصوات.

ولكن كيف نستفيد من هذا المقترح في كتابة الأمازيغية؟. أرى أنّ نأخذ الأصوات التي لا توجد في الألفبائية العربية 29 صوتاً، وهي الأصوات الجديدة، ونرى من جهة أخرى المدوّنة الأمازيغية إذا كانت تحوي تلك الأصوات، فنستفيد منها في كتابة تلك الأصوات[15]. ونستفيد كذلك من مقترح معهد الدراسات والأبحاث للتعريب؛ الذي أضاف خمسة من الأصوات إلى الألفبائية العربية، ويعمل بها في المغرب؛ وتوجد في العربية المعيارية المشكولة ذات الشفرة العربية، وهي حروف خاصة، والتي هي:

* پ = P
* ڤـ = V
* كَـ = g كاف وعليه سطر، وهي القاف العربية البدوية في مثل: قال لي تكتب: كَال لي. وهذه الحروف الثلاثة تُستعمل في كتابة الصوت الأجنبي عن اللغة العربية، وهي شديدة.
* چـ = الجيم في مثل چيت التي نسمعها في عنابة وضواحيها (الجيم التونسية) وهي رقيقة كأن يقول چابر (اسم علم).
* ڨـ = وهذه تشبه كـ البدوية، إلا أنّها مجهورة ذات شدّة، وتستعمل في الأسماء، كأن تقول: ڨمري (نوع من الطيور) ڨايد (اسم علم).

15- ما اقترحته هي مجرد فرضيات واجتهادات خاصة، وفي الحقيقة أنّ هذا العمل لا يقوم به فرد واحد، بل يقوم على دراسته فرق بحث متخصصة؛ تضم اللغويين والباحثين والصنّاع وبعد الاتفاق على نوعية التعديل أو التنميط الجديد، يعمل المدرّسون والصنّاع على ترويج ذلك من خلال التعليم وإدخال ذلك في الآلة.

وأما الحرفان الأخيران فهي تخصّ كتابة بعض الأسماء المحلية، والتي لا توجد في العربية الفصيحة، وتخصّ منطقة المغرب العربي.

هذه الحروف الخمسة ليست حديثة، بل هي قديمة، وقد فرضها التطوّر الذي شهدته العربية في هذا الوقت، نظراً لفقرها إلى هذه الأصوات؛ والتي تتواجد بكثرة في المصطلحات اللاتينية، ونظراً لاستقبالها المصطلح الغربي دعت الضرورة إضافة هذه الأصوات (الثلاثة). ونحن نضيفها إلى الأصوات الحروف العربية، حالة كتابتنا الأمازيغية بالحروف العربية. ونحاول تجسيد صوت واحد لحرف واحد، ونقترح الصورة للحرف الذي لا يوجد في العربية، كما يلي:

- الاستبقاء على التضعيف حالة تشديد الحرف.

- ج = الجيم الشجرية، في مثل ثجْجييث (الوردة) الجيم العربية وفوقه حرف المد ـ ٓ وقد اقترحه الأستاذ الحاج صالح، والجيم الرقيقة تكتب تحتها V الفرنسية واستعمله مكتب تنسيق التعريب.

- ز = الزاي المفخمة في مثل إيزْيط (الرحي)، إيزْان (الوسخ) ثايزْيط (الدجاجة) الزاي عليه نقطة وقوس معقوف، عمل به الأستاذ محمد شفيق في تدوين أصوات الأمازيغية في مؤلفاته بهذا الشكل ر.

- كَـ = انفجاري بالنسبة لهذا الحرف، فقد كان مقترح المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أن تكتب بهذه الأشكال إشارة إلى القاف العربية: گـ / كَـ / قِـ / جـ[16] ونفضل الإبقاء على تلك التي تحمل المدّة فوقها؛ وهذه المدّة تغطي كامل جسم الحرف للتفريق بينها وبين حركة الفتح، وقد استعملها الفرس في لغتهم، فليس من الضروري العمل على خلق صورة أخرى. ونستعملها في الأمازيغية بهذه الأشكال:

16- محمد رشاد الحمزاوي، المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها (الميدان العربي) ط1. بيروت: 1986، دار الغرب الاسلامي، ص 99.

– كَـ = مدّة فوقها، مغارزي في مثل: يَكَــ.ركَــر (جــرّ، أو دفــع للأمــام) YEGERGER أمكَــــر (المنجل) AMGER.

– كْـــ: علامة ١ فوقها في مثل: أوكْـــــين (أبَــواْ) – يوكْـــارد (بقــي) أكُـــوا (السحاب).

– كـــ = عَلامة فوقها، وتستبدل عند المعربين بالكاف فــي مثــل: كُـــمني (أنتِ) أكُـــال (التراب) AKAL. أكَـــفــال (الذرة) AKWBAL .

– كـــ علامة فوقها متتالية في مثــل: أمكـــار (الســارق) AMAKWAR أكـــسار (الأسفل، أو المهبط) AKWASSAR .

ونلاحظ في كل هذا أنّ الحرف واحد في كل أحواله، مع اختلاف الجهر والهمــس الذي نجم عن تأثير صوت على صــوت، ويدخــل التفصيــل فيهــا فــي الدراســات الفونولوجية، وقد وُجد مثل هذا عند علماء العرب عند بحثهم في علم التجويد.

– س TS صفيري، وفوقه حرف V الفرنسية في قولنــا: أتْــسوغْ (نســيت) ويُستعمل في الدارجة الجزائرية كثيراً، عند أهل قسنطينة والأخضرية. ش الشــــين المفخمة في مثل يشّـــــظ (انزلق) مدّة فوق الشين.

وعلى العموم فإنّ الكــاف التي اعتمدتها، وجعلتها تعبر عن أصوات أربعة هي مستعملة، وشكل واحد يرمز لأربعة أصوات، مع اختلاف بسيط ودقيق في النقط –المدّة فوق الحرف تشير إلى التفخيم–صورة V الفرنسية تشــير إلــى الهمــس– صــورة V الفرنسية فوق الحرف تشير إلى تــس.

وفي الحقيقة إنّ الأمازيغية تختلف أو تزيد عــن الأصــوات العربيــة فــي تلــك الأصوات المذكورة فقط، وهذه من السهولة بمكان أن يحصل الإجماع على الرمز الذي تدوّن بها؛ استقاءً من المقترحات المعروضة حالياً. كما أنّ هذه الأصوات ليست كثــيرة الدوران في الاستعمال. وعلى العموم فقد ذكرنا بعض الخصوصيات العامة، ونحن لسنا في صدد الحديث عن الناحية الفونولوجية بشكل خاص.

وأما الأصوات التي لا توجد في اللاتينية فهي أكثر من هذا؛ حيث لا توجد فيها: الهاء / الحاء / العين / الضاد / الزاي المفخمة / الكاف البدوية / الكاف التي تميل إلى الشين / الكاف التي تميل إلى الخاء.

8- الرصيد اللغوي: نعرف أنّ الرصيد اللغوي هو المادة الخام لأية لغة، بل هو النبع الذي تستقي منه اللغة ألفاظها، ويعرف عن الأمازيغية أنّ رصيدها اللغوي ضعيف وقليل وغير تخصصي في أبعاده، ولا يحمل صفة التجريد، كما أنّ الرصيد الحالي حسب ما تبيّنه الدراسات أنّ به 47% من الرصيد الأجنبي (مقترض) وهذه النسبة المعتبرة للعربية نصيب هام، أي أنّ نسبة كبيرة من تلك الألفاظ ذات نطق عربي أي أنّ مسألة كتابتها بسيطة؛ لأنّها تجسّد أصوات اللغة العربية.

ويذهب بعض المختصين أنّ هذه النسبة العالية هي من نصيب اللغة العربية وحدها وتضاف نسب أخرى من اللغات التي احتكّت بها، فلا تبقى إلا نسبة ضئيلة من الرصيد اللغوي الأصلي. وأمام هذا كان من اللازم التفكير في أمر الكتابة قبل أي شيء، ولأنّها مسألة مستعجلة.

9- مسألة التعريب: لا نقصد بالتعريب المفهوم العرقي، لأنّه لا أحد يجزم بأصله العرقي، فالإسلام مزج بين القبائل والأقاليم والأشخاص. وحالياً في بلدان المغرب العربي تطرح الأمازيغية كلغة وطنية ورسمية، في الوقت الذي نعرف أنّ عملية التعريب قد قطعت شوطاً لا رجعة فيه، وقد تعرّبت المدرسة الأساسية في بعض الأقطار 100% فمن صلاح التلميذ أن لا يشغل عقله بمجموعة كثيرة من الأشكال الكتابية. ولربح الوقت فإنّه يكتب هذه اللغة بنفس الحروف التي يتعلّم بها العربية، وهذا ما تؤكده الدراسات التربوية النفسية، ويضاف إلى هذا كثرة الاستيعاب والتركيز، فكلّما كان المتلقي يستوعب مادة ما بحروفها الأصلية أو بحروف متقاربة، كان استيعابه أكثر وكلّما كانت المادة التي تعرض عليه تختلف عن المادة الأولى من حيث الكتابة، يقسم جهده إلى الاستيعاب وإلى تشفير الحروف.

10- الجزائر تنتمي إلى المجموعة المغاربية، وهي من بلدان الشمال الإفريقي، ومن هذه البلدان المغرب الذي نشطت فيه الدراسات حول الأمازيغية، وهو البلد الذي لا يعيش هذا الطرح اللغوي، فإنّ الثقافة العربية هي السائدة، وأنّ الخطّ العربي يحتوي هذه اللغة في معظم أبعادها، فما أحرانا أن تتكامل أعمالنا، ونحن في الأمر مغاربة، وكلّنا تهمّنا هذه المسألة، ولتتكامل الأعمال يجدر بنا أن يكون التنسيق في هذا المجال. ويضاف إلى هذا الأعمال العلمية التي تجري في تونس حول هذه اللغات.

11- لسنا في صدد المقارنة بين الخطوط، فإنّ لغة خطّ ميزاته، ولكل خطّ صعوباته ولكنّه إذا كان لنا أن نقارن بين هذه الخطوط الثلاثة في مجال الاقتصاد على مستوى المجهود في الكتابة والورق، فقد بيّنت دراسات كثيرة على أنّ المكتوب بالخطّ العربي أقلّ تكلفة في الجهد وأكثر اقتصاداً في الورق من المكتوب بالتيفيناغ واللاتينية. وللتدليل على ذلك هذا نصّ مسجل أخذته عيّنة واستدلالاً على ما أقول.

قصة إرهابيين دخلال قرية في 11 مارس من عام 1995، ولما علمت ذلك قصدت شيخا عمره 75 سنة عاش الحدث فطلبت منه رواية القصة فوافق على ذلك، كما وافق على التسجيل فانطلق يحكي ذلك بالقبائلية. (أخذي القبائلية كعيّنة للغات الأخرى على أساس أنّها من اللغات الأمازيغية، وأنّ الفروق بينها ليست كبيرة).[18]

18- أعطيت الشريط لطالب في معهد الأمازيغية بتيزي وزو، ليجسّد تلك القصة بالخطوط الثلاثة، دون أن أعلمه المقصود من عملي كي لا ينحاز إلى أحد الخطوط من حيث التزويق أو الاقتصاد في المكتوب، وهذا هو المكتوب بخط يده.

كتابة القصة بحروف التيفيناغ

ƐƐ÷//Ɛ X•C÷ΛƐX :ꓤΦ÷// //÷ƆCX:O ʘ O÷Λ÷ +Ɛ/,

ꓘ÷ƁC÷/ Λ X•Λ•OX ⊙Ɛ/ Π÷//C÷ЖΠ÷/ ⊙Ɛ //ꓤƐΦ•

Χ•Y÷OΦƐX, X÷ΦΛ÷/Λ •ΦOƐV :R÷O:⊙; •⊙CƐ:O

X÷/ Π÷⊙Ɛ/ λ÷Λ V÷Ʌ •X X•Λ•OX, Λ:⊙÷/ X÷/

C÷ΦΛƐΛ Π÷//C÷ЖΠ÷/ /X•Λ•OX, ƆCR•/ ƆC•//-

•⊙÷/ XƐY•⊙÷Ʌ •⊙CƐ ƐΛ Ƙ÷ƁC÷/ X•Λ•OX •R÷/Ɛ

X÷Λ:/ ⊙//÷ΛꓤÆ÷//, Φ÷ΛO÷/ Ʌ÷O •⊙÷/ ⊙//÷ΛR÷//

•⊙CƐ ƐΛ ://Λ•/ VƐ X//÷C•⊙X / X•Λ•OX, X•ΦΛ÷/

X•/ Π÷//C÷ЖΠ÷/ ⊙ V÷ƆCƐO Ʌ•/•⊙÷/ Λ÷ƁO•/

//CƐ+O•X •R÷/ •VЖO÷/ •Ɓ:Y÷O ƐV O:λ÷/, :Λ

•Ɓ: X÷/, ƐΦ•/ ÷Λ ƆC÷//•⊙÷/ ƁUƐY/ Ƃ÷λ• Y÷Ɪ

•/÷ƁX÷/Ɛ ƐƁ:R÷/Π÷//C÷ЖΠ÷/ Φ÷//Ɛ ΛC÷/ ÷Λ

//÷λU•Π÷Ƶ ⊙ V•Ж÷// / //÷ΦO•/O÷/, R÷C//÷/

•ΦOƐV /O÷/. Ɛ//C÷ЖΠ÷/ OV÷ƆCƐO /O÷/ •OCƐ

V÷//ƐΦ• X•Ɓ÷OꓤƐX ЖV•X / :Φ:Y: / +OƐ OƐ+Ɛ

Π•ЖU•O •⊙÷/ //ΛƐV Ɛ X÷/ ƐΛ Ɛλ÷ΦΦ÷/, Ɛ//•

⊙÷/ /R•UƐ. :ɅƐ/ •⊙÷/Λ ƆCR÷/ //÷RU•Y÷Ɛ /•Y

/•/ Π÷//C÷ЖΠ÷/ Ƶ÷X •Y •Λ /Λ÷ΛƐ /÷R/Ɛ V

ƐΦ÷ΦOƐV÷/.

•ʘCƐ Ɛ Λ - Л÷//λ÷Ƶ //R:/ΔU• /Ɛφ÷/ ʘ÷Ϫ •x C:ʘ•,

Ɛ//C•✱Л÷/ ΦY•/ — •ʘ÷/_Λ - ƆCR÷/ //÷RU•Y÷φ-/ʘ÷/

ʘ //Ƶ:U•, ʘƐO÷: •ʘCƐ ʘ÷/_Λ - Λ÷UO÷/ ʘƐ R://

// ✱Ɛφ• - VƐ //U÷ƵX -/Ɛ Л÷φ//÷Φ :C÷✱Л•/ V÷Ϫ - ʘ÷/

•V Л÷ΦΦ÷O Ɛ ЛƐU÷/ ʘ÷Ϫ Л÷//C÷✱Л÷/, :ϪƐ/ Л÷//C:

✱Л÷/, Λ•UO÷/_•ʘ÷/, ƐCƐO÷/Ɛ Л÷ʘ:ƆC÷Y- ÷Λ :C÷✱Л

V÷Ϫ-ʘ÷/ X.ƆC÷λB:BX •C÷Λ•R÷//-Ɛʘ •//C•Y. ✱÷O•/

Л÷//C÷✱Л÷/, ƐU•XO //ΛƐV . CΦΛΛ /•/_ •ʘ Л÷//C÷✱Л÷/

/÷λ÷ʘΦ - ƐR÷/ ʘ÷Ϫ ƐЛ•Ƙ•O÷/ ƐΛ - Л÷+•ʘ÷/ Y÷O

X•Λ•O•X VƐ //U•ƵX-• Ƶ•/_•ʘ÷/ •ΦOƐV•

:O ΦΛƐV÷/ •O• ΛBO• / //CƐ+O•X ƐΦ•/ ÷Λ :+O

•R÷:O Ɛ/÷ΦO ƐX ƐΛ //C•ƵƐΛ, Rʘ÷/ ÷Λ //÷ʘ//•λ

/ʘ÷/ λ÷ΦO÷/ + ʘ//Ƶ÷U• •//C•ƵƐΛ ƐE:ΛƐ X÷/

O÷RΦ÷/ ʘ//÷Λ Ƶ÷// : //÷ʘ//•λ /ʘ÷/ V÷✱ :✱•Ϫ:O

//C•ƵƐΛ /•/•ʘ •Y X•UƐE ʘ •ΦOƐV :R÷O:ʘ•

Л÷XΦ÷Λ •Л÷/ ƐΦ Λ /•/ . CΦ•ΛΛ XΦ•/ ÷Λ "YOƵ"

X•Φ÷OƘ•/÷ C÷ΦΛƐΛ, OO÷/ ÷Λ ʘ÷✱ :÷O•R÷

:O . λ÷ΦO÷/ +, Ƙ÷BC÷/ ʘ //Ƶ÷U• , ʘ:ƆCY÷/÷Λ

//÷ʘ//•λ V÷✱ :V÷C :BƐƆC:O . :CO÷ΛΛ /:ΛƐ

[illegible]

تجسيد القصة بالحروف اللاتينية

Iḍelli tameddit, qbel lefṭur s rrwaetin, keccmen-d
taddart sin yelmezyen si lǧiha tagrbit, ṭebεen-d
abrid ukessus, asmi uṛ ten-yessin ḥed deg at tmurt,
εussen-ten mebεid yelmazyen n taddart, ffkan fell-
asen tit. Seg wasmi i d-keccmen taddart akken i
teddun s leεqel, ḥeddṛen ger-asen s leεqel.
Asmi i d-ulεan di tlemmast n taddart, ṭebεen-ten
yelmazyen s deffir zzger-asen εecra n lmitrat
akken as zren acu-yer i d-ṛuḥen u d acu-ten,
iḥsen-ed fell-asen cwiṭ n ššeḥa, yef annect-
nni i ccukken yelmazyen belli ddmen-ed lekwaγeḍ
si dduṛel n lebsa-nsen, kenmelen abrid-nsen,
ilmazyen s deffir-nsen armi d lǧiha taceṛqit
zzdat n ubuṭṭu n trisiti, yezwar-asen lεedd i kr-
i d-iḥebsen, i d-ielb-asen nkawi. Ugin-asen-d-fken
lekwaγeḍ-nsen, nγan yelmazyen zzget-ay as neεddi
nekni d imseεwiden.
Asmi i d-yelḥeq lkumbwa nnidet seg at mussa,
ilmazyen bγan-asen-d-fken lekwaγeḍ-nsen s

s lqewwa, yiṭṭer asmi sen-d ddewran si kul
lǧiha. Di lweqt-nni yedleb umezzyan deg-
sen ad yekkes i yiwen seg yelmazyen. Ugin
yelmazyen, ddawren-asen, imien-nni yessufeɣ-
ed umezzyan deg-sen tameḥcuct ameddakel-is
yessuffeɣ-ed "Almat". Xerṣan yelmazyen, iwala
Lɛid, mbeɛd nnan-asen yelmazyen: nḥess-iken
seg imekraṣen id-yettasen ɣer tussdart di lweqt-
a. Ǧǧan-asen abrid.
Ur beɛden ara ɛecra n lmitṛat ibaṛ-ed utṛakter
iwehen-it-id Lmaɛḍid, kksen-ed leslaḥ-nsen
ḥebsen-t s lqewwa, Lmaɛḍid iṭṭuɣ-iten, rekben s
leɛǧel, u leslaḥ-nsen deg uzagur Lmaɛḍid nnan-
as ay-tawiḍ s abrid ukessar. Yetbeɛ ayen i s-d-
nnan. Mbaɛid tbaṛ-ed "403" tabeṭṭant nnebaɛid,
nsen-ed seg utṛakter, ḥebsen-t, kecmen s lqewwa,
ssuffeɣ-ed leslaḥ deg wudem uṛifuṛ
Umbaɛd nnei ṭṭumubil ad tbeddel lǧiha ɣer d-
usa tettaf abrid n lwilaya n° 78 mayyu bgayet.

Nekkem s uxeddim-a seg uzal, ur d-iban
lexdar-nsen armi nwala ṭṭumubil mbaɛd
tuγal-ed, ziγemmi d ṭṭumubil n "Lḥusin" ḥebsen-
t ad tt-yawi s asif asemmaḍ, dinna ufan-en
in eddukal-nsen ttraǧun-ten, umbaɛd sellben-as
smaḥ nnan-as khebber ijedarmiyen.

تجسيد القصة بالحروف العربية

إظلي ثمديث ١٠ أقبل لقطور سساعتين - كشمند ثلارث
سين يلمزين سي الجهة ثاغربيث . ثبعاند اوزيد
اذكروسه ، أسمي اوربثنيبسينا حنْ ذاقاث نتموريث
عوسنتان مبعيد يلمزين أنتادارث أفكان فلاسن ثيط
سكسمى اذكشمان ثادارث أكني ثدون اسلعقال ، هدان
عمرا سن أسلعقال

أسمي أدولعان ذ يثلماست أنتدارث ، ثبعنتان يلمزين
سدّفير اجانيس عشر المترث آثان أ ذزرن أشغار إيرومان
اوذا أشوتان ، إيفانن فلاسن أشويط رضحا ، غفأنتشث
إشكّنا يلمزين بلّى اذ ما ثنّد لحوايج از ذاخل الفسانيسا ، كمدن
اغريسه انسان . إلمزين زفير نسان ألمي ذالجهة ثاشرقيث
أ زداث نتريسيتي - إيزوراسن العيد اثنّد يحبسن إيظلقاسن
اثكاوكا ، اوقبل اسند فكان لكواغظ اسان ١٠ اثان إلمزين
اجثاغ انغلاى ثكني ذ يمسفريان .

أسمي ذالحق الكو نقوا أنيضان سيفا ثوسى . إلمزين
اقمّان اسند فكان لكواغض انسفا سلقواء سورثواسمي
سندوران سي كراجهة - ذى الوقت أقتّى يطلب اومزيان
ذ يسن أذ يحضار إيبوان كالمزيان ، اوقبل يلمزين
ذورنا سفت - إيماري يسوقغاد اومزيان ذ يسنا ثامعتوشت

أمداكليس يسو ففاد ألماظ، خزّان إلمزيت، إيوا غار العيد، اومبعد ينا يسانا يلمزينا: نحسڤبكن سي امكّارن ايد يتاسن غارشادارث ذي الوقت آ. أماناسان أفريد.

أورفحيدان أراعشر ألميترات إبڤانا اوترآكتور أينهريثيد المجيد، أكهشد أسلا حنسان حبسنت سلسقوا - ألمجيد أيظو غيثن. ركين آسلا عجيل، أوسلا حنسان ذاكرا غورالمجيد - أثاناسا أخثاويضن سامريد أركسار، يذبع أيانا ايسدنان، اومبعد أثڤاند 48 ثافركانث مجيد، أرسناد سو ثتراكتور حبسانث، كشمن سلسقوا، سوفغناد أسلاح ذاڤودوم أرشيفور - أومبعد نوعن الطوموبيل أثغد إلاالجهة غار سدوسا، ثطفا أفريد ثلويلايا نيمرو 78 مايو اڤتابيث.

نوهي سو أحديم ذوكذ إل أورديڤان أرالخبار أنسنا ألمي اولا الطوموبيل أمّ أمبعد الساعة نوغاله زيغ أنّ ذا الطوموبيل ثلحسين نثمكلى حدمانت أثنيان جاسيفا إصماضن، ذينا اوفاثنا إيمدوكالنفسان أثرجونتان أمبعاد ظلبناس اسماح، أناناس خبَر إيجادرميان

وهذا ترجمة بالعربية للقصة:

مساء البارحة، وقبل الإفطار بساعتين، دخل القرية شابان من البوابة الغربية وسلكا الطريق المعبّد، ولمّا لم يُعرفا من أهل القرية راقباهما عن بعد وراقب الشباب مسيرهما من أول خطوة وضعاها في القرية، وهكذا دخلا القرية يسيران بكل تؤدة ويتبادلان الحديث بينهما مطمئنين.

ولما ولعا وسط القرية، تبعهما الشباب على بضعة أمتار؛ لتقصي أخبارهما ومعرفة من يكونا، وقد بدا عليهما بعض السمنة، وذلك ما جعل الشباب يشكون في أنّهما يحملان أشياء داخلية، وقد واصلا مسيرهما، والشباب وراءهما حتى المخرج الشرقي وأمام ذلك العمود الكهربائي أوقفهما الشباب واعترض العيد طريقهما طالباً منهما تقديم أوراق هويّتهما، وهنا رفضا تقديم ثبوتّ هويّتهما وقالا لهم: نحن عابرا سبيل، تنحوا عن طريقنا.

ولمّا لحق بالشباب جمع آخر من ناحية آثموسى أخذت شبابنا العزّة بإجبارهما تقديم أوراقهما بالقوّة، بعد أن أحاطوهم من كل جانب. وفي تلك اللحظة طلب الصغير منهما التحدّث إلى فرد من أفراد الشباب ورفض الشباب ذلك بعد أن ضيّقوا عليهما، عند ذلك أخرج الصغير منهما محشوشته وزميله أخرج كلاشينكوف، فبهت الجمع، وتأخر العيد الذي اقترب منهما، وإثرها قال لهم الشباب: كنّا نظنّكما من السرّاق الذين يأتون قريتنا في مثل هذه الأوقات، فخلوا سبيلهما.

لم يبعدا إلا عشرة أمتار إذ بجرار يقوده مجيد، فانبرى شاهرين سلاحهما وأوقفاه بالقوّة، فما كان عليه ألا أن يستجيب لأوامرهما بعد أن ركبا على عجل وسلاحهما في ظهر مجيد، وقد أمراه أن يأخذهما إلى الطريق الأسفل. أسرع مجيد في تنفيذ أوامرهما وأخذهما إلى الطريق الأسفل، إذ بسيارة 304 سوداء تظهر عن بعد، فينزلا من الجرار ويوقفاها، ويدخلاها بكل عنف، ويشهرا السلاح في وجه السائق إذ بالسيارة نشاهدها تغيّر اتجاهها سالكة الطريق الولائي مشدالة بجاية.

دهشنا من هذا التصرف في وضح النهّار، ولم نتبيّن الخبر إلا بعد أن اهدنا نفس السيارة تعود بعد ساعة، فهي سيارة حسين الذي أرغموه على أخذهما إلى الوادي البارد أين وجدا أصحابهما في انتظارهما، وقد شكرا تعاونه معهما، وأشارا عليــــه أن يخـبر الدرك الوطني.

ماذ نستنتج من الخطوط الثلاثة التي دوّنت بها القصة؟

1- عدد الصفحات لحروف التيفيناغ اثنتان ونصف، بـــ 47 سطراً.

2- عدد الصفحات للحروف اللاتينية اثنتان ونصف، بـــ 44 سطراً.

3- عدد الصفحات للحروف العربية صفحتان، بـــ 37 سطراً.

هذا على مستوى الظاهر. فماذا على المستوى غير الظاهر؟

أ- الخطّ التيفيناغي هو أكثر الخطوط الذي يجسّد أصوات الأمازيغية، لـــو كـــان انتشاره على نطاق واسع، وهذا الخطّ لا نقدح فيه لأنّه لم يخضع للتطوّر كما رأينا، بـــل هو من خصوصية هذه اللغة، فلا مفرّ منه شرط أن يتحسّن في الكتابة، إلا أنّه أصعـــب تشفيراً في هذه الظروف الذي يجهله أكثر الدارسين للغة الأمازيغية، وعهدي في تدوين هذه القصة أنّي عانيت من يسجل لي هذه القصة بالتيفيناغ، وفي معهد الأمازيغيـــة فـــي تيزي وزو بالذات. وهذا ما يجعل التهرّب من اعتماده حرف اللغات البربرية في هـــذا الوقت.

ب- الخطّ العربي يأتي في المرتبة الثانية في تجسيد أهم الأصوات، ويضاف إلى هذا أنّه المعبّر الحقيقي عمّا يعايش في الواقع الصوتي واليومي.

ت- الخطّ العربي أقلّ تكلفة في الكتابة، من حيث حجم الورق. فتجسيداً للقـــانون اللساني Loi du moindre éffort نجد أنّ أكثر الأصوات يمكـــن تجســيدها علـــى لســان المعرب، ويضاف إلى هذا أنّه أقلّ كلفة من كل الخطوط. ولكن لا يعني هذا أنّه أحســـن الخطوط. وعلى العموم يلاحظ في هذا المجال أنّ الحرف العربـــي يجســد الأصــوات الأمازيغية تجسيداً صحيحاً سهلاً بتكييف بسيط جداً.

ث- الخطّ العربي أكثر إيجازاً من حيث حجمه وكتابته وحركاته، ويتمثّل ذلك في:

ث/1- حجم الحرف العربي مفرداً يقلّ في كثير من الحالات عن حجم الحرف اللاتيني.

ث/2- الكتابة العربية العامة لا تعني بكتابة علامات الحركة، على عكس اللغات اللاتينية، ومؤدى هذا أنّ حروف أية كلمة عربية تختزل بمقدار نصفها إذا روعي تعداد علامة الحركة لكلّ حرف.

ث/3- الحركات في العربية لا تأخذ حيّزا داخل النصّ، وإنّما فوق أو تحت الحرف فإنّها لا تشكّل طولاً. ومن هنا يقول محمد شوقي أمين "والحقيقة التي تنبثق من هذا بوضوح تام أنّنا لو كتبنا نصاً أجنبياً في نطق أجنبي بحروف عربية على طريقة الكتابة العربية، لما شغل إلا نصف المساحة التي يشغلها في الكتابة بالحروف الأجنبية على طريقة الكتابة الأجنبية، وربّما شغل أقلّ من نصف المساحة، وذلك نتيجة منطقية لمعادلة طرفاها كتابة عربية مختصرة بطبيعتها، وأخرى مطولة بأوضاعها"[19].

ث/4- لا تستعمل العربية كثيراً من المختصرات نطقاً مثل اللاتينية لأنّها مختزلة جداً. وفي هذه النقطة يعود الباحث ليذكرنا بالترجمات التي حدثت للكتاب المقدس وبعض المواثيق العربية والدولية فيقول:

"أولاً: (الكتاب المقدس) في لغاته المختلفة، ومن بينها العربية، وفي ترجماته المتعددة التي لا تعد عملاً فردياً يناقش فيه. فإنّ أية فقرة منه بأية لغة من اللغات إذا عدت كلماتها وقيست مساحتها طولاً، كانت ترجمتها العربية المعتمدة في عدد الكلمات أقلّ، وفي المساحة أقصر.

ثانياً: المعجمات الثنائية للغة العربية وما يناظر كلماتها في لغة أجنبية أخرى وسيبدو للناظر المتصفّح أول وهلة أنّ الكلمة العربية أو الجملة العربية على وجه الإجمال -إن لم نقل على وجه التعميم أو التحديد- أقلّ في الحروف، وأقصر في الحيّز.

19- محمد شوقي أمين "العربية أوجز عبارة وأخصر كتابة" مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. القاهرة: 1970، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، العدد 26، ص 33.

ثالثا: بعض الكليات العلمية في الجامعات وبعض معاهد التعليم يعنى بأن تقدم أسئلة امتحاناتها باللغتين العربية والأجنبية، ويلاحظ الناظر في الصفحتين المتقابلتين أنّ الكتابة باللغة العربية أقلّ سطوراً، وأصغر حجماً، مع ملاحظة ما يراعى من دقة الترجمة في هذا المقام.

رابعاً: يمكن الاستشهاد مع ذلك بنحو:

أ* ميثاق جامعة الدول العربية في نصّه العربي وترجماته الأجنبية.

ب* ميثاق هيئة الأمم المتحدة في نصوصه الأجنبية والعربية.

ج* مصطلحات المؤتمرات والمنظمات الدولية باللغات الأجنبية وترجمتها العربية التي أقرّها (مجمع اللغة العربية).

د* المعجم العسكري الذي تشرف عليه (جامعة الدول العربية) في لغاته المتعددة ومن بينها العربية"[20].

ج- الخطّ اللاتيني لا يجسّد كل أصوات اللغات الأمازيغية. والبعض منها يجسّدها في رسمين. كما أنّه ليس اقتصادياً قياساً بالحرف العربي.

وعلى العموم نلاحظ أنّ الخطّ العربي يأتي بعد الخطّ التيفيناغي في تجسيد أصوات الأمازيغية، وأقلّها جهداً وتكلفة.

ويمكن أن ندعم هذا بترجمة نصوص مكتوبة بالتيفيناغ، إلى الحرف العربي، ثمّ اللاتيني. فلقد عملت على ترجمة بعض النصوص، وتوصلت إلى نفس النتيجة التي سجّلنا بها القصة الآنفة الذكر، ولم أر ضرورة إدراجها هنا لأنّ النتيجة واحدة. ولكن يمكن العودة إلى مجلة التيفيناغ TIFINAGH وهي مجلة الثقافة وحضارة الشمال الإفريقي الصادرة في الرباط عن دار تيفيناغ للنشر . نجد في بعض أعدادها ترجمات عن اللهجة

20- محمد شوقي أمين "العربية أوجز عبارة وأخصر كتابة" مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. القاهرة: 1970، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، العدد 26، ص 33-34.

الشلحية أو اللهجة الريفية فتخلص الترجمات تقريباً إلى نفس النتيجة، وهي أنّ الحرف العربي أقلّ اقتصاداً في المكتوب.

11- الخطّ العربي لم يكن حكراً على العرب، فقد تجاوز حدود الدول العربية إلى أقصى آسيا وبلاد روسيا وأوربا، ووصل أن كتبت به 300 لغة في عصر ازدهار الحضارة العربية، وكان أن أنتج بتلك اللغات تراث الإسلام من قرآن وسنّة وفقه وتصوّف وأدب وفنون كلّه مدوّن بالعربية، أضف إلى هذا الرؤية الحضارية للإسلام؛ والتي جعلت الشعوب الإسلامية تعتمد الحرف العربي في كتاباتها. بل ربّما السهولة التي يتميّز بها الحرف العربي ومرونته التي تطوّعه لأن يتجسّد الحرف في أي لغة. وحاليا بعد التنميط الذي حصل في ميدان الآلية، ومع دخول العربية حظيرة اللغات الحيّة ولغات الاستعمال العالمي، هناك ترشيح لغات جديدة -خاصة اللغات الإفريقية- لتبني هذا الخطّ من جديد.

12- نظام تعامل الحرف العربي مع النظم الأخرى كتابياً؛ حيث إنّ الحرف العربي يتوفّر على أكثر من بديل، وذلك حسب كونه منفصلاً أو متّصلاً وحسب موقعه في الجملة، وقابليته الواسعة لوضع النقط فوقه أو تحته، ومرونته التي تجعل منه حرفاً له أكثر من توسّع، كما أنّ الحرف العربي له تجربة كبيرة في هذا الميدان. وفي الإحصائيات الأخيرة تقول إنّه مازال لحد الآن أكثر من 37 لغة عالمية تدوّن بهذا الحرف، أضف إلى هذا الجهود التي تبذلها المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الأسيسكو) في إدخال الحرف العربي في اللغات الإفريقية، وهذا في إطار كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف العربي المنمّط لتمكين لغاتها الشفوية الخروج من العزلة ومساعدتها على محو الأمية.

وفي هذا الصدد عملت الأسيسكو[21] على تجسيد مشروع (بريدا)[22] والخاص باستعمال الحرف العربي في مكافحة الأمية في إفريقيا، وهذا منذ عام 1984م.

21- عملت الأسيسكو في البداية على:

* صقل الحرف العربي وتطويعه لكتابة كل لغات الشعوب الاسلامية المتعددة.

** المحافظة على التراث الحضاري للشعوب الإسلامية، وتنمية لغاتها وثقافتها حتى تساير التطورات العصرية.

*** ربط لغات الشعوب الإسلامية بعضها ببعض من خلال اتّخاذها لحرف واحد وهو الحرف القرآني.

**** محاربة الأمية من خلال تطوير لغاتها، وفق المنظور الثقافي المتّسق مع دواعي الهوية والذاتية ووفق المنهج التربوي الحديث.

22- أسفرت كل النتئج على تنميط اللغات التالية:

- **الهوسا:** وهي إحدى اللغات الوطنية الثلاث في نيجيريا.
- **الولوف:** وهي لغة يتحدث بها سكان حوض السنغال إلى الضفة اليمنى لنهر غامبيا والمنطقة تشمل ثلاث دول ثلاث: موريتانيا / السنغال / غامبيا.
- **السوننكي:** من لغات النيجر والكونغو، كما ـكلم بها قطاع من السكان الساكنين في مالي والسنغال وغامبيا وموريتانيا.
- **صنغي/** زرما: يتحدث بها ما نسبته 28% من سكان النيجر.
- **الماندنكة:** لهجات منتشرة في إفريقيا الغربية من السنغال إلى النيجر، ولها تسميات أخرى مثل: بامبرة في مالي، ماندنكة في السنغال وغامبيا،ماننكة في غينيا وديولا في بوركينافاصو.
- **بولار / فلفدي:** لغة سكان نهر السنغال غربا إلى ما وراء حدود تشاد شرق.
- **القمرية:** اللغة المتحدث بها في القمر.
- **الصوصو:** فرع من فروع الماندي، يتكلم بها في غانا.
- **اليوربا:** يتكلم بها في النيجر، والإقليم الغربي لنيجيريا.
- **التماشق: لغة الطوارق أو التوارق، بدو الصحراء، وهم يسيطرون على طرق هذه الصحراء وواحاتها، وتمتد مضاربهم عبر الحدود الحديثة في كل من ليبيا والجزائر وموريتانيا ومالي والنيجر ونيجيريا وبوركينافاصو وتونس، وهم أكثر ما يوجدون في النيجر؛ حيث يشكلون نسبة 10% من سكان البلاد البالغ عددهم 6 ملايين نسمة. بل**

وكخلاصة في هذا الأمر نرى أنّ القضية الآن هي مسألة الصراع بين العربية واللاتينية، فإذا كان المكتوب باللغة الأصل ينبئ عن الهويّة الحضارية، فإنّ التيفيناغ هو خير من يجسّد هذه الهويّة، وإذا كان ولابدّ من بديل نظراً للمعطيات العلمية، وللتأخّر الذي شهدته هذه اللغة، فإنّه يجدر بنا أن نقول:

أولاً: إنّ الصراع اللغوي من مسلمات العصر، لكن لا يعني الصراع إلغاء الغير ومتى كان ذلك كذلك لا تُجنى الفائدة منه، وأنّ الالتجاء إلى اللغة الأقوى أو الأكثر علماً ليس حلاً، فاللغة يفرضها مجموع الشعب، فيجب أن نتعلّم كل لغاتنا، وبلغاتنا نمارس وجودنا الثقافي، ولا يعني ذلك الاستلاب اللغوي، أو الهيمنة على اللغات الوطنية، لكن تكون هناك لغة واحدة للتلقين، والانفتاح على ثقافاتنا في مختلف أبعادها، مع الاحتكاك التام باللغات العالمية، وهذا لمسايرة مستجدات العصر.

ثانياً: إنّ التعدّد اللغوي أو الازدواجية اللغوية من ضروريات التعايش العصري ومعطيات العلم، لكن لا يكون ذلك على حساب اللغة الوطنية، ولا يكون ذلك مدعاة إلى الثنائية اللغوية في الاستعمال في الحُكم السياسي، لأنّ ذلك يؤدي إلى قلب موازين الحكم، وإلى الصراعات الطائفية. فوحدة اللغة لابدّ منها دون الانغلاق على ذاتها

هناك من يربط أصول هؤلاء التوارق بأهل زنجبار وعُمان (الإباضيون) للتشابه الكبير بين لغاتهم وعاداتهم.

والطوارق مزيج من البربر، وسكان الصحراء القدماء والمرابطين، برزوا في التاريخ حينما تحالفوا مع بني هلال في حروبهم مع الموحدين، وحينما سيطروا على تنبكت لبعض الوقت في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي. تنتمي لغتهم إلى المجموعة الحامية؛ التي تشمل لغات إفريقيا الشمالية والشرقية، وتلتقي مع اللغات السامية في خصائص عدّة.

ع / مصطفى أحمد علي "كتابة لغات الشعوب الاسلامية بالحرف القرآني المنمط مجلة الأسيسكو، عدد الإسلام. الرباط: 1984، ص 63 ومابعدها.

وخاصة التعدّد الداخلي للغات الوطنية، وليس من المانع أن تتعدّد اللغات الوطنيـــة فـــي البلد الواحد (التعدّد الضيّق).

ثالثاً: إنّ مسألة الانتماء الحضاري[23] يفرض نفسه بقوّة في هذا الوقت والانتمـــاء يعني الانتساب والزيادة والكثرة. كما أنّ الهويّة تتحدّد مـــن خـــلال مجمـــوع الســـمات المرتبطة بمجال التاريخ، والتي تميّز شعباً أو أمة أو حضارة، ويضاف إلى هذا مســـألة الخصائص الثابتة أو النسبية. ويمكن إبراز خصائصنا في ثلاث نقاط، وهي: الأمازيغية والعروبة والإسلام. والحضارة كما حددها مالك بن نبي ت1973م هـــي نتـــاج تفـــاعل الإنسان مع التراب مع الزمن بدافع من دين يدين به، ومن هنا تتحدّد الهوية بالانتماء إلى الموطن واللسان والعقيدة والحضارة، وذلك ما يعبّر عن نظرة علمية للواقع القـــائم، ولا يحاول القفز على أية حقيقة كانت.

ومن الواضح والمعروف أنّ العالم ينقسم إلى مجموعتين كبيرتين:

* **المجموعة الغربية**؛ وهي الكتلة الغربية المسيحية.

23- نعرف أنّ العالم تتقاسمه خمس حضارات، وهي:

1- الحضارة الفارسية، فنحن بعيدون عنها.

2- الحضارة الهندية، وكذلك نحن بعيدون عنها.

3- الحضارة الهيلينية، وبعيدة كل البعد عنّا.

وهذه الحضارات الثلاث اثّرت فيها الحضارة العربية الإسلامية بشكل لا مثيل له.

4- الحضارة اللاتينية، وهذه الحضارة لا نمتّ لها بصلة بتاتاً.

5- الحضارة الشرقية. وتلك حضارتنا، وهي حضارة الإسلام، ولغات الإسلام، فإنّـــه تحـــدّد موقعنا من هذه الحضارات، فلا يجوز التفلسف في أمور هي محـــدّدة ومعـــدّة. بـــل أن نتحدث ضمن فعاليات هذه الحضارة فذلك جيّد وممكن: كيف يمكن تفعيل هذه الحضارة بعد هذا الركود الذي عرفته؟.

تنصّ الدراسات الاستشراقية أنّ اللغات التي لا يتكلّمها أكثر من 80 مليون شخص لا محالـــة فإنّها ستنقرض. وأمام هذا فأين محلّنا من العولمة المتوحشة القادمة (الأمبريالية اللغوية).

**** المجموعة الشرقية؛** وهي الكتلة الإسلامية.

ومن هنا أنطلق لتحديد الانتماء بهذه الأسئلة الثلاثة:

1- من نحن؟

2- وما هي هويّتنا؟

3- كيف نواجه المستقبل؟

1- نحن الأمازيغ الشعب الذي ينشد الحرية منذ وجوده على الأرض، وقد شحّنته مختلف الأزمات بالثورات ضد الظلم، وثرنا على المستعمر الروماني والوندالي والفينيقي، والبيزنطي، وقاومنا العرب ثمّ رضينا بالإسلام ديناً، وباللسان العربي لساناً.

2- ممّا لا يمارى فيها أنّ هويّتنا تظهر في الموطن واللسان والعقيدة والحضارة وهنا لا يمكن أن نقفز فوق تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ذات المصدر الإلهي، فهي التي أقامت لنا كياننا الحرّ والإسلام لم يحارب اللغة أو الهوية، بل طرد الغزاة والوثنية وفتح للأمازيغي باب البحث عن اختيار حر.

كما أنّ الإسلام لم ينكر ما أثبته التاريخ بأنّ الأصل أصل، والفرع فرع، والإسلام هو الذي علّمنا التمسّك بالإنيّة التي تعطي مستوى النديّة. كما أنّ التوازن الذي يعيشه الإنسان الجزائري؛ توازن الإسلام، وقيمه، والانفتاح الرحب على الحضارات واللغات. والمهم بالنسبة لنا أن يكون التمييز بين الثابت من المتحوِّل، والأصيل من الدخيل. وبهذا يمكن التمييز بين ما هو دخيل مرفوض، وما هو دخيل مقبول.

3- يجب أن نعلم أنّه لا مكان للحيتان الصغيرة إلا إذا تكتلت، والتكتل يؤدي أن نواجه المستقبل باستغلال هذه الهوية التي تتأثر بتأثير التلاؤم مع ظروف المجتمع وتطوّر العصر، وهكذا الإنسان البربري ليس نمطياً لا يتأثر بحركة التاريخ أو تغيّر الزمن (لقد تشكّل عبر الزمان) وما يزال قابلاً للتشكّل، لكنّه مرتبط بقيمة الحركة وبجذوره الذاتية، وبواقعه الحي، وبرؤى المستقبل. ومن الحقائق في هذا المجال أنّه لابدّ من التخطيط التربوي؛ الذي يجعل البداية في كل تكوين اجتماعي هي الأخلاق والقيم في المدرسة قبل كل شيء، بل هي الطريق لفهم الأصالة والهوية والانتماء. وفي هذا المجال

نؤكد على إعادة تخطيط السياسة اللغوية، مراعاة للخصائص التي تتوفّر عليها بعض المناطق.

سؤال يعود، **ما هي هويتنا** التي ندخل بها هذا العالم، ونحتلّ موقعنا في ساحته؟ وهذا هو السؤال الهام. فهل يكون انتماؤنا إلى المجموعة الغربية، وهل نملك تلك المقومات التي نتطبّع بها في تلك المجتمعات. أو ننتمي إلى المجموعة الشرقية (الإسلامية) وهل لنا مقومات هذه المجموعة ومن هذا الانتماء في الحقيقة أو ذاك نكسب الهويّة.

وعلينا الاعتراف بالواقع، لأنّ التفاعل الإيجابي بين البربر والعرب تطلّب منّا مواجهة المستقبل معاً، ومسألة الأعراق مسألة يصعب البتّ فيها أمام التمازج الحاصل بين الشعوب قاطبة، ومن هنا تكون المواجهة بالعمل، لأنّ البقاء للعامل، والتبعية للخامل. وهذه الأمور التي نبحث فيها لا تطرح على مستوى الشعوب المتقدمة التي اندمجت فيما بينها رغم التباعد الديني واللغوي بينها (أوربا بلا حدود مثلا) لكنّها تطرح عندنا بشكل حاد، أليس من باب الغيرة أن نبحث في فضح مخططات التنصير باسم استعادة الهوية الأمازيغية، هي الأجدر الآن أن نعطي لها أهمية قصوى.

ومن المعروف أنّ كل حضارة تعبّر عن هويات واضحة، وأنّ الحضارة الغربية حضارة بعيدة عنّا قلباً وجسماً، وهي التي أثارت النعرات القبلية باسم الحضارات القديمة، والتراث القومي للشعوب، وأكبر سبّة أن تنتسب إلى مجتمع لا تحمل محدّداته وصفاته الجوهرية، وقد جربنا الاستعمار الذي يستهدف سلب الهوية ويستهدف تغيير الخريطة السياسية، كما أنّه لا يترك لك حرية التفكير، بل يشدّك إلى ما يريد أن تفكر فيه، ثمّ لا يمكن أن يقبلك بسهولة إلا على أساس أن تكون العبد الذي يُؤمر فيطيع (الانسلاخ عن الإنية والذاتية).

وعلى صعيد دائرة الحضارة الإسلامية التي تربط عدة أمم برباط العقيدة والحضارة التي تصنع من ضعف المسلمين قوة، كان انتماء الأجداد، مهما وقع من

صدام، فهل يمكننا أن نفصل تلك العروة التي وثّقتها الحبال المتينة: الإسلام - اللغـــة - التاريخ ؟! ولا شكّ أنّ الإسلام هو صمام الأمان.

5 – الأمازيغية لغة وطنية ورسمية

مدخل:

كان علينا أن نعرّف بهذه المصطلحات كي لا يلتبس الأمر على القارئ:

1-اللغة الوطنية: من وَطَن و وطّن توطيناً، وطّن اللغة: جعلها في أرضها وطنية يحكى بها. و**التوطين**: يراد به أن تكون هذه اللغة لسان حال السكان الذين تشملهم الرقعة الجغرافية التي تقع في الامتداد الجغرافي للجزر اللغوية التي تتواجد فيها هذه اللغات.

2- اللغة الرسمية: من ترسيم اللغة..و**الترسيم**: أن تأخذ هذه اللغة بعداً دستورياً يحميها من التهميش والإقصاء؛ هذا الترسيم يعطي لها كل ما يتعلّق بالبعد التاريخي والوطني والقومي والعلمي والعالمي.

3- لغة التدريس: من درّس تدريساً. و**التدريس**: أن تكون لغة التدريس؛ حيث تنال نصيبها في المنظومة التربوية. حيث تكون اللغة قابلة للتعلّم وتشمل مجموعة من تقنيات التحكّم فيها ومهارات يتوجب اكتسابها.

إذن تطرح حاليا مسألة **توطين وترسيم وتدريس** هذه اللغة، على اعتبار أنّ وجودها ملغى، وقد حان الوقت لتصحيح التاريخ، فمادامت الهويّة[1] الوطنية هي: اللغة

1- محددات الهوية تكون بما يلي:

* العقائد والتصوّرات، فلا يعقل أن نرجع إلى عقائد ما قبل الإسلام.
* الموازين والمعايير والشرائع تستمد إذاً من الإسلام.
* السلوكات والأعراف والتقاليد.

والهوية التي نسعى إليها هي التي تعمل على إحياء الثقافة الوطنية الموحِّدة للتاريخ والرؤية الحضارية الواحدة التي تشكل الوعي العام، وهي التي تعمّق الإحساس بالوطنية وتضيف إلى خبرات الماضي خبرات الحاضر. وهكذا تتجسّد الهوية في الثوابت الوطنية التي يجب تقديسها.

والتاريخ والعقيدة والأرض والمعالم المشتركة، كان من الضروري أن تستعيد هذه اللغة مكانتها في بلدها، ويصاحب هذا الطرح مسألة اللغات الأجنبية على اعتبار أنّ **الفرنسية والعربية** لغتان أجنبيتان في الجزائر.

اللغة الأجنبية في عرف الديداكتيكيين هي: اللغة الثانية التي يتعلّمها الفرد بعد لغته الأصلية؛ والتي تهدف إلى تأهيل المتعلّم للتمكّن من وسائل التعبير بها، ومعرفة الأدب والثقافة، وتنمية التفاهم الدولي، واكتساب المصطلحات الفنية والعلمية والمهنية. وتتميّز اللغة الأجنبية عادة بطرقها الخاصة في التعليم والمستويات التي يُعمل بها، ليسهل تعلّمها في ظرف زمني قصير.

وقد يحصل أن تُتّخذ اللغة الأجنبية في بلد ما لغة رسمية، مثلما هو جارٍ في السنغال، وكثير من البلدان الإفريقية، وفي أمريكا اللاتينية (أمريكا الأسبانية) وتدخل عند ذلك في العرف الوطني. وفي الولايات المتحدة حيث قَبِل هنود أمريكا اللغة الإنجليزية، فعملوا بها، وأقاموا حضارة كبيرة حتى تركوا لغتهم، وبمرور الزمن جعلوها لغة وطنية ورسمية، ولم ينظروا إليها على أنّها لغة الوافد الأجنبي، وفي حروب أمريكا عملوا على طرد الإنجليز باعتباره مستعمراً، ولم يعملوا على طرد لغته التي أصبحت جزءاً منهم.

ومن هنا كان من اللازم العمل على إزالة اللبس في هذا الجانب، فما هي اللغة الأجنبية من هاتين اللغتين؟

الفرنسية: لغة البلاط، أو لغة جزيرة فرنسا، نشأت من تزاوج اللاتينية الشعبية ومختلف اللهجات الكلتية سنة 1539م، حيث أصدر فرانسيسك الأول مرسومه باعتبار هذه اللغة هي الرسمية والوحيدة، ثمّ جسّدها ألويس الرابع عشر بقوة في عهد الملكية المطلقة على حساب اللغات القائمة آنذاك. وهي حالياً لغة بلد فرنسا، وكثير من المستعمرات الإفريقية، وبعض أجزاء من بلجيكا وسويسرا وكندا وبعض الجزر والأرخبيلات. عرفتها الجزائر مع الغزو الفرنسي لشواطئنا واحتلال الجزائر منذ سنة 1830م.

وفي العرف الثقافي والاجتماعي عندنا فإنّ الفرنسية لغة أجنبية عن المجتمع الجزائري؛ لأنّها تَرِكَة استعمارية تعود إلى عهود الاحتلال الفرنسي، وعمرها في الجزائر لا يزيد عن القرن والنصف. جاءت عن طريق القوّة والقمع وإلغاء الشخصية الوطنية، علماً أنّ فرنسا استعمار روحي قبل كل شيء، ومن مميزات هذا الاستعمار أنّه يلغي كل شخصية في الإنسان؛ بحيث يجعله يذوب في ثقافته هو، وينسى ثقافته وأصالته.

ولقد تعمّقتْ هذه اللغة في المجتمع الجزائري بعد قرن و 30 سنة من الاستعمار ثمّ زادت استفحالاً في السنوات الأخيرة نتيجة التقهقر الذي عرفته اللغة العربية، وبسبب سياسة التعريب الفاشلة التي لقيت بعض المعارضة غير الصريحة في الشارع، ومن قبل بعض الإطارات الكفأة، والغياب التام للأمازيغية من كل دواليب الحياة.

ويرى بعض المثقفين أنّ الفرنسية لغة المكسب، ولغة العلم والتكنولوجيا، ومعطى ثقافي لا يمكن إلغاؤه، رغم محدودية انتشارها[2]، فالأحرى المحافظة عليها لأنّها وسيلة دخول الحضارة رغم تخلّفها علماً ورتبة عن اللغات العلمية الثقافية[3]؛ إذ تحتل المرتبة الخامسة علمياً حسب نشرة اليونسكو لسنة 1995م.

2- توضح مختلف الدراسات الأكاديمية والملاحظات الأخرى الانحسار الدائم للغة الفرنسية في الجزائر، إذ تشهد تلك الدراسات أنّ الفرنسية مجسّدة كثيراً لدى المسؤولين، وعند أهل الشمال على وجه الخصوص. والانحسار يلاحظ يومياً في الجنوب والصحراء. ويعود هذا الأمر إلى عوامل كثيرة، ومنها:

- العامل الديني.
- العامل النفسي.
- العامل الاجتماعي.

3- تشير الدراسات العلمية أنّ الانحسار جلي بشكل كبير في اللغة الفرنسية في بلادها والبلدان المستعملة لها؛ حيث تبيّن أنّ منشورات المركز الوطني للبحث العلمي CNRS تنشر بالإنجليزية. وأشهر صحيفة فرنسية هي تلك التي يصدرها معهد باستور تصدر منذ سنة 1989م بالإنجليزية. إضافة إلى عجز البحث العلمي بالفرنسية أمام اللغات

ولقد كانت الفرنسية في الجزائر قبل الخمسينيات، وأثناء حرب التحرير لغة النخبة وتمكّنت بقوّة في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال؛ حيث امتازت بوضع خاص رشّحها لأن تكون لغة المحيط، ولغة البيت عند بعض الأُسر الغنية، كما أنّ الوضع اللغوي جعلها تكون لغة الإدارة والمعاملات الرسمية وغير الرسمية، بل إنّ كثيراً من المواثيق والمعاهدات والاتفاقيات تدوّن بها، أضف إلى ذلك أنّها لغة المعاملات الدولية ولغة الاقتصاد في البلد، رغم أنّ العربية هي اللغة الرسمية التي ينصّ عليها الدستور. ولقد انزوت العربية في مجال المعاملات الاجتماعية العامة، والفرنسية لغة الرسميات وما يتعلّق بحيثيات الرقي.

العربية: لغة وافدة من الجزيرة العربية، مع دخول الإسلام شمال إفريقيا، ويعود تاريخها إلى أكثر من خمسة عشر قرناً، وهي لغة الدين الإسلامي، دين هذا البلد، وقد قَبِلَها أجدادنا، وعملوا بها بل تعلّموها حبّا في الدين الإسلامي، وقد عملوا على تعليمها في بلدهم، وخارج بلدهم وهم الذين نشروها في جزيرة إيبيريا. ولقد أهّلها الأندلسيون والمغاربة لتكون لغة العلم؛ حيث بحثوا وطوّروا أساليبها الصرفية والنحوية والعلمية حتى أصبحت لغة راقية في عصرها.

وفي العصر الحاضر هي لغة الجمهور العريض من المجتمع الجزائري، واللغة الرسمية التي أقرّها الدستور منذ الاستقلال، وقد تمّ تعريب كل مراحل التعليم العام في الأساسي والثانوي وفروع العلوم الإنسانية في الجامعة. ومع كل هذا فإنّها لغة رسمية في الأوراق فقط؛ لأنّ الفرنسية مازالت تزاحمها في كل المجالات، ومازال العمل بضرتّها في مناحي شتّى، وخاصة في المجال الاقتصادي.

ومن خلال هذه المقدّمَة هل يصحّ إطلاق مصطلح **اللغة الأجنبية** عليهما، أو على أحدهما؟ الجواب: يصحّ اعتبار الفرنسية اللغة الأجنبية في هذا البلد، بحكم أنّها لغة غريبة عن المجتمع الجزائري، وهي لغة الاستعمار، وقد فرضها رغماً عنّا. وبحكم

الحيّة. ولكن هناك حقيقة يجب الإقرار بها وهي أنّ اللغة الفرنسية لغة الثقافة والأدب؛ حيث أنّ أكثر من تحصل على جائزة نوبل في الثقافة والآداب كانت لغتهم الفرنسية.

الظروف الاستعمارية، أصبح للفرنسية والفَرْنَسَة شأن هام. ولكن العربية تختلف مقاماً عن الفرنسية في هذا البلد، ومن هنا لا يمكن إطلاق مصطلح اللغة الأجنبية عليها، فإذا اعتبرناها لغة أجنبية، يمكن أن نقول إن العربية لغة أجنبية في كل الدول العربية ما عدا اليمن، بل إنّها أجنبية حتى في السعودية. لأنّ هذه البلدان لم تعرف العربية إلا في الفتوحات الإسلامية، بل كانت تسود فيها الفارسية أو البيزنطية أو الفينيقية وغيرها من اللغات القديمة.

ورداً على الذين يسوون بين الفرنسية والعربية في الجزائر من حيث إنّهما لغتان أجنبيتان، نقول: كيف نسوي بين العربية التي عاشت خمسة عشر قرناً، وقَبِلَها أجدادنا وعملوا بها عن حبّ ورضى، وكان في عرفهم أن تعطى الأولوية لهذه اللغة، وتكتب بالحروف العربية، وتطلق الأسماء العربية على كل المواليد تيمناً بها. ويضاف إلى هذا أنّها لغة الدين الذي يدين به كل الجزائريين، بل هي الرافد الأساس لنهضتنا أيام مجد بجاية وتلمسان والقيروان وفاس ومكناس والأزهر.

وتعتبر اللغة العربية في الجزائر من مقوّمات المجتمع الجزائري، بل تدخل في إطار العادات والتقاليد والأفكار، ولنأخذ على سبيل المثال تقاليد الزواج والوفيات هل يمكن أن تنبتّ عن التقاليد الفكرية للغة العربية[4]. ويضاف إلى هذا أنّها اللغة التي

4- انطلاقاً من هذا يرى بعض الباحثين أمثال عثمان سعدي وأحمد بن نعمان في الجزائر وعلي فهمي خشيم بليبيا أنّ الجزائر عربية بحكم هذه اللغة، والعروبة صفة تعمّ كل ما كان غربي وادي النيل وشرقه، في الوقت الذي عرف الشمال الإفريقي امتداده من وادي النيل حتى المحيط الأطلسي، وعرف باسم ليبيا أو لوبيا. واللغة العربية لغة ليبيا القديمة وهي لغة شمال إفريقيا قبل الإسلام.

ينظر:

* الأمازيغ عرب عاربة، عثمان سعدي.

** فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر، أحمد بن نعمان.

*** سفر العرب الأمازيغ، علي فهمي خشيم.

جسّدتها الحروف العربية لأوّل مرة في تاريخها، وكتبت بها المراسم، وكتب الدين والفقه في عهد الأدارسة، وما كان لها شأن قبل اتّصالها باللغة العربية.

كما أنّ اختيار التعريب اختيار استراتيجي، كان عن قناعة ذاتية، يبقى فقط أن نحدّد مكانة الأمازيغية في هذا الاختيار، وفي المنظومة التربوية، ومكانة اللغات الأجنبية عامة، وسياسة اللغات الأجنبية في هذا البلد[5]. أما العربية فهي لغة الوطن، فكيف نفصل ثقافة الوطن عن اللغة؟ بل كيف نعيد تصحيح التاريخ الذي يرون أنّه على خطأ؟ فإذا كانت اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، فنقول إنّ في هذا البلد أعاجم، والعجمي هو من لا ينتمي إلى هذا البلد بحكم لغته الأجنبية، فهل ينطبق على الناطقين باللسان العربي مصطلح العجم، ومن هم العجم في هذا البلد؟

وانطلاقا من هذا، كيف تطرح مسألة تصحيح المجتمع الجزائري الذي لم يكن يسير في الطريق الأمثل منذ الخمسة عشر قرنا الماضية، فكيف نعيد تصحيح المجتمع الجزائري؟ ومن الذي يصحّح هذا المجتمع؟ وما هي معايير هذا التصحيح؟ فهل أخطأ هذا المجتمع عندما اتّخذ هذه اللغة لغة وطنية؟ أم أخطأ حين قبل الدين الإسلامي؟ أم أخطأ عندما عمل على نشر هذه اللغة في وطنه وخارج وطنه؟

ويعني هذا أنّ الاختيار **(الأمازيغي-العربي)** كان على خطأ، ألا يضمن هذا الاختيار، امتدادات واسعة على الصعيد الوطني والمغاربي والعالمي، ألا يمكن أن نرى مستقبل اللغتين في تكاملهما ((شرط مستقبل العربية يوجد في الأمازيغية، ومستقبل الأمازيغية يوجد في التعريب، وفي بناء العربية فقط كلغة، بل كأداة للعلم وكأداة للمعرفة))[6]. بل ألا تخدم إحدى اللغتين الأخرى بعد هذا التمازج الطويل، والتداخل في مختلف القواعد. وهذا ما نشهده في الحال من قواعد تناوبية لسانية في المجال الثقافي الاجتماعي.

5- نحيل القارئ إلى كتابنا: فقه اللغة العربية، ص 82-107. الصادر عن دار هومة 1998م.

6- محمد جسوس "أطروحات بصدد الأمازيغية والمسألة الثقافية في المغرب" مجلة آفاق مجلة اتّحاد كتاب المغرب. الرباط: 1992، ص 104.

ومن خلال هذا، هل يمكن أن يستغني المجتمع الجزائري عن اللغة العربية وهـــي لغة كل الجزائريين بحكم الظروف التي عايشها منذ مدة، ألا يشكل المجتمع الجزائـــري 75% من الشباب، وأنّ هذا الشباب من جيل المدرسة الأساسية المعرّبة. ولذا نـــرى أنّ التجانس قائم في كل أبعاده التاريخية والعلمية، ومن هنا أرى أنّ هذا المجتمـــع بـــدون العربية سيبقى مشلولاً، ولكن العربية كفيلة بأن تكون معها الأمازيغية التي هي أختهـــا ومن هنا أرى أنّ العربية بدون الأمازيغية تبقى مصروعة.

ومن هنا يجب أن ندقّق في استعمال المصطلح، لكي لا تختلط الأمور فـــي هـــذا المجال، ولكي لا نعود إلى الوراء، فما أحرانا أن نتجنّب هذه الأشياء التي لا تعطي لنا الفائدة المرغوبة، والتي ننتظرها من التكامل بين هاتين اللغتين.

1/5- الأمازيغية لغة وطنية

تعني اللغة الوطنية[7] اللغة التي يتكلّم بها الشعب، وقد تدرّس في المدارس، وقد لا تدرّس، وتتكلّم بها مجموعات سكانية كبيرة، ويقضي المواطن بها مصالحه الإدارية دون مانع قانوني، ويُعترف بها في المواثيق الوطنية. وفي البلدان التي يتواجد فيها التعدّد اللغوي، تعدّ اللغة الوطنية لغة الأغلبية، إذا تجاوز عدد متلاغيها الفصحاء أكثر من 25% وأقلّ من هذه النسبة تعد لغة الأقلية، ولكن هذا لا يمنعها من أن تكون لغة وطنية في بعض الأبعاد.

واستناداً إلى الإحصائية التي رأيناها في فصل (الأمازيغية في الجزائر. الأمازيغية في المغرب الأقصى) رأينا أنّ هذه اللغات تتجسّد في المغرب بنسبة:

في الجزائر رأينا أنّ النسبة العامة للأمازيغ تصل في أقصى تقدير إلى 17%. وأما في المغرب الأقصى فنجد العرب يشكلون 15% ، والأمازيغ المعربين 45% ، الباقي متمزغون. وهذه الإحصائية ليست علمية، فعلى أي أساس اعتمدت في تصنيف الأمازيغ في هذه النسبة الضئيلة، فإذا كان الاعتماد على إحصائية سنة 1966م وسنة 1976م، فإنّ النسبة غير صحيحة، كونهما اعتمدتا على المناطق التي يتواجد فيها الأمازيغ فقط، لا على أساس الأصول الحقيقية للمجتمع الجزائري، ومع كل ذلك هل يمكن أن يكون لسان هذه الشعوب لغة وطنية.

يرى علماء اللسان أنّ كل لسان تجاوز عدد متلاغيه أكثر من 25% من المجموعات اللغوية يمكن أن يشكّل لسانهم لغة وطنية. وأقصد بالمجموعات اللغوية؛ حالة كون السكان يتوزّعون على مجموعات لغوية (الجزر اللغوية) مثلما يلاحظ في السينغال أو موريتانيا. وأما في الجزائر والمغرب الأقصى نجد مجموعتين لغويتين: مجموعة بربرية (أمازيغية)/ مجموعة عربية. ولقد رأينا أنّ المجموعة البربرية

7- للمزيد من إدراك معنى اللغة الوطنية، وهل يجوز أن تتعدّد اللغات الوطنية. ينظر كتابنا: في فقه اللغة العربية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1995م.

(الأمازيغية) تشكّل نسبة معتبرة، خاصة في المغرب. ولكن هذه النسبة الكبيرة تتـــوزّع على كلام مختلف. فمن هنا أي كلام يكون اللغة الوطنية! باعتبار أنّ اللغـــة الجامعـة مفقودة.

وعلى هذا نرى أنّه يمكن أن تكون لغة ما في المغرب، ولغة أخرى في الجزائـــر كونهما يشكلان النسبة التي تسمح لهما بالوطننة، لكن هذا ليس في صالح إحدى اللغتين ما لم يتوحّد الكلامان في لغة واحدة في المستقبل، وهذا لن يكون إلا بفعل التعليم الـــذي يعمل على توحيد هذه الأمازيغيات.

ومع كل هذا يمكننا الحديث عن اللغة الوطنية، حتى وإنْ تتـــوزّع علـــى لهجـــات محلية، شرط أن تشكّل نسبة معتبرة من المتلاغين بتلك اللغة المراد وطننتها. وفي هذا المقام هل هناك كلام من اللهجات الأمازيغية كلام وطني (لغة)؟

نرى أنّ (الكلام) اللهجات المستعملة في أقطار المغرب الكبير، والتي تشكّل جيوباً لغوية كبيرة هي: الريفية والشلحية في المغرب، القبائلية والشاوية في الجزائر، وهـــذه اللهجات، ليست باللغات الوطنية، كونها:

1- ليست لغة كتابة، ولا تدرّس في المدارس من منظور واحد.

2- لم تنل الاعتراف الدستوري بوطننتها.

وتعتبر لغات وطنية من منظور آخر، كون المتلاغين بها يستخدمونها في:

1- قضاء مصالحهم الإدارية دون مانع حكومي.

2- استعمال يومي.

3- تواجدها على مستوى الإعلام (دعاية/ رقص/ فلكلور).

أضف إلى هذا استعمالها في المواقف الخاصـــة. أي أنّ بعضـــاً مـــن اللهجـــات الأمازيغية لغات وطنية دون أن تأخذ الشكل الرسمي، رغم تواجدهما في المناطق التي لها الخصوصيات اللغوية فقط.

كما أنّ الثنائية[8] اللغوية موجودة على مستوى الاستعمال حيث إنّ معظم متكلمي لهجة من اللهجات الأمازيغية، يتكلّمون العربية، والعكس غير صحيح، هذا على مستوى الأميين. أما على مستوى المثقفين، فالكثير منهم يتقنون العربية أحسن من اللهجات الأمازيغية، بل إنّ التلاغي باللغة العربية على مستوى الناطقين بهذه اللغات لا يشكلّ عقدة تذكر، كما لا يلاحظ عدم الفهم، وخاصة عند الحديث بالعربية المحلية. أما العربية الأدبية فتفهم من نسبة معتبرة عند الأميين، ولكن لا يُتكلّم بها، ويستخدمها المثقفون في التعامل الأدبي، وفي المواقف الرسمية، أو مواقف الانقباض.

كما يجدر بنا أن نلفت نظر القارئ إلى أنّ اللغة الوطنية عند بعض الباحثين ليس من الضروري أن تكون مكتوبة؛ لأنّ اللغة الوطنية يمكن أن تكون لغة الثقافة فقط وليس من الضروري كذلك أن تكتب بحروف اللغة الرسمية للبلاد، ولكنّه يستحسن أن تكتب بنفس الحروف لتفادي التشتّت العقلي لذهن المتلقي، وخاصة التلميذ (الصغير السنّ) وهو لا يملك القدرات العقلية الكثيرة على الاستيعاب والتركيز أثناء تناول مادتين بشكلين (رسمين) مختلفين.

وقبل الحديث فيما إذا كانت الأمازيغية أو اللغة المتّفق عليها صالحة لأنّ تكون لغة وطنية، نقول هل يمكن أن تؤدي وظيفتها التعبيرية العصرية؟ وهل أنّ نظامها اللغوي يسمح لها بأن تكون في مستوى التعبير عن الحاجيات العامة والخاصة؟ وهذا ما يحتاج إلى بحث دقيق في المجال اللغوي، وأنّ علماء اللسان لهم الكلام الفصل في هذا الأمر. لكنّنا نرى دراسات لغوية حديثة في فقه اللغة الأمازيغية تجسّد هذه اللغة في الصورة العلمية التي تتوفّر عليها اللغات الكائنة حديثاً، وهذا عند دراستهم أشكال هذا الكلام مفرداً. ومن هنا نرى أنّه يمكن أن تكون لهجة من اللهجات لغة وطنية، بعد أن تقطع مراحل كثيرة من الاهتمام. أما الآن فإنّ تراث الأمازيغية قاصر وضعيف وبسيط كونه

8- الثنائية اللغوية: في عرف علماء اللغة تعني قدرة الفرد على الحديث والتعبير بلغة أجنبية إلى جانب اللغة الأم، والتّمكن من اللغة الثانية هو معيار تمييز أحادي اللغة عن ثنائي اللغة. ولكن الذي أقصده في هذا المقام هو: استعمال اللغة الرسمية واللغة المحلية استعمالاً عادياً.

شفاهاً[9]، بل إنّ بعضه ساذج يدعو للتنكّت، وبعضه ترجمة من اللغات التي احتكّت بها والمكتوب منه قليل، ولا يشكّل ذلك الرصيد الذي يمكن بواسطته بناء بنوك معطيات تستمدّ منه مختلف العلوم معارفها.

ومن هنا كان من الأحرى في البداية أن يكون لها الرصيد اللغوي المكتوب الذي تقوم على أساسه اللغة، وعند ذلك يمكننا الحديث عن توطينها. لأنّ الفقر اللغوي الذي تملكه لا يمكّنها في الوقت الحالي أن تكون لغة وطنية بالمعنى التربوي، وهذا ما يجب أن يكون التفكير فيه، والعمل على الارتقاء بها.

وأمام هذا الفقر فتحتاج هذه اللغة إلى التوحيد اللغوي لتمكين المجتمع من فهم الخطاب المتداول، وبعد ذلك تضفى عليه الشرعية الاستعمالية، إلى أن تحمل كل رموز الوحدة الوطنية، وبعد ذلك تأتي مرحلة الاعتراف الرسمي في الدستور، وكل ذلك يؤهلّها أن تستعمل في كل الشؤون العامة والخاصة، وذلك كذلك ما يكسبها الذخيرة اللغوية التي ترتكز عليها أثناء دخولها علم البحث الأكاديمي؛ وهذا الأخير هو الذي يغنيها في كل مجالات الحياة، وما يرشّحها أن تكون لغة التعليم بعد ذلك.

ومن هنا لا يجب أن نتحدّث عن مقدار كل واحد منّا في تقسيم الغنيمة قبل الحصول عليه، أي لا نضع العربة أمام الحصان، لأنّ ذلك امتحاناً صعباً، إذا مرّت عليه ونجحت فيه كان ذلك علامة الانتصار، وإلا يكون ردّ الفعل تجاهها عنيفاً حيث تُهْجَر وإلى الأبد. لكنّ هذا لا يمنعنا أن نتحدث عن مستقبلها، وعمّا يجب أن تكون عليه.

9- نعرف انّ اللغة الشفاهية تتميّز لسانياً بما يلي:

*- على مستوى التركيب: تقطع في بناء الملفوظات. وجود ملفوظات غير تامة. ظاهرة التكرار. تداخل المفوظات.

*- على المستوى الصرفي: وجود وتيرة زمنية واحدة على الأغلب.

*- على المستوى المعجمي: وجود مستوى مألوف ومباشر في التخاطب. قاموس مقترض. قاموس بسيط جداً.

وكما يطرق بالنا في هذا المجال بعض التداعيات التي تلازم اللغة الوطنية وهي التداعيات المتعلّقة بالوطن والمواطن، فهل اللغة الوطنية هي التي تختار الوطن، أو المواطن هو الذي يختارها؟ لاشكّ أنّ المواطن هو الذي يختار اللغة الوطنية، فهل يختار الأمازيغية[10]، وهي لغة ميّتة بل هي غير موجودة، وإذا كانت موجودة فتحتاج إلى مدة زمنية طويلة لكي تُبعثَ، وهذا يسبب تأخراً لها. أم يأخذ لهجة من اللهجات. فإن كان ذلك كذلك، فأية لهجة تُختار من هذه اللهجات الموجودة عندنا؟

وفي الجانب الآخر هناك لغة وطنية في هذا البلد، وهذه اللغة لها نصيبها من حظّ هذا الوطن، وقد بدأت في هذه الربوع، ثمّ أخذت في الاتّساع، وتكوّن لها زاد علمي كبير، فلاشكّ أنّ لها أفضلية الاختيار. وهنا يجب أن نفصل في الأمر قبل المغامرة، وقد يمكن أن تكون لنا لغتان أو أكثر، وكلّها تدخل في اللغات الوطنية، ولكن هل أنّ عوائق التعدّد اللغوي في إطار الرسميات ستكون عواقبه سليمة!

لا مراء أنّ الميثاق الوطني أكّد على هذه النقطة في الباب الثالث عند الحديث عن الثورة الثقافية، فركّز على:

1- التأكيد على الهوية الوطنية الجزائرية، وتقويتها والإسهام في الترقية الثقافية بجميع أشكالها. هذه النقطة تأخذنا بعيداً إلى الحديث عن مختلف أنواع الثقافات الجزائرية، وهي الثقافات الضيّقة؛ والتي تحمل المفاهيم الخاصة لأنماط المجتمع الجزائري بكل فئاته. وإنّ للتربية والثقافة دوراً تقوم به في تطوير الشخصية الوطنية والهوية الجماعية، وكذلك في خلق مجتمع متوازن يكون فيه كل مواطن غير مبتور عن أصوله، وغير مجبر أن يبقى على هامش الرقي. ولكن لا يعني هذا أنّ هذه الأنماط تأخذ الفرد الجزائري مبتوراً عن التكيّف مع الحاضر، فلا بدّ أن تكون ثقافته ثقافة

10- يقصد باللغة الأمازيغية الميّتة؛ اللغة الأم، وهي اللغة الفصيحة كما هو موجود في العربية (اللغة الفصحى). وتؤكد أكثر الدراسات أنّ الأمازيغية لا تتوفّر على اللغة الفصيحة الجامعة لمختلف هذه الأداءات. وأما كلغة منشأ فهي لغة موظفة طبيعياً، ولها نظامها اللغوي الذي يكتسب في المحيط اللغوي.

أوسع. وقد توحي لنا هذه الفقرة بأنّ الهُوية لا تتحقّق إلا في وسط اجتماعي متغيّر، ومن هنا كان يجب أن ندرك مدى أهمية الهوية الوطنية من خلال الشعور بالخصوصية في وسط منظومة متغايرة، أضف إلى هذا أنّ الهوية الوطنية هي المساهمة في الإبداع والمعرفة والخبرة، ومن خلال السلوك المتغاير، بل من تغيّر المجتمع تنشأ الثقافة الاجتماعية، ومنها تنشأ الحضارة وتقوم المؤسسات التي تحفظ الحقوق والقيّم.

ومن هنا يمضي الميثاق الوطني في مجال اللغة الوطنية ليقول: إنّ اللغة الوطنية عنصر أساسي للهوية الثقافية للشعب الجزائري، ولا يمكن فصل شخصيتنا عن اللغة الوطنية التي تعبّر عنها، ولهذا فإنّ تعميم استعمال اللغة العربية، وإتقانها كوسيلة عملية خلاّقة يشكل إحدى كبريات المهام للمجتمع الجزائري للتعبير عن كل مظاهر الثقافة وعن العقيدة الاشتراكية.

وهنا نجد الميثاق الوطني لا يفرق بين اللغة الوطنية واللغة الرسمية، حيث يعتبر اللغة الوطنية هي اللغة الرسمية، وهي العربية التي يجب أن يعمل على تعميم استعمالها وهنا لم يتعرض إلى مسألة اللغة أو اللغات الوطنية، بل أشار في فقرة من فقراته إلى شكل من أشكال الثقافة والتراث. ومع هذه الإشارة فإنّ وجود لغة وطنية ثانية لا يتعارض والميثاق الوطني؛ والذي ينصّ على الهوية الثقافية للشعب الجزائري، وهذه الهوية تكتسب من الدين ومن التاريخ (الأصالة). كما لا يتعارض مع مبدأ التعريب الذي لا رجعة فيه. فإنّ الهويّة تكون بالربط بين الأصالة (الأمازيغية) وما وقع الإجماع عليه (العربية)، وهذا كلّه لا يتعارض ولا يتناقض مع التعددية الثقافية والتنوّع الحضاري ومسلمات العولمة. ونعرف جميعاً أنّ الهوية تملك **التنوع الثقافي** ونمط حياة خاصة.

ومهما يكن فنحن نملك الشعور بالخصوصية؛ التي ظلّت تلازمنا منذ وجودنا ويبقى أن يستمر التواصل الثقافي من أجل نماء الثقافة الوطنية وتطوّرها، شرط أن ننفتح على غيرنا من موقف قوة؛ موقف المساهمة والإبداع وتطوير الموجود، من خلال التمازج الحضاري واللغوي الذي يعطي البنى الفاعلة من حيث التفاعل الثقافي، مع التعدّد اللغوي أخذاً وعطاءً، ومحاولة التصدي لكل ما يؤدي إلى الاستئصال عن الجوهر والأصيل.

وفي الحقيقة إنّ الثقافة الوطنية تفرض لغة وطنية واحدة، اللهم إذا ربطنا مفهـوم الثقافة بالمفهوم الضيّق كأن نقول الثقافة الجزائرية، وهنا تتقلّص الخصوصيـة، وعند ذلك فأية فائدة من هذا الضيق؟. وأين محلنا من الثقافة العالمية بعد ذلك. لكـن هـذا لا يمنع من التعدّد الثقافي، لأنّ التعدّد إغناء للغة الوطنية.

ونعود لنقول هل يمكن أن تصبح لهجة من هذه اللهجات **لغة وطنية** ؟ يمكن ذلـك كون اللغة الوطنية ليس لها تبعات دولية، فبمجرد الاعتراف بوطننتها تدخل المـدارس وتعلّم بشكل عادي، وقد يكون للوطن الواحد عدّة لغات وطنية. هـذا علـى المسـتوى المحلي، ويمكن أن تكون اللغة المحلية لغة، وإثرها تكون لها واجبات دولية، عند ذلـك تأخذ شكلاً آخر غير الشكل الأول، بل إنّ الشكل الأول يكون عاملاً مساعداً على دخول السوق اللغوية وبها يتحدّد رصيدها، وتظهر كلغة رسمية.

وإنّ اللغة الوطنية يفرضها ويحدّدها الاستعمال في المقـام الأول، فمـن الوجهـة اللسانية الاجتماعية يصاحبها التدريس والخطاب الرسمي والإذاعة والسينما والمسـرح والجرائد والخطاب الموسّع وظهور مختلف المجلات المتخصصـة واسـتعمالها فـي مختلف المجالات. ثمّ تأتي الخطوات التالية لكل شروط وطنية لغة من اللغات، كمـا أنّ هذه الشروط التي يذكرها اللغويون في اللغة الوطنية لم نراها تجسّدت جميعها في اللغة العربية.

ولقد تجسّدت بعض الأنماط في شكل من الأشكال كالاعتراف الرسمي بأنّها لغـة وطنية في البلاد، وأنّها لغة الاستعمال في كل أنماط الحياة، لكنّها لم تدخـل المجـالات التخصصية، فبقيت حكراً على اللغة الفرنسية باعتبارها لغة الاقتصاد ولغة العلم.

2/5: الأمازيغية لغة رسمية

إنّ مفهوم الرسمي[11] يعني: الشيء الإلزامي إدارياً، واللغة الرسمية هي اللغة الإلزامية التي يُتعامل بها في الوطن. فانطلاقاً من هذا لم نر كلاما من هذه اللغات، لغة رسمية، لأنّ مفهوم اللغة الرسمية له تبعات برلمانية وحكومية ومدرسية، والاعتراف الدولي، واستعمالها في كل المجالات العامة والخاصة. وضمان وطني (حكومي) لتطبيقها على كافة مجالات الحياة داخلياً وخارجياً.

وهل يمكن أن تصبح الأمازيغية (المتّفق عليها) أو أية لهجة من هذه اللهجات المستعملة حالياً لغة رسمية؟

إنّ للغة الرسمية تبعات محلية ودولية. فالمحلية أن يُعترف بها لغة التدريس والإدارة والمعاملات العامة والخاصة. وعلى المستوى العالمي أن يُعترف بها على أنّها اللغة الرسمية للبلد وتحصل على الاعتراف من المنظمات الثقافية، وتكون لها تبعات كثيرة في مجال الكتابة، وما يلحق ذلك .

واستناداً إلى دستور سنة 1989م، والدستور فوق الجميع، وهو القانون الأساس الذي يضمن الحقوق والحريات الفردية والجماعية، ويحمي مبدأ حرية اختيار الشعب ويضفي الشرعية على ممارسة السلطة، ويكفل الحماية القانونية، ورقابة عمل السلطات العمومية في مجتمع تسوده الشرعية، ويتحقّق فيه تفتّح الإنسان بكل أبعاده. يرى: **اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية. فكيف يمكن أن يكون للبلد الذي صادق على لغة واحدة رسمية إدراج لغة ثانية تكون كذلك رسمية؟ وهل يمكن ذلك في العرف القانوني؟ وهذا ما يجيب عنه أهل الاختصاص.**

11- يعني ذلك دسترة الأمازيغية، وهذا يستدعي نبذ كل وسائل الإقصاء l'Exclusion والنزعات الأخرى والعمل على التفتح على المبادئ العالمية التي تضمن كل الحقوق الإنسانية والثقافية.

وفي المفهوم اللغوي نشير إلى المواصفات العلمية للغة الرسمية أياً كانت. يـــرى أحمد بوكوس كما يرى غيره من اللغويين[12] أمثال ستيوارت وفايشمان وفرجســون، أنّ اللغة في العرف اللغوي يجب أن تقوم على أربعة عناصر أساسية، وهذه العناصر هي التي تكسبها صفة الرسمية والعلمية والعالمية، وهي:

1- المعايرة Standardisation.

2- الاستقلالية Autonomie.

3- التاريخية Historicité.

4- الحيوية Vitalité .

وأمام هذه العناصر الأربعة نتساءل هل تتوفّر العناصر الأربعة فـــي شـــكل مـــن أشكال التلاغي في البربرية (الأمازيغية)؟

فإذا أخذنا العنصر الأول نرى أنّ المعايرة تعني (اللغة المشتركة في التواصل مـــا بين مختلف اللهجات المحلية) إذن لا تكتسب المعايرة هذه اللغات كونها تفتقر إلى اللغة الموحدّة. لكنّه يمكن أن تكسبها بعد الاهتمام بها من قبل المختصين؛ وذلك بوضعها في القالب اللغوي المخصوص بها؛ حيث تكسب المعايرة من الاستعمال، ومن المصطلـــح العلمي، ودخول أجواء الحضارة الآلية.

وأما العنصر الثاني فنرى أنّ الاستقلالية المقصودة هي تلك التي لها خصوصيات خاصة، والأمازيغية لغة مستقلة، وإنْ كانت تنتمي إلى اللغة الحاميـــة الســـامية، فهـــذا طبيعي؛ لأنّه لا لغة دون شجرة تنتمي إليها، كما أنّ لها مميزات خاصة بها، وقد تكون لها علاقات لسانية مع بعض اللغات مثل العربية، وهذا لا يمنع من استقلاليتها، كونهـــا تحوي علاقات حدثت بحكم عوامل التأثير والتأثر، بل أنّ كثيراً من الدراســـات تـــرى أنّهما من شجرة اللغة السامية الحامية.

12- AHMED BOUKOUS Le profil sociolinguistique du MAROC _ contribution méthodologie _ Bulletin Economique et social du MAROC 1979

وأما العنصر الثالث، فيعني قدم اللغة، ونعرف أنّ الأمازيغية لغة قديمة قدم الزمان ولها مساحة جغرافية ممتدّة من سيوا إلى الأطلس الكبير، وإلى النيجر ومالي حتى بوركينافاصو[13]. وهذا يعني أنّ شساعة المساحة عامل من عوامل القِدَم والاختلاف اللهجي. وأمام هذه المساحة الشاسعة مازالت أنماط لهجية في كل هذه الأقطار المذكورة، وقد اندثرت من بعضها، إلا أنّ بلداناً مثل المغرب والجزائر مازال الناطقون بهما يتحدثونها ويستعملونها، رغم مرور هذه المدة الطويلة.

وأما العنصر الرابع فهو الحيوية، ويعني أن تكون لغة حيّة، أي لغة لها قوامها الداخلي والخارجي، فيتمثل القوام الداخلي في ارتباطها بالحدث الاجتماعي والفردي والقوام الخارجي هو مواكبة التطوّر العلمي الحديث من خلال ما تنتجه، وما تقدمه للحضارة العالمية. وهذا العنصر لا يتجسّد في البربرية (الأمازيغية) في شكله النهائي كونها لغة شفاهية، فيلاحظ على مستوى التركيب تقطّع في الملفوظات، ووجود ملفوظات غير تامة وظاهرة التكرار، وتداخل الملفوظات. وعلى المستوى الصرفي تتميّز بوجود وتيرة زمنية واحدة. وعلى مستوى المعجم فهو معجم مألوف، هذه الخصوصيات جعلتها غير وافية بمطالب العصر.

ومن خلال استعراضنا للمعايير العلمية نطرح هذا السؤال: هل يمكن أن تكون الأمازيغية لغة رسمية؟

ترى كثير من الدراسات أنّ كل اللغات قابلة للترقي إلى مستوى من المستويات ومن هنا فإنّه يمكن لأية لغة أن تكون لغة علم، وحتى إذا كانت لغة علم فهي على درجات، مثلما نشاهد الآن ترتيب اللغات العالمية قياساً بعلمها، واللغة الرسمية تحتاج إلى هيكلة واضحة في معالمها، دقيقة في تعابيرها، قويّة في قاموسها، قابلة للعطاء والتلقي. ومن هنا تتحدّد مواصفات اللغة الرسمية في مجموعة من المواصفات

13- هذا الامتداد الكبير يضاف إليه مسألة الشفوية والبعد الزمني من الأسباب التي خلقت وجود لهجات مختلفة في مناطق متعدّدة، وقد حدث فيها الاختلاف على المستوى الصوتي والدلالي، ثمّ على بعض مستويات التركيب بشكل بسيط.

والأعراف، وهي من الأهمية بمكان أن تكون على كل المستويات سهلة كما هو جارٍ في العرف اللغوي.

فإذا توفّرت العناصر الأربعة التي يركز عليها اللغويون في عرف اللغة التي نطمح أن تكون وطنية أو رسمية يمكن أن تكون الأمازيغية لغة وطنية أو رسمية، علماً أنّ اللغة الوطنية لا تتطلّب كل الشروط التي تتوفّر في الرسمية، ومواصفات اللغة الوطنية تحدّدها الأصوات والصرف والبنية في العرف اللغوي، إضافة إلى الاستعمال. فمجال الاستعمال هو الأساس، بل له الصدارة في هذا المجال.

لكنّ اللغة الرسمية لها خصوصيات علمية خاصة؛ وهذه الخصوصيات تتطلّب من اللغة الرسمية أن تكون لغة علم، أي لغة حيّة منتجة، لغة الاستعمال الدولي، لغة الآلة ولغة المصطلح... الخ. وهذا ما لم يتوفّر لهذه اللغة (الأمازيغية) في الوقت الحالي.

ومن خلال هذا يمكننا أن نحدد مواصفات اللغة العلمية، وهي:

1- ألا تكون لهجة من اللهجات الإقليمية، لأنّ اللهجة تتوزّع على أساس إقليمي لا يتطابق مع التوزّع القبلي. كما أنّ اللهجات لها مفردات خاصة لا نجدها في اللغة الأدبية، وهذا ما يجعلها ناقصة في قاموسها.

2- أن تكون لغة طبيعية لا اصطناعية، تجربة لغة الإسبرنتو لم تنجح لأنّها لغة اصطناعية؛ أي أنّ اللغات المخبرية لم تجد النجاح المرغوب كونها محرومة من الخصائص الأساسية للغة الحقيقية.

3- أن تكون من اللغات الألفبائية المتصرفة، وألا تكون من اللغات التي تعتمد الرسوم أو الحروف المنفصلة؛ لأنّ هذه اللغات لها قابلية المرونة والثراء والديمومة.

4- أن تكون أصواتها بين الخمس والعشرين إلى الخمس والثلاثين صوتا، ولا يمكن لأية لغة أن تجسدّ كل الأصوات المسموعة.

5- أن تكون حروفها مرنة، وقابلة للتنميط، أي على مستوى الآلة، لكي تتجسّد هذه اللغة لابدّ من دخول أجواء الحضارة من خلال الآليات العصرية التي تجعلها واسعة الانتشار، أي تتجرد من المضايقات الآلية.

6- أن يمتاز نحوها وصرفها بالاشتقاق، وهذه سمّة معظم اللغات العالمية والحيّة وهذا ما يسمح لها بالتوليد اللغوي.

7- أن تقبل مضامين وضع المصطلحات، واستقبالها. وهذا عامل مهم في هذا الوقت، بل إنّه من العوامل الأساسية للغات الحديثة؛ حيث إنّنا نعيش عصر المصطلحات، وعصر التقنيات، فاللغة يجب أن تجاري العصر في كل أبعاده الحضارية.

ويبقى أنّ هذه المعايير نسبية في أبعادها العامة، لأنّ اللغة اليابانية والصينية ليستا ممّا تتوفّر فيهما كل هذه الشروط، وهما من اللغات الحية والعلمية.

ونعود إلى الإجابة عن السؤال استناداً إلى هذه المواصفات العلمية، **أيمكن الأمازيغية أن تكون لغة رسمية؟.**

إنّ الإجابة العلمية أوضحت الشروط الضرورية للغة الرسمية، ومع ذلك نرى أنّه يمكن ذلك، وعلى المدى الطويل، وبعد استيفاء مجموعة من الشروط العلمية التي تعمل على رقيّها، وما يشهد عليه في هذا المجال أنّ كل اللغات كانت لاشيء، ثمّ ارتقت بفعل الاهتمام والتداول، وأهم شيء في هذه العملية هي **المدرسة**، فبها ترتقي، وبدونها تنحطّ وقد تندثر، كما أنّ المعايير العلمية التي سردناها ليست إجبارية في كل الحالات، فقد بيّنت الدراسات أنّ كثيراً من اللغات لا تنطبق عليها هذه المعايير العلمية، ومع ذلك فهي لغات علمية وعالمية، وأهم مسألة في هذا المجال هو أن توضع على المحكّ، وليس من الضروري أن تنجح في القريب العاجل، ولاشكّ أنّ رقيّها يتطلّب سنوات وسنوات من البحث الجاد، بعد التأخير الذي لحق بها، وخاصة أنّنا نعيش في عصر كثرت فيه المعارف، وقد يأتي وقت نعود لمراجعة الذات إذا كانت غير مستعدة للتطوّر والرقي أو لا تستجيب لأنماط العصر.

وإنّ العمل على رقيّها سيكون وسيلة للعمل على تطوير اللغة العربية، وذلك بفعل عوامل التأثير والتأثّر بينهما، ونظراً للاحتكاك الذي حدث بينهما، وهذا شيء هام؛ حيث نعمل على تحسين لغتين في الآن نفسه.

ونعود مرة أخرى لنطرح هذا السؤال: **هل يمكن أن تكون في بلد لغتان رسميتان؟** نجيب من خلال الواقع العالمي الذي نعرفه، حيث إنّنا نعرف بلداناً لها لغتان أو أكثر رسميتان، لكن المعطيات التاريخية والسياسية لتلك البلاد تختلف اختلافاً جذرياً عن معطياتنا من حيث هذه العوامل:

1- لا تاريخ مشترك.
2- شعوب وافدة غير أصيلة.
3- إثنيات عرقية غير متجانسة.
4- حكم ذاتي أو كانتوني (فيديرالي).

فأمام هذه المعطيات نرى أنّ الجزائر لا تتوفّر فيها هذه المعطيات التي تؤهّل أن تكون هناك لغتان رسميتان.

فبالنسبة **للعامل الأول**: نجد أنّ تاريخنا العميق والبعيد يشير إلى وحدة في التاريخ المشترك الذي ربط الوحدة الروحية بين العرب والأمازيغ، فإذا خرجنا من دائرة الأصول العربية ومراجعها، فنجد أثراً لنا بأنّنا أمازيغ غير عرب، وقد التحمنا بفعل الإسلام، وتعربنا فأصبح التفريق بيننا صعباً جداً. ويضاف إلى هذا التمازج الاجتماعي الذي عمّقته الهجرات والمصاهرات والمصالح، فلا يمكن الفرز بينها الآن بعد هذا المدّ الزماني.

وأما **العامل الثاني**: من الصعوبة التحقيق والتأكيد أمام هذه المدة الزمنية الطويلة التأكيد على نقاء الدم، وعلى كيفية الهجرة، وعلى مدّتها، وكيفية استمرارها

وأما العامل **الثالث**: فيصعب التأكّد منه، حيث لم يسبق أن عرفنا إثنية عرقية[14] أمام هذا الفاصل الزمني الطويل، الذي نحكم فيه الآن على اللغة أو على سكان بعض المناطق في كل من المغرب والجزائر وليبيا وأجزاء من مصر. وحتى إن وجدت هذه الإثنية فهي متجانسة في كل أبعادها، وهذا بفعل المصاهرة والاختلاط التام. فمن الصعوبة الآن تمييز جنس عن آخر، أو فصل عرق عن آخر.

وأما العامل **الرابع**: فهي مسألة قناعة وإيمان وتعصّب، حيث تظهر بعض الإثنيات تتعصّب للغتها وتريد فرضها، وأمام ذلك تنزلق الأمور إلى عواقب وسياسة خطيرة تؤدي إلى الاستقلال الداخلي الذي عرفته بعض البلدان التي تتمتّع بالحكم الذاتي، وعند ذلك تكون لكل مقاطعة لغة خاصة بها[15]. وهذا ما لا يتوفّر في البلدان المغاربية وكثير من البلدان الإفريقية.

ونخلص من كل هذا أنّ هذه العوامل كلّها إذا لم تتوفّر، فمن الصعوبة بمكان أن تكون في بلداننا (الجزائر والمغرب بالخصوص) لغتان رسميتان. وإذا حصل ذلك يكون على حساب التناحرات الاجتماعية التي تؤدي في غالب الأحيان إلى نسف اللغات الوطنية وتبني لغة أجنبية أخرى. ولا شكّ أنّ عيوبه كثيرة؛ حيث تظهر مناطق راقية وأخرى غير راقية، ويدعو ذلك السكان إلى التناحر مرة أخرى، وقد يسبب في المشكلات السياسية الأخرى كالانفصال التام الذي هو أقرب طريق بعد الانفصال اللغوي.

وفي هذه النقطة عندما يحصل تشجيع البحث في اللغات الوطنية والعمل على رقيها، وتشجيع الجمعيات ذات الطابع الثقافي الماز والخاص، لا يمكن أن تتخذ المطالب

14- عرفت هذه المناطق ما يدعى بنظام العشائر والبطون، وانقسمت بعض البطون إلى مجموعات عديدة متنوعة، وإلى وحدات أصغر، لكنّها ما عرفت ما يسمى بالاختلاف العرقي الذي يعمل على اللاتجانس. وما عرفته هذه القبائل يمكن أن يدخل فيما يسمى بالنظام الانقسامي Segmentaire لا غير.

15- ينظر كتابنا: فقه اللغة العربية، فصل سياسة اللغات الأجنبية في الجزائر.

اللغوية مطيّة لتحقيق المطالب السياسية، ويكون كل هـذا بـإحداث التـوازن الثقـافي الرافض لكل إقصاء فهو الحلّ الوسط الذي يخلق الدينامية الاجتماعيـة لكـل مجتمـع يرغب التعبير بلسانه الموظّف دائماً، والذي هو في الأصل اللغة الأم، وكم يتشدّد المرء تجاهه خاصة إذا عومل معاملة الرفض أو الإقصاء. ونعـرف أنّ الفـرد الجزائـري متمسك بإنيّته وأصالته، وبالقدر ما يحسّ أنّ جهة تريد هـدر إنيّتـه والإجهـاز علـى شخصيته، بقدر ما يكثّف جهوده للتعبير عن الرفض والحضور والوجود؛ لأنّه وضـع أمام الماهيات التي هي فطرة فيه وجوهرية، وبها يمتاز عن الأغيار.

6 - الأمازيغية في المدرسة

بعد الذي رأيناه في ترسيم اللغة الأمازيغية، نقول: هل يعني هذا أنّ هذه اللغة لا يمكن أن تدرّس؟ تكون الإجابة عكساً؛ حيث أنّ التدريس مسألة جدّ ضرورية وهامة، بل يجب أن يقع الاهتمام بكل هذا اللهجات المحلية[16] وفي إطار البحث اللغوي الصريح. ولا يجب أن يفهم أنّ هذا التدريس يكون على حساب الفصحى. وإنّ تدريس[17] الأمازيغية واللهجات واقع عصري فيجب إيجاد الآليات الفعلية التي تعمل على توظيف واحتواء هذه اللغات (اللهجات) ضمن بوتقة الوحدة الوطنية واللغوية، فلو استهدف التعريب ترقية هذه اللغات لما حصلت المطالبة بترسيم وتدريس اللغة الأمازيغية. فمن الموضوعية بمكان أن نقرّ بأنّ أغلب الجزائريين يعترفون بأنّ لغتهم الأولى هي العربية، بل ويعتزون بذلك، لكن من الموضوعية كذلك أن نبحث في أصالتنا وهويّتنا واللغة التي كان يتلاغى بها الأجداد، ونسمعها حالياً في أفواه أولئك النسوة والشيوخ في أعالي الجبال وفي الصحاري، ولا يعني هذا النبش في التاريخ العريق والذي غالباً لا

16- قد يبدو للبعض أنّ مسألة تدريس العاميات جدّ مخيفة، بل هناك كوامن وراء هذه الدعوة غير الصريحة، لكن نودّ أن نلفت نظر القارئ في هذه المسألة أنّه يجب أن نستفيد منها ما يخدم رقي اللغة العربية من حيث توظيف الأساليب المتداولة وما يتعلّق بتفصيحها رغبة في احتوائها. وأما مسألة تقديس اللغة العربية فلا مراء في ذلك مهما اختلفت الأفكار والاتجاهات. "فالمعروف عن الكاتب الفرنسي الكبير أناتول فرانس أنّه كان ذا فكر تقدمي، وأنّ الكاتب والناقد الفرنسي المشهور موريس باريس كان من أنصار الكثلكة، فلما سألوه: أفلا ترى مبادئ أناتول فرانس وغلوّه في الاشتراكية... أجابهم: قولوا فيه من هذه الجهة ما شئتم، إلا أنّه حفظ اللغة". ينظر: مقالة شكيب أرسلان (ما وراء الأكمة) مجلة الزهراء: ص31-39.

17- إنّ التدريس يراد به Apprentissage، أي عملية اكتساب الوسائل المساعدة على إشباع الحاجات والدوافع وتحقيق الأهداف، وهو كثيراً ما يتّخذ صورة حلّ المشكلات. كما ينتج عنه تغيير في السلوك الناتج عن إثارة ما، وهذا التغيير في السلوك قد يكون نتيجة لأثر منبّهات بسيطة، وقد يكون نتيجة لموقف معقّد.

يؤدي إلى قناعات موضوعية، لكن هناك خصوصيات ثقافية لبعض المناطق فلا يجب أن تهمل. فما أروع الماضي مهما شاقنا الجديد وأخذنا بطرافته وروعته، ففي مطاويه الزاد والذكرى وفيه الذخيرة والأحداث، ماضي الأجداد هو ماضينا، فنحن -الفانين- لا نعيش من غير ماضينا، فهو ملتصق بلحمنا ودمنا، ماثل في عاداتنا وتقاليدنا وفي آثارنا الفكرية والفنية، وقد يكون مغيباً عن كل عين سوانا، غير أنّه لا ينفلت منّا فهو مهما وقفنا في حاضرنا مأخوذين بما بين أيدينا وحولنا من حديث رائع أو طريف باهر[18] ولو جسم هذا الكون ماضينا وهبّت حوادثه من مرقدها وكان لها بعث ونشور لما وسع كل إنسان بلد، غداً تحشر أفواج الأحداث وترنّ عند كل واحدة منها ضحكة من الضحكات أو تسمع أنّة من الأنّات؛ أنّات ماضي الأجداد.

فمن هذه الزاوية يبدو لي أنّ ذلك البحث يؤدي إلى إثراء اللغة العربية أولاً، ويعمل على ترقية الأمازيغية ثانياً، واضعين في عين الاعتبار النفعية التي نتعامل بها مع المتعامل الأجنبي، حيث نجسّد تعليم اللغات الأجنبية[19] التي تستدعي منّا كل التركيز للإفادة منها في تطوير اللغة العربية واللغات الوطنية.

وفي هذه النقطة أرغب تقديم المستزيد من التوضيح في مسألة تدريس الأمازيغية ومن دواعي ذلك لا بدّ من:

1- أهمية ودواعي تدريس الأمازيغية: الحقيقة أنّ الجزائر بحاجة إلى تدريس اللغة الأمازيغية لاعتبارات: دينية وحضارية وثقافية وعلمية.

18- وداد سكاكيني "حرمة الماضي" مجلة التراث العربي. دمشق: 1985، اتحاد الكتاب العرب المجلد السادس، ص 149.

19- وتسمى أحياناً لغة ثانية، ويقصد به كل لغة يتعلّمها الفرد بعد لغته الأصلية أو لغته الأم؛ والتي تهدف إلى تأهيل المتعلم للتمكّن من وسائل التعبير الكتابي والشفوي، ومعرفة الأدب والثقافة، وتنمية التفاهم الدولي، واكتساب المصطلحات الفنية والعلمية والمهنية وتنمية القدرة على التحليل والتركيب من خلال الاتّصال ببُنى ومفاهيم وعلاقات لغة أخرى.

2- تدريس اللغة الأمازيغية يحرّر الفرد من الشعور بالدونية.

3- تدريس الأمازيغية يحيلنا على كثير مكن التداخل والدخل بينها وبين العربية.

وأمام هذه العوامل يمكن أن تدرّس اللغة الأمازيغية وفق المبادئ التالية:

1- الإقرار بوطننة هذه اللغة.

2- إيجاد مشروع ديداكتيكي لوحدة اللغة الأمازيغية: فلا يمكن أن ينجح تدريس هذه اللغة في ظل غيّاب الوحدة اللغوية لهذه اللغة على المستوى الدلالي.

3- إدماج اللغة الأمازيغية في برامج التعليم الوطني، حسب ما تمليه الخيارات الوطنية.

4- الإقرار في تعليم هذه اللغة أنّها لا تدرّس مثل اللغات الأجنبية، ولا مثل اللغة العربية. وهنا نرى أن تدرّس اللغة الأمازيغية كوحدة من الوحدات، وتستهدف التواصل والنوعية[20].

5- تدريسها لجميع الجزائريين، وفي مختلف المستويات[21].

20- يتعلّم التلميذ أو الطالب ما يمكنّه من الاتصال عن طريق:

- توظيف هذه اللغة قراءة وكتابة.
- تمكين المتعلم من استثمار المعجم اللغوي.
- تمكين المتعلم من التفتح على بيئته.
- تزويد المتعلم بمعارف ومواقف ومهارات تمكنه من الرقي.
- تعريف المتعلم بتراثه.

21- في هذه النقطة يجب أن نقرّ بشيء أنّه من الصعوبة بمكان أن تدرّس اللغة الأمازيغية في المناطق المعربة تماماً. بل يجب أن يكون الخيار في تدريسها. لكنّها تدرّس في المناطق الأمازيغية إجباراً. وكل منطقة تدرّس لهجتها الخاصة. ويكون ذلك **في الطور الأول من الأساسي**، بغية التوحيد النسبي في الأطوار اللاحقة. وكل هذا نعرف أنّه يستغرق دهوراً ودهوراً، والمهمّ هو البداية، وعندما يحصل نوع من التوحيد سوف يحصل الإجماع على اللغة الجامعة والشاملة من كل اللهجات. أضف إلى هذا مسألة أساسية وهي قضية التوظيف اللغوي (مبدأ النفعية).

6- التخطيط لمستقبل الجيل القادم في المقام الأول: يجب أن نضع في الاعتبار أننا سوف نخطّط لطفل عام 2025م، فنأخذ في الحسبان تلك المتغيرات الطبيعية، وغزو الآلة بشكل لا مثيل له، في عالم يتغيّر نمط التعليم، يزول الطبشور والمحفظة والسبورة. وتحلّ الآلة محلّ تلك الأشياء.

إذن من خلال هذا الطرح نرى أنّ المسألة في غاية الجدية والأهمية، وهي تدريس هذه اللغة الأمازيغية، أي إدخالها في المنظومة التربوية الوطنية، كوحدة نسقية فاعلة لتحتلّ المكانة الروحية والعلمية في المتلقي، ومن ثمّ تكون عنصراً متجذراً فيه، وعاملا حيوياً في رصيده ونسيجه الثقافي. ومن ذلك سيجد كل مواطن نفسه مدفوعاً لحمايتها والعمل على رقيّها.

ولقد حملت التجمعات الشعبية والثقافية أبعاداً كبرى للمناداة بإدخال هذه اللغة في المنظومة التربوية بشعارات **(ثامازيغث ذي ليكول)** أي الأمازيغية في المدرسة، وقد أصبغ الشعار في مبدأ أمره بحمل أمر لغة غير مجسّدة **(الأمازيغية)** وأُردف بمصطلح **Ecole** الفرنسي، فما هي أبعاد هذا العمل؟

في البداية يجب أن تكون لنا الجرأة على معالجة هذا الأمر دون التسويف فيه لأنّه من الخطورة أن نسوّف الأمور، وقد تنقلب إلى ما لا تحمد عقباه. وهكذا يجب أن نقرّ أنّ هذه اللغة نريد أن تكون وسيلة ثقافية تعليمية، أي تخضع للنمط التعليمي مثلها مثل اللغة العربية، أم وسيلة ثقافية فقط[22]. فإذا كان المقصود من هذه اللغة فيما يستقبل من

22- لا يجب أن نفهم أنّ اللغة الوطنية يجب أن تكون رسمية. بلدان كثيرة مثل موريطانيا لها لغة رسمية للرسميات، ولها لغة وطنية محلية. فاللغة الوطنية يمكن:

- أن تدرس في جميع ولايات الوطن الواحد.
- يمكن أن تدرس على مستوى الجزر اللغوية التي يتلاغى بها فقط.
- تكون على مستوى الإعلام والثقافة والتراث.
- تقضى بها المصالح اليومية والمعاملات الإدارية شفاهياً.
- تقضى بها المصالح الإدارية كتابياً في المناطق الخاصة بها، إلى جانب اللغة الرسمية.
- تأخذ الأبعاد المحلية الخاصة بها، لا أن تزاحم اللغة الرسمية.

الزمان أن تكون لغة ثقافة، فهذا أمر يختلف عن ترسيمها في المدرسة؛ لأنّ لغة الثقافة ليست لها متطلبات وطنية ودولية[23] مثل اللغة الرسمية، بل إنّ لغة الثقافة هي قائمة الآن في شكل من أشكال الثقافة، كالذي نجده في بعض أشكال الفنون الشعبية مثل الفولكلور والمدائح والأذكار والطرز، وغير ذلك من الأشكال الكثيرة. وأما أن تكون اللغة الرسمية فلها تبعات وطنية ودولية تترتّب على عاتق الدولة، والدولة خير من يحرص على تطبيق تلك التبعات الداخلية والخارجية بحكم النصوص التشريعية التي تعمل على حمايتها.

ولكي تدخل الأمازيغية في المدرسة الجزائرية، وتدخل في المنظومة التربوية تحتاج إلى مجموعة من الروافد العلمية التي تجعلها لغة مدرسة، وفي نظرنا تنقسم تلك الروافد إلى:

1- الرافد العالمي: هذا الرافد ليس له علاقة جدّ هامة عالمياً، حالة كون اللغة وطنية ولكن في المنظور العلمي تحتاج اللغة الوطنية إلى التطوير والترقية، كما تحتاج إلى التواصل، ومن هنا يستدعي في هذا المجال أن نشير إلى مجموعة من المعطيات إذا توفرت يمكن لتلك اللغة أن تنال النصيب الأوفر ضمن معطيات اللغات الحية والعالمية ومنها:

وإنّه كان لابدّ أن يعاد لهذه اللغة الاعتبار ضمن معطياتنا لتفادي كل ما من شأنه أن يعرقل كل الصعوبات في تعليم اللغة العربية أولاً. كما أنّه من اللازم أن نكون نفعيين في تعاملنا مع اللغة حسب المناطق الناطقة بالأمازيغية، وحسب الأماكن الناطقة بالعربية فقط، فنكون قد أقصينا تلك الصعوبات التي يجدها المتعلّم وهو يتعامل مع اللغة العربية. ينظر: **صعوبات تعلّم اللغة العربية لدى تلاميذ الطور الثاني من التعليم الأساسي في المناطق الناطقة بالأمازيغية والمناطق الناطقة بالعربية** -دراسة مقارنة- دراسة أعدّها الدكتور علي تعوينات في الأيام الوطنية الثالثة لعلم النفس ماي 1998.

23- ينظر كتابنا: في فقه اللغة العربية. الجزائر: 1995م ديوان المطبوعات الجامعية.

1/1- تنميط حروفها تنميطاً آلياً؛ بحيث تدخل مجـــال الآليـــة بشـــكل يســـترعي خصوصياتها.

2/1- أن تنال نصيبها من التواصل العالمي؛ حيث يكون لها الجمهور العالمي الذي يجعل منها لغة التواصل الثقافي العالمي.

3/1- الانفتاح على العالمية من موقف القوة، وموقف المساهمة، والإبداع وتطوير الموجود، أخذا بالمبدأ المعروف: أن تتأثر وتؤثر (الأخذ والعطاء). وفي هـــذه النقطـــة يجب أن يكون لنا تحديد موقعنا من المتغيّرات من خلال الحرية التـــي تتيـــح للغـــة أن تتفاعل مع المجتمع داخل منظومة العلاقات الإنسانية، بوصفهـــا تعبـــيراً عـــن الـــذات ومرجعاً للحفاظ على تلك الذات وسط المتغيّرات والعولمة.

وفي هذه النقطة الأخيرة (**العولمة**) كان يجب أن نطرح السؤال الآتي: ما موقـــع تعدّد اللغات ضمن العولمة العاملة على فرض لغة واحدة؟ أو بمعنى آخر: كيف نعمـــل على إثبات هويتنا في إطار العولمة؟

صحيح إنّ العولمة نعيشها يومياً، وفي الحقيقة نتعامل بلغة العولمة: ونلبس لبـــاس العولمة، ونأكل أكل العولمة، ونبزنس بالعولمة، وليس في استطاعتنا أن نرفـــض لغـــة غير العربية، لأنّ الأجهزة العصرية وفّرت لنا كل ما يمكن أن يحمل في هذا المجـــال. نعم إنّ العولمة قدر علينا وسبيلنا هو التفعيل داخلها، والعمل على التنّوع الثقـــافي فـــي إطارها، والتعامل معها من موقف الثقة بالنفس ((ومجبر علينا أن نتعايش فـــي ركـــاب المجموعة الدولية وفي هذه القرية الكونية، ولكن كل هذا لا يمنعنا من الصلاة، ولا تهدّد طريقنا نحو أداء مناسك الحجّ))[24]. وهنا لا تكون لنـــا هويـــة إلا إذا توافـــرت بدلهـــا خصائص الوحدة والثبات والمغايرة، وهذا ما يجب أن يتوفّر في التنوّع اللغوي، وليس ضرورياً أن نذوب ونقضي على ثوابت هويتنا، لأنّ العولمة لا تتناقض مع الديمقراطية

24- عبد الهادي التازي "هل في استطاعة العولمة أن تهدر الهوية" مجلة الأكاديمية الملكيـــة عدد (العولمة والهوية). الرباط: 1997، ص 67.

ومع التعدّدية الثقافية والتنوع الحضاري[25]. ولنكن مثل الدول الأسيوية (اليابان كوريا أندونيسيا تايوان) التي فرضت عليها العولمة أنماطاً من السلوك، لكنّها تعاملت بثقة فاعلة فأبدعت في إطارها وما هدرت هويتها، رغم أنّ مفهوم العولمة لا وجود للهوية[26].

ومن خلال كل هذا هل يمكن أن تذوب اللغات الرسمية والوطنية في إطار العولمة؟ قد لا يجابهنا الصواب إذا قلنا بالإيجاب، اللهمّ إذا كانت لنا قابلية ذلك، بل إنّنا شعب يتوفّر على ذاتية محصنة، هي الذات الأمازيغية التي لم تذب بفعل العولمات التي مرت به، والحداثيات التي لحقت عليه، لكنّها استفاد منها، وتفاعل ضمنها، وهذا ما يجب أن يكون، وندخل عالم العولمة من باب التأثير وتبادل المصالح، باعتماد مبدأ الترجمة التي هي العامل الحاسم في التمسّك بجوهر أصالتنا وتطويرها استجابة للمتطلبات الآنية التي تعمل على التبادل والتواصل الثقافيين لا الغزو الثقافي بمفهوم الاستئصال.

25- ناصر الدين الأسد "العولمة والهوية" مجلة الأكاديمية الملكية المغربية، عدد خاص بـ (العوملة والهوية). الرباط: 1997، ص 58.

26- ينظر في هذا المجال الكتاب القيّم: لماذا احترقت "النمور" الأسيوية. وهو موضوع الندوة العلمية التي أقامتها الأكاديمية الملكية المغربية في فاس أيام: 4-6 مايو 1998. بعد الأزمة المالية التي عصفت ببعض البلدان العملاقة في آسيا، جرّاء عولمة الاقتصاد والمصالح ووسائل الاتّصال وارتباط البورصات، كل ذلك ينذر بان أي شيء يحصل في منطقة معيّنة ستكون له عواقب تمسّ جهات أخرى في العالم، بل تمسّ الأفراد أنفسهم لأنّ الأضرار التي تقع على الناس من جرّاء البطالة، وانخفاض الدخل النقدي والقوة الشرائية وقيمة العملة المتعامل بها، قد تكون وخيمة. كما عرض هذا الكتاب بشكل جيّد كيفيات تمسّك الأسيويين بالهوية المحلية في إطار العولمة والأزمات المادية ونتائجها. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة "الدورات". الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1998.

2- الرافد الحكومي:

1/2- النيّة في تجسيد هذه اللغة على مستوى التربية والتعليم، والنيّة هي المفتاح للعمل الوطني والجماعي، وهي القناعة الذاتية التي تجعل كل الجزائريين يتقبّلون هذا عن طيب خاطر، ودون إسفاف أو كره، بل إنّها من أهم حساسيات المجتمع الجزائري كون أغلب السكان يستعملون العربية. وهذه النيّة التي نقصدها أن يكون الاهتمام بها وعلى تجسيدها، لا أن تكون في النصوص التشريعية، ثمّ تهمش، وهذا ما يلاحظ في اللغة العربية حالياً.

2/2- تجسيدها على نطاق النصوص الرسمية، كالدستور والميثاق، وكل ما يتعلّق بالرسميات الوطنية والدولية، وهذا لا يكفي، بل العمل على أن يكون التطبيق على أرض الواقع في الدرجة الأولى، من الاهتمام باللغة الرسمية، مثلما تفعل كل الأمم بلغاتها الوطنية. وفي هذا المجال يجب التفكير في كيفية الرقي بهذه اللغة واللغة العربية معا، لأنّنا في هذه الحال نتعامل بلغتين مثلما تتعامل كثير من الدول بمجموعة من اللغات، فلابدّ من تحديد محل كل منهما من الاهتمام، أو درجة اهتمام الواحدة عن الأخرى.

3/2- إعداد المؤطرين؛ وهم الذين يحملون عبء نشر هذه اللغة وتوسيع مجالاتها وهؤلاء المعلمين يجب أن يعدوا إعداداً وافياً حسب المستلزمات الحديثة، وحسب التطوّر الذي تفرضه العصرنة، وفي هذا المجال يكون التركيز على أهم المناهج العلمية الحديثة في مسألة التلقي اللغوي، فلكي لا نقع في المطبّ الذي وقع فيه تجسيد التعريب كان من اللازم أن يعدّ المدرس الكفء في مبدأ الأمر، والذي تتوفّر فيه مجموعة من الشروط اللغوية المؤهلة لإعداد إطارات المستقبل، فلابدّ من الاستفادة من كل التجارب في مجال تكوين المكونين؛ التكوين السريع المنظم المعتمد على التحديث العلمي.

4/2- نمذجة بعض المدارس في مبدأ الأمر، وهذا لتفادي كل إشكال يطرح أثناء توسيعها، قبل نشرها عبر كل المدارس. وهذه المدارس النموذجية يجب أن يوفّر لها من الوسائل التي تجعل هذه اللغة ترتقي نحو الأفضل. وهذه النمذجة سيفرضها الواقع

العلمي لعوامل عديدة، منها كثرة المدارس الوطنية، قلّـة الإطـارات، رفـض مبدئـي منتظر، معالجة المشاكل على نطاق ضيّق أسهل من معالجتها على مستوى الوطن.

5/2- تجنيد وسائل الإعلام، وهي من العوامل المساعدة لنجاح أية لغة وتوسـيعها وترسيخها عند العوام، بل إنّ هذه الوسائل تعدّ من مكملات المدرسة التـي توفـر لـه القواعد، وهي توفر له الاستعمال الجيد، وتجسيد ما يأخذه في المدرسة من مسـتلزمات وليست وسائل الإعلام هي المعنية في الدرجة الأولى ما لم يكن هناك المحيـط علـى استعداد للتمزيغ.

6/2- إنشاء معاهد الأنتروبولوجيا لممارسة الأبحاث الميدانية، ولجمع الباحثين في فرق بحث، بل استقطاب المتخصصين في هيكل علمي يوفر لهم فرص البحـث، ومـا يتبع ذلك من إجراءات. ومن خلال هذه المعاهد يكون توسيع معاهد الثقافـات الشـعبية ومعاهد الأمازيغية الموجودة حاليا وتشجيع كل الأبحاث في هذا المجال أدبيا وماديا.

7/2- إعداد الكتاب المدرسي الخاص: وفي هذه النقطـة يمكـن التركـيز علـى المضامين التي يحملها الكتاب؛ بحيث يكون حاملاً لمضـامين الوطنيـة والديمقراطيـة والعصرنة، وهذا ضمن الأبعاد التالية:

* البعد الروحي.

** البعد التاريخي.

*** البعد الوطني.

**** البعد العصري.

***** البعد الإنساني

****** البعد الديمقراطي[27].

27- هذه الأبعاد لا تحتاج إلى توضيح أكثر؛ حيث إنّ مسوغات العمل بها كنّا قد اقترحناهـا لتأسيس مدرسة جزائرية حديثة تتماشى والأبعاد الحضارية لأمتنا قديماً وحديثاً، ويضاف إليها تلك الأبعاد العصرية التي يجب أن تحملها المدرسة الجزائرية العصرية، فهي ليست

وأمام كل هذا لابدّ من التركيز على مضامين الكتاب الذي يكون البناء الأمثل لتأسيس جيل واعٍ مؤمن بتاريخه الحر، ووطنه الذي يخدمه، وإنسانية الإنسان التي يدافع فيها عن التسامح ونبذ العنف وحق الحياة، والعصرنة التي تستدعي التأقلم مع المستجدات والتعامل معها من أجل المنفعة، وأخذ المكانة في هذا الكون الصغير.

3- الرافد الاختصاصي: وهو من عمل المختصين التربويين، فأبتغي هنا أن أشير إلى مجموعة من العوامل التي أراها جديرة بنجاح العمل نحو تجسيد الأمازيغية في المدرسة، ولا يعني أنّني أمارس السلطة الأبوية، بقدر ما أعقد العزم على نجاح العمل التربوي. ومن هنا أريد تذكير التربويين بأنّ المجتمعات الحديثة لا تعرف التزمّت العرقي، ولا التعصّب الشوفيني، وقد أبانت التجارب التاريخية أنّ المناحي الطوباوية انجرّ عنها التمزّق. فالطموح نحو مجتمع إنساني يعتمد الحداثة ومسايرة التحوّلات التاريخية يستدعي تجاوز البحث في الإنية المقصية والانتماء العرقي. فالأمازيغية هوية لكل الجزائر الغنيّة بموروثها الحضاري، فلا بدّ أن يعمل المختصون على تغيير النسيج الحضاري الحامل للهوية، بإعطائه النسق الاجتماعي الذي تتداخل فيه ما أفرزته حقبات التفاعل التاريخي الإيجابي الذي عرفته بلادنا. فالأمازيغية في تجلياتها الحضارية يجب أن تزيد من حركية المجتمع الذي يسعى نحو الارتقاء التاريخي المتنوّع. ومن كل هذا أرى من واجب المختصين ما يلي:

1- تشجيع التعاون الثقافي المغاربي، وأخصّ المغاربي في كون القاسم المشترك بيننا (أهل المغرب) هذه اللغة التي هي ملكنا جميعاً فلكي تكتمل الأعمال لابدّ أن تتوسّع الاستشارات، ويؤخذ برأي البلدان المغاربية جميعاً؛ لأنّ القضية لا تعني بلداً واحداً، بل هي مسألة ثقافية مغاربية. ثمّ يكون التعاون الدولي في هذا المجال وخاصة مع الدول التي نشطت فيها الأبحاث اللسانية والدول التي عملت على رقي هذه اللغات.

مدرسة لاهوتية خرافية، ولا هي مدرسة لا قائمة لها ولا تاريخ. وأساسوا مدرسة جزائرية أصيلة وعصرية، ترتكز على الهويات الوطنية، وتتبنّى الديمقراطية والعصرنة. ينظر: ملف إصلاح المنظومة التربوية، وكذلك كراسات المجلس الأعلى للتربية، لسنة 1998م.

2- الاتفاق على النظام الصوتي الموحّد والمستعمل، لتفادي هذا الاضطراب بين اللهجات (اللغات) الأمازيغية؛ والذي يلاحظ على مستوى الاستعمال، أي العمل على تجسيد النظام اللغوي الذي يتعلّق بالدراسات الفونولوجية، ودراسة التغيّرات الذاتية في كل لغة من هذه اللغات، وهذا عونًا للدارسين والباحثين في بداية العمل على تجسيد اللغة في المنظومة التربوية، لأنّ الأمازيغية التي تحمل تراثاً غير موجودة، وما يستعمل حالياً هي اللغات الأمازيغية فقط، ومن هنا تدعو الضرورة العمل من أجل توحيد النظام الصوتي لكي يخضع للاستعمال فيما يستقبل من الزمان. وقد أملت عليّ هذه النقطة التأكيد على النظام اللغوي الموحد (النحوي) نتيجة ما لاحظته من اختلاف في تجسيد النظام الصوتي، فنجد من يجعل أصواتها 26 صوتاً وآخر 29 صوتاً، والأكاديمية البربرية تجعلها في 37 صوتاً، وحالياً وصل عدد الحروف فيها إلى 44 صوتاً، فهل هناك نهاية أم مازالت أصوات أخرى في الآفاق؟

وهذه النقطة تتطلّب مني أن أشير إلى ضرورة قيام لغة فصيحة أدبية من خلال اللغات الكائنة؛ وهذه اللغة الفصيحة تكون الجامع للغات الأمازيغية، ثمّ تتواجد اللهجات الكائنة حالياً، وهذا معطى لا يمكن القضاء عليه. أما أن تدرس كل اللهجات المستعملة حالياً، فهذه فوضى ومهزلة، يصعب نجاحها، بل أنّ مساوئها أكثر من نفعها.

3- جمع الرصيد اللغوي؛ وهذه النقطة تكون متمّمة للنقطة السابقة، إذ أنّ الأصوات في البداية تكون المحكّ الذي يقف عليه المعجم، وفي هذا المجال تطرح مسألة الاتّفاق على الرصيد الوظيفي، وتجنّب مختلف الاختلافات بين اللغات البربرية حالياً وتترك للمختصين، فلا بدّ من فرض هذا الرصيد؛ الذي يكون المنطلق نحو تأسيس نحو موحّد ومصطلحات موحدة. وبدون هذا الرصيد اللغوي الذي تحويه المعاجم أو الموسوعات، لا يمكن الحديث عن اللغة الأمازيغية؛ لأنّ اللغة أياً كانت يجسدها الرصيد اللغوي دائما فهو النبع والمرجع والحكم. كما أنّ الرصيد اللغوي يكون بعد ذلك الضامن لوحدة هذه اللغات، فالاتّحاد اللغوي أكثر من ضرورة في هذا الوقت لكي يمكن الحديث عن اللغة الأمازيغية.

وهذه النقطة هامة جداً وأرى أن تجند فِرَق البحث، والتي يعهد إليها جمع هذا الرصيد في كل الدول التي تتواجد فيها الأمازيغية؛ حيث يتمّ وبكل الأشكال الحديثة وتفرغ المعلومات في أشكال كتب، كما تخزن في منطاقيات لتكوّن بنوكا للمعطيات بعد ذلك.

4- الكتابة بالحروف العربية؛ لأنّ الكتابة بالعربية نجاح[28] وضمان تدريسها؛ حيث إنّ كتابتها بالحرف العربي تجسيد لخيارات الوطن، وتكملة للغة العربية التي أفادت منها واستفادت، وكان لها كيان بالإسلام الذي أعلى من شأنها، فلكي تتكامل الأعمال في هذه المدرسة يفضل ألا نشوّش عقل التلميذ بخطين مختلفين. كما أنّ هذه الكتابة بالعربية هي تسهيل عليه في تناول المادة الجديدة، وتسهيل عليه في عملية البحث والكتابة، لأنّ هناك اتفاقاً كبيراً بين العربية والأمازيغية في مسألة الأصوات والمصطلحات، والمعجم والنحو. وفي هذه النقطة أبانت الدراسات التي كنت أكلف بها طلاب الليسانس لتحضير مذكرات السنة الرابعة أنّ كثيراً من الخصائص اللغوية، خاصة النحوية منها تتشابه إلى حدّ بعيد مع العربية. وهناك من درس الأمازيغية معتمداً على لهجة تاريفيت المغربية فتوصل إلى الخصائص التالية:

((1/4- الابتداء بالساكن وتتابع السواكن مثل: تْزاليت بمعنى الصلاة، وتْمارت بمعنى الحية، وتْفُويت بمعنى الشمس، وتْفاوت بمعنى النار.

2/4- قد ينقلب فيها الفعل اسماً والاسم فعلاً.

3/4- تاء التأنيث فيها تكون في أول الاسم لا في آخره، وقد يختم الاسم بتاء كذلك لكن لا بدّ من تاء في أوله، كقولهم: تامطوت بمعنى امرأة، وتامْروت بمعنى بندقية.

4/4- يكثر بدء أسمائها بالهمزة مثل أجَنّا بمعنى السماء.

28- ينظر: مقال للأستاذ دوراري عبد الرزاق، مجلة معهد الثقافة الشعبية بتلمسان. تلمسان: العدد 1/ 1994 Les langues berbères reflexions autour des problèmes liés a leur enseignement، ص 27/10 .

5/4- علامة التثنية فيها كلمة وليست حرف، فتثنية إتْري (النجم) سَن إيتران، ومعناها اثنان من النجوم (سَن= اثنان، وإيتران جمع إتري).

6/4- الماضي يبتدئ بالياء، والمضارع والأمر بالهمز، وقد يكون الأخير بدون همزة كما في العربية، ومثاله سُو بمعنى اشرب. وفي بعض اللهجات يضاف للماضي سابقة هي Tsou أو Tsoua.

7/4- عدم وجود أدوات، أما السابقة "أل" الموجودة في البربرية الحديثة فمأخوذة من العربية.

8/4- وجود علامة للمذكر وهي البدء ب (أَ) أو (ا).

9/4- تشكيل المستقبل عن طريق إضافة السابقة Ad (d= ذ) للماضي.

10/4- الضمائر نوعان متّصلة كلواحق بالأسماء أو الحروف أو الأفعال. ومستقلة باعتبار كل منها فاعلاً لفعل.

11/4- هناك فرق في الصيغة بين الضمير المتَصل والمباشر وغير المباشر.

12/4- الأفعال التي تنصب مفعلوين تشكل عن طريق السابقة S للجذر.

13/4- الجمع يشكل عن طريق تغيير داخلي أو تغيير خارجي.

14/4- تتبع الصفات الأسماء في التذكير والتأنيث وغيره.

15/4- يقع الفعل في أول الجملة ثمّ الفاعل ثمّ المكملات))[29].

وبعد هذا ماذا يمكن أن نقول:

* إنّه من السهولة بمكان أن يدلنا هذا على التمازج بين العربية والأمازيغية كونهما من اللغات السامية-الحامية على أكثر الآراء، ومن هنا يمكن تفنيذ آراء المدرسة التاريخية الاستعمارية بتشويه هذا الأمر، بتلك التحليلات التي لم تزد الموضوع إلا تعقيداً؛ حيث ترى وعبر سلسلة طويلة من النظريات والآراء أنّ البربرية من شجرة مخالفة لأصول السامية-الحامية.

---

[29]- أحمد مختار عمرن تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى [illegible] عالم الكتبن ص223-224.

** إنّه من السهولة بمكان ان يتلقّى الطفل قواعد هذه اللغة، ويربط ذلك عن طريق المقارنة بينها وبين العربية، وخاصة إذا كتبت بالحرف العربي، ممّا يسهل عليه كثيراً من أعباء الانتقال من نظام لغة إلى نظام لغة أخرى.

5- اعتماد المناهج الحديثة التي تعمل على تلقين اللغة بيسر وسهولة في ظروف زمنية وجيزة باعتماد أحدث ما توصلت إليه اللسانيات الديداكتيكية التربوية؛ من حيث اعتماد التعليم بالاستكشاف والتعليم المندمج والتعليم المفتوح والتعليم بالمراسلة والتعليم بمساعدة الحاسوب F A O، وهذا كلّه يتطلّب من المعلّم أن يكون نفعياً في تعامله مع المناهج العربية الحديثة، واعتماد المناهج الغربية الحديثة التي تعمل على تلقين اللغات: لغات المنشأ واللغات الأجنبية.

وفي هذا المجال نشير إلى أنّ هذه اللغات، لغات اشتقاقية، مثلها مثل العربية، فمن الجذر تشتق المشتقات، كأن تأخذ كلمة : ثيسين (المجيء) في القبائلية، نشتق منها مجموعة كبيرة من المشتقات مثل: يوساد / أدياس / ويد يوسان / أديساس / أوساند / نوساد / ثوساد / أداس / أوردوسان أرا... وفي هذه النقطة الهامة، نعرف أنّ 47% من الألفاظ البربرية هي من أصل عربي، وأنّ المعجم العربي مبني بشكل جيّد، فأحرانا أن نبني هذا المعجم على نفس الطريقة، أو نستفيد من خدماته. بل نؤكد في هذه النقطة على أنّ المعجم العربي أحسن المعاجم العالمية في مسألة بنائه الألفبائي ومن أقدم المعاجم المرتبّة ترتيباً متنوعاً، وهذا يساعدنا في ترتيب المادة اللغوية في البربرية، ولا يمنع هذا من أن نستفيد من اللغات الأخرى التي بنت معجمها على ضوء المناهج الحديثة؛ حيث أخذت بالمستعمل وتركت المهمل، وهذا شيء هام لكنّه غير مطلوب في هذا الظرف الذي يستدعي جمع المادة مهما كانت، شرط أن تخضع للضبط العلمي.

6- العمل على التأليف في هذه اللغة في كل جوانبها، وهذا لتجسيد اللغة في كل أشكال التأليف الأدبي والاجتماعي والنفسي والعلمي، والاهتمام في الدرجة الأولى بالكتاب المدرسي، وخاصة كتاب الطفل، ويمكن البدء بالتأليف المختلط، إلى أن تستقر اللغة في صورتها النهائية عند ذلك يكون التأليف المتخصّص.

7- الاستفادة من اللغات التي عاشت هذه التجربة، وفي هذه النقطة يكون التعاون بين العلميين جميعاً، المعربين والمفرنسين، ومحاول إيجاد أرضية مشتركة للعمل الجماعي نحو بناء هذه اللغة، وتأسيس معجمها وفقهها اللغوي... الخ.

وفي الأخير لا أملك إلا أن أقول: إنّ مستقبل العربية في الأمازيغية، ومستقبل الأمازيغية في التعريب، وفي بناء العربية كلغة علم ومعرفة ولغة حاسوب ورادار. ومن هنا يجب الربط بين المسألة الثقافية[30] والمسألة الأمازيغية، وهذا ما يحاول هذا الكتاب أن يجسّده من خلال عنوانه. فمن هذا المنظور بات من الضروري تجسيد حوار بين أطراف المجتمع من أجل تثبيت وتثمين التراث الثقافي الوطني. فإذا لم نسرع في ذلك فسيتجاوزنا الزمان، ونصبح مجتمعاً لا يتوفّر لا على لغته العربية ولا على لغته الأمازيغية، ولا شكّ بعد ذلك أنّ لغة أجنبية أخرى تأخذ مكانهما.

وإنّ الخطر لا يكمن في التعدّد اللغوي الملاحظ في الاستعمال اليومي، ولا في عملية التعريب أو التمزيغ، إنّما يكمن الخطر في الهيمنة اللغوية من قبل اللغة الفرنسية التي تسعى بكل الوسائل التوسّع على حساب العربية والأمازيغية، وتعمل على الفرنسة Francisation. وإنّنا مع الفرنسية التي تخدمنا وتخدم اللغات الوطنية، لا مع الفرنسية التي نخدمها على حساب اللغات الوطنية.

30- الثقافة الوطنية لا تمنح اللغة جنسيتها، ولكنّها تمنحها الحياة العصرية، والمفاهيم القديمة وكلّما طوّعتها للتعبير عن كل حركة علمية أو فنية ينبض بها العقل والفكر معاً. وبتلاقح اللغات الوطنية يكون التكامل والبقاء والصمود في وجه التحديات.

8- المصطلحات اللغوية

أماوال[31]

ثاعرابث ثامازيغث[32] ثافرنسيسث

31- رأيت أن أعطي بعض المصطلحات اللغوية التي توفرت لديّ، ولها علاقة بالبحث في الأمازيغية، وهي غير متداولة كثيراً في كتب ومعاجم اللغة. بل هي مستوحاة من التداول العلمي في كتب اللغة العربية والفرنسية، ولم أر ضرورة نقل المصطلحات الكثيرة المتداولة في المعاجم الخاصة باللسان الأمازيغي. كما يلاحظ القارئ تنوّع واختلاط هذه المصطلحات، ممّا يؤدي إلى ورود اللفظ بلفظين أو أكثر، وهذا نظراً لاختلاف اللهجات الأمازيغية.

ولقد اعتمدت في توضيح هذه المصطلحات اللغوية على:

1- المعجم العربي الأمازيغي. محمد شفيق.

2- اللغة الأمازيغية ومصطلحاتها القانونية. عمر تقي.

3- أماوال. مولود معمري.

4- مجلات في الثقافة الأمازيغية.

5- معاجم ثنائية اللغات: عربي فرنسي.

6- المعجم الموحّد: ثلاثي اللغات. للأليكسو

ولقد وقع ترتيبي للمصطلحات باعتماد الألفبائية العربية حسب كتابة الكلمة، باستثناء ال التعريف.

32- توضيحات صوتية: لتجسيد الأصوات الأمازيغية رأيت أن أعطي التكييفات التي أدخلتها على بعض الحروف العربية، والتي وردت في المتن أو في بعض المصطلحات.

- كـَ فوقه حركة الفتح، ينطق g الفرنسية مثل: garçon.
- كـ وفوقه علامة ^ ينطق كافا مائلة للخاء في مثل: كْـمني (أنتِ).
- كـ وفوقه هذه العلامة ˇ تنطق كافاً مائلة للياء في مثل: أكـم (املأ). أكّزار (اللحام).
- كـ وفوقه هذه العلامة ٌ تنطق كافاً بين الخاء والكاف في مثل: أكّبال (الذرة).

- أبجدية صوتية	ثيرا تِمسسليت	Alphabet phonétique
- اتّحاد	تامونت/ ثيميلّيث	Union
- احتكاك اللغات	ثمليليث أنتوثلايين	Contact des langues
- احتواء	أبّـــراك	Hyperonymie
- اختصاص	تاغارا/ تاوزوت	Spécialite
- اختلاف اللهجات	ثنتالان إمخلاّفن	Différerenciation dialectale
- اختيار	أستاي	Choix
- الآداب	تاسكـُـــلا	Littérature
- الأديب	أماغرات	Littéraire
- أرومة اللسان	ثزورث نالس	Racine de la langue
- استطرد في كلامه	يوشكا نواوال	Redondence
- استطلاع	أسقسي	Enquete
- استقبال	أمنيلي	Récéption
- استقرار	أزكـُــو/ إمزكـــي	Stabilité
- الأسس	تيرسال/ ألْساس	Bases
- الأسطورة	تانقيست	Mithe
- أسلوب	تاويلا	Style
- اسم	أساغ	Nom
- إشارة	أمسكـــان/ لِشارة	Signal
- الاشتقاق	إطاي/أسدام	Dérivation
- اطراد	أنجار	Régularité

- ب. وتحتها ثلاث نقاط، تنطق مثل P الفرنسية في مثل: Papa
- ب. وتحتها هذه العلامة ˇ تنطق مثل V الفرنسية في مثل: Vive
- ب. وتحتها ^ تنطق مثل الباء الفرنسية المفخمة، في مثل: Boot
- ز وفوقها هذه العلامة ^ تنطق زاياً مفخمة، مثل: الظاد الفارسية، أو الظاد المصرية. فـــي مثــل: زْهري (في النطق) بمعنى: ظهري. إضافة إلىَ الحروف الخمسة التي اقترحتها معهد الدراسات والأبحاث للتعريب وأُقرت من قبل الأليكسو.

- أطلس لغوي	أدربال أبـــوال	Atlas linguistique
- الإعلام	أسوسن	l'Information
- افتتاحية	تيكـــجديت	Attaque vocaloque
- أقاويل	تيمنّا/ إمسلاين	Les dits
- اقتراض	أرطّال	l'Emprunt
- الأهلية	تازمرث/ أنزكي	Habilité
- الأول	أمزوارو/ أمنزو	Premier
- إنتاج	تايافوت	Production
- البحث	أشنوبش/ أسيكــل	Mémoire
- برهن	إسنزا/ إسيميل	Démontrer
- البرهان	أنزا	Démonstration
- برهاني	إسنّزا/ ايفكــند	Démonstratif
- بطاقة	لْكارطا/ ثفركيث	Carte
- البعد	ليمارا	Dimension
- بلد	ثامورث/ تامازيرت	Pays
- بلاد الأمازيغ	تمزغا	Tamezgha
- بلاغ	أسلّكم/ أسوال	Communiqué
- بيّنة	أنزا/ دْليل	Preuve
- تابع	إضفار	Suivre
- التاريخ	أزمز/ أمزروي	Histoire
- تحريف	أرجان	Falsification
- تداخل اللغتين	ثيمليليث نسناث ثوثلايين	Interférence
- ترجمة	أسفرو/ أسوغل	Traduction
- تعريب المحيط	أسعرب	Arabisation du milieu social
- التعلّم	ألمود/ألماد	Apprentissage
- تعليميات	ثيموسنيوين أوسلمذ	Didactiques
- التقابلية	تيروسي	l'Isomorphisme

- تكليم (مشافهة)	ثونين	Perlocution
- التكوين	أسدّنكي	Formation
- التمزيغ	ثيمّزغا	Amazighisation
- التنسيق	ثوقنا	Coordination
- الثرثار	أشغنان/ أضرماس/ أبرباض	Bruitant
- ثقافة	تادلسا/ثاوسنا	Culture
- الثورة	تاكًـــراولا	Révolution
- ثورة ثقافية	تاكًـــراولا تادلسانت	Révolution culturelle
- جائز	إزّري	Permis
- جامع	تيمزكًـــيدا	Mosquée
- جامعة	تاسداويث	Université
- جريدة	أغميس	Journal
- جلسة	أكًـــراو	Séance
- جماعة لا نظامية	أكًـــراو أحرفي	Groupe informel
- جماعة مؤسسية	أكًـــراو أنصيب	Groupe institutionnel
- جمعية	أكًـــراو/ ثيذوكـــلا	Association
- الجمعوية	ثيكًـــراون	Associalisme
- جمعيات الأمازيغيين	أكًـــراو إمازيغن	Associalisation des Amazigh
- جهل	إنزغ/ لَجهل	Ignorance
- حالياً	ثورا/ غيلاد	Actuel
- الحامية	ثحاميث	Chamitique
- الحامية- السامية	ثحاميث-ثشاميث	Chamito-Sémitique
- حجة	تاماتارت/ أنزا	Argument
- حجة واهية	تافاكًـــولت	Semblant d'argument
- حدّ	إكلي/ ثيلاس	Limite
- حدود لهجة	ثيلاس نتانثالا	Frontières dialectales
- حرّ	أحري/ إلّلي	Indépendant

- الحرف	أسكيل	Lettre
- الحروف الهجائية	إسكيلن	Alphabets
- حرية	ثيليلي	Liberté
- حشو	أوال إمرنان	Explétif
- الحضارة	ثاغرما	Civilisation
- حق التمدرس	أزرف نتسغوربزث	Droit de scolarisé
- حق مكتسب	أزرف أميلي	Droit acquis
- حقوق الشعوب الأولى	إزرفـــان نيغرفـــان أيمـــزوورا	Droits des peuples authoctons
- الحكومة	تانباط	Gouvernement
- خبير	أموزاي/ بـــابـــيس	Expert
- خرق القواعد	إرز تاغارا	Violation des normes
- الخروج	ثوفغا	Sortie
- خطّ	ثيرا/ يارا	Ecriture
- الخطّ	أساراض/ أغاواس	Ligna
- الخطأ	إنشكلي/ إسبكـــض	Erreur
- خضع	يونز	Se soumettre
- خلط لغوي	إسركس	Mélange linguistiaue
- دبلوم	أكَـــرداس	Diplome
- دخيل	أغريب	Emprunt
- دراسة	تيغري/ ألمّاد	Etude
- درجة	تاسكُفلت-ثاصدارث	Degré
- دَرَسَ	إغرا/ يغرا/ إلمد	Etudier
- دقيق	أكّرن/ أورن	Précis
- دليل	تاماتار	Signe
- ذخيرة	أسينف/ ثوفرا	Trésor
- ذخيرة لغوية	ثوفرا ثسلوسث	Trésor linguistique

- رسالة	ثابــراتس/ تابرات	Méssage
- رسم	يورا/ أرّا	Orthographe
- سؤال	أسقسي	Question
- السلفية الخائفة	ثيكــذي تنسلمنث	Islamophobie
- سكرتير	أماراي	Secrétaire
- سياسة	تاسرثيث	Politique
- سيرورة التجديد	أبرّيذ أماينوث	Processurs d'innovation
- شجرة النسب	أتجرا لصل	Arbre génealogique
- الشعر	ثامذيازْث	Poeme
- شكل	تالغا	Forme
- الشلحية	تشلحيث	Shleuh
- شهادة	توكَــ	Attestation
- صان	إسفرك	Maintenir
- صحف	إغميسن	Journaux
- الصحيفة	أغميس/ تاكــارضي	Jornal
- الصراع العرقي	أمنوغ إزوران	Conflit ethnique
- الصفّ	إدراس	Rang
- الصواب	توسغا/ توغزانت	Adéquation
- طباعة	تيزّزولت	Imprimerie
- الطموح	أكَــايلال/ أزملالاي	Aumbition
- الطور	ثوماست	Palier
- الطائفة	تاكَــنّونت	Clan
- ظاهرة	تومانت	Phénoméne
- العامة	أكَــراو	Masse
- العدد	أوطون	Nombre
- عرّب	إسفرا س تعرابت	Arabisé
- العلاقة	أسّاغ	Relation

- علّم	إسلمد/ إسغر	Enseigner
- علم الأصوات	ثسنا ثمسسليت	Phonétique
- علم الأمازيغيات	ثسنا نتمازيغث	Amazighologie
- علم سياسة الأمازيغ ثسنا نتسرسيث نتمازيغث		Politologie Amazigh
- عقدة المعرب الخائف ثيكَـذي أمستعرب		Arabophobie
- علماء اللسانيات	إمسناون إسلساون	Linguistes
- عنصري	أمزازار	Raciste
- عيّنة البحث	إري/ إراون	Corpus
- عيّ	إحوسر / إحوشر	Aphasique
- الغلطة	تاكُـوالت	Erreur
- الغلو	أسفوكــتي/ تاسوكيت	Exces
- الفتحة	تيسغدرت	Voyale A
- الفَرنَسة	ثفرنسث	Francisation
- فساد اللغة	لفساذ نتمسلايث	Dégérérescence du langage
- فصيح	أمقعذ أبْـوال	Littéral
- فيلولوجيا (الفقه اللغوي)فيلولوجيا		Philologie
- قاعدة	ألوكَـن	Règle
- قاموس	أماوال	Dictionnaire
- القانون	إزرف	Droit
- قدرة	ثازمرث	Capacité
- قراءة	ثغوري	Lecture
- قرار	تاغتاست	Décision
- قومية	تاغالشا	Nationalisme
- قيادة	تانباطّ	Gouvernement
- الكتابة	ثيرا	l'Ecriture
- كتابة تصويرية	ثيرا ثمذماوانت	Idéographie
- الكتب	إدليسن	Ouvrages

- كرامة	ألالّو/ أنومكــا	Dignité
- كفاءة	ثازمرث	Compétence
- كلام	أوال	Langue
- الكلاسيكية	ثامازيغت تقورانت	Tamazight de dictionnaire
- كلمة	تاكــوري	Mot
- الكونفدرالية	أقبــو	Confedération
- لسان	إلس/ أوال	Langue
- لسان طلق	إلس لكــاغ	Volubile
- لسانيات اجتماعية	ثسلوسث ثيقماميث	Sociolinguistique
- لسانيات تاريخية	ثسلوسث ثمزرويث	Linguistique historique
- لسانيات تربوية	ثسلوسث ثانيث	Pédagolinguistique
- لغة اصطناعية	ثمسلايث لفبريكا	Langue artificielle
- لغة قديمة	ثمسلايث ثقبــورث	Langue ancienne
- لغة موحدة	ثمسلايث يدوكلن	Langue d'union
- لغة هجينة	ثمسلايث إيخلطن	Langue mixte
- لهجة جبلية	ثنتالا ثمزرارث	Dialecte montagnard
- لهجة جهوية	ثنتالا نتمناط	Dialecte régional
- لهجة ريفية	ثنتالا نتودار	Patois
- لهجة طبقية	ثنتالا انتجماعث	Dialecte de classe
- لهجة محلية	ثنتالا أنداخل	Dialecte local
- المؤلِّف	أمارو	Auteur
- المؤلَّف	إميري/ أمسكــار	Ouvrage
- مؤنث	تاوثمت/ أنثي	Feminin
- متداول	إشاع	Usuele
- مجتمع ديمقراطي	أكــراو أكــذوذان	Societé démocratique
- مترجم	ترجْمان/ أنمكــرود	Tradocteur
- المثاقفة	ثيدلاس	Acculturation

– مجلة	تاسغونت	Revue
– مجلس	أسقامو/ أسيكـــوود	Conseil
– مجلس التعليم	أسقامو نوانان	Conseil de l'éducation
– مجمع	أسمون/ أكـــدود	Académie
– مدرّس	أسلماذ	Enseignant
– مدرسة	أغرْباز	L'ecole
– مراجع	إزاتن	Bibliographie
– مرحلة	تيفركت	Etape
– مرسوم	تاناضت	Decret
– مسألة	تاغاوسا	Question
– مستدخل	أبْراني	Interiorisé
– مستقبليادت الأمازيغ إمال إمازيغن		Futurism Amazigh
– مسيرة	تاوادا	Parcours
– مصاهرة	ثيضولا	Parenté
– مضمون	إماكـــيس	Contenu
– معاصرة	أمتوتا/ أميادّار	Modernite
– معرفة	تاكـــراوت/ تاساغت	Connaissance
– القاص	أنوماي	Nouveliste
– المقارنة	أمزداي	Comparaison
– المقاطعة	تامّزرايت/ أغونزو	Boycott
– المقترح	أسومر	Propose
– ملامح	تيفيراس	Profil
– ممارسة	أسقذش	Pratique
– منطاق	ثيشبـــكـــث	Logiciel
– منطقة لغوية	ثمناط ثسلسوث	Zone linguistique
– مملكة	تاكـــلديت	Royaume
– الممنوع	أكـــذال	Interdit

- موطن	تازدغت/ ثامورث	Pays
- نمط	أمكّا	Shéma
- نهضة	تانكرا	Renaissance
- هجرة	تافولي	Emigration
- هندو-أوربية	ثهنديث-ثروبيث	Indo-européen
- هوية	ثانتيث	Identité
- الهوية الأمازيغية	ثانتيث نتمازيغت	Identité Amazigh
- هيمنة	أغمار	Domination
- واجب	أزوشل/ أغان	Devoir
- واجهة	تاسكَـا	Façade
- وجب عليه	إلا فلاس/ يلزم فلاس	Falloir
- وارث	أمكَـاسو	Héritier
- وارث قاصر	أمكَـاسو أزرفان	Mineur
- وجوه استعمال	ثيمناط أوسقذش	Variantes d'usage
- وحدة	تامونت	Unité

- وزير التربية الوطنية أنغلاف نؤسكمي أنامور
Ministre de l'éducation nationale

- وزير الشؤون الثقافية أنغلاف نتغاوسيوين تيدلسلنين
Ministre des affaires culturelles

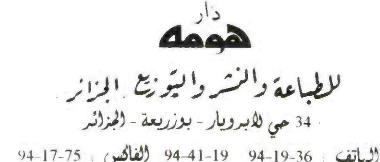
- وزير الشبيبة والرياضة أنغلاف قـلمازين دوادال
Ministre de la jeunesse et de sport

- وزير حقوق الإنسان أنغلاف نازرفان بُمذان
Ministre des droits de l'homme

- وساطة	تامازّالت	Médiation
- وعي	أفراك	Conscience
- وضعي	إسورس	Arbitraire

طبع بمطبعة دار هومه
الهاتف: 94.19.36 (02) و 94.41.19 (02)
الفاكس: 94.17.75 (02)

[illegible]



ISBN: 9961 - 66 - 361 - 6 ر . د . م . ك :